www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

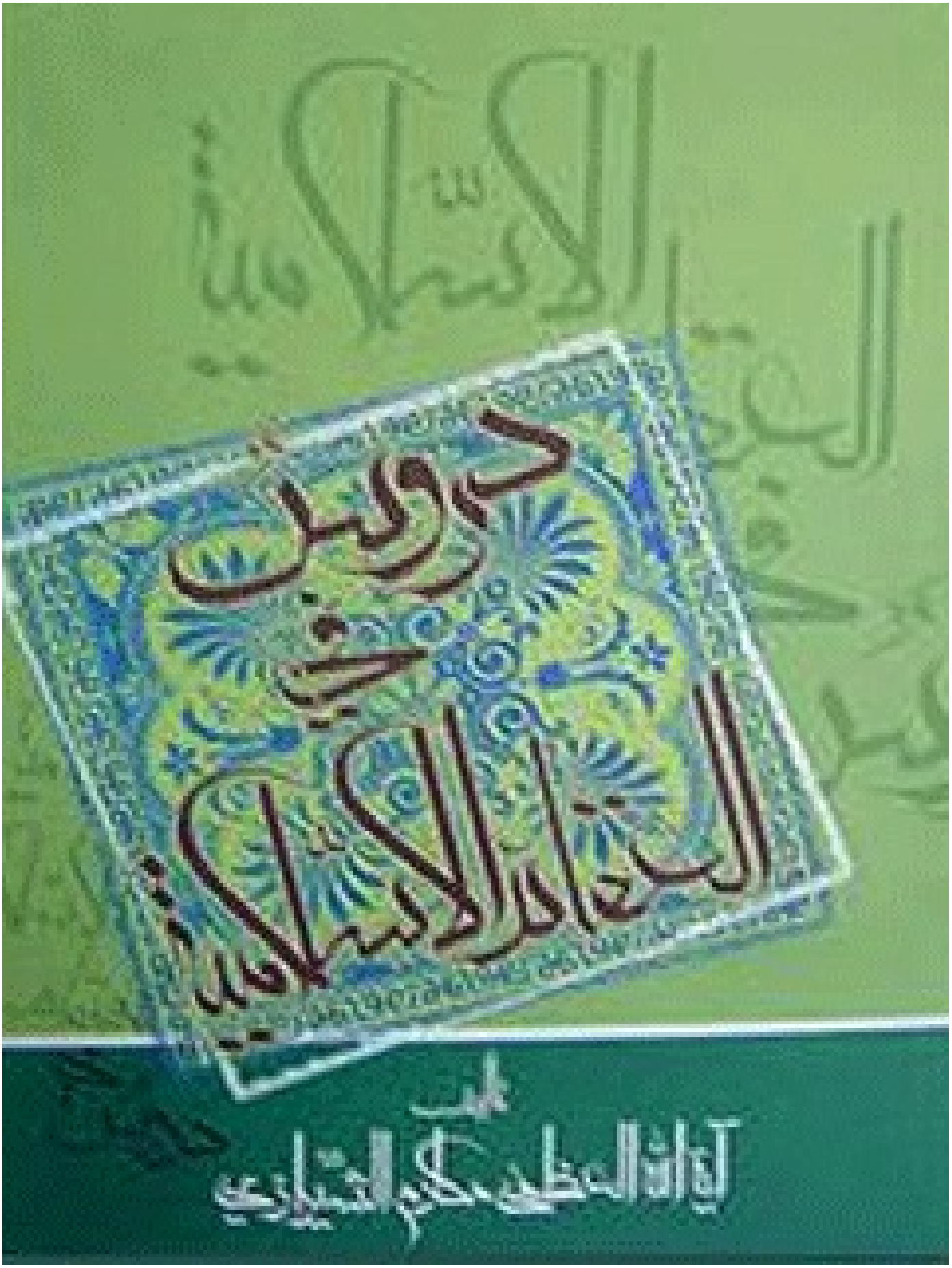
دروس في
المذاهب الإسلامية
لآية الله العظمى السيد الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس فی العقائد الاسلامیة

كاتب:

آیت الله العظمی ناصرمكارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دروس فی العقائد الاسلامیة ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
المقدّمة ----- ۱۴
الفصل الأوّل معرفة اللّه ----- ۱۴
الدّرس ۱: لماذا البحث و التفکیر حول معرفة خالق الکون؟ ----- ۱۴
معرفة اللّه ----- ۱۴
الدّرس ۲ آثار معرفة اللّه فی حیاتنا ----- ۱۵
۱- معرفة اللّه و التطور العلمی ----- ۱۵
۲- معرفة اللّه والسّعی والأمل ----- ۱۶
۳- معرفة اللّه و الشّعور بالمسؤولیة ----- ۱۶
۴- معرفة اللّه والاطمئنان ----- ۱۶
الدّرس ۳ طریقان لمعرفة اللّه ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
طریق الدّاخل ----- ۱۷
الدّرس ۴ جواب سؤال الدرس السابق ----- ۱۸
الدّرس ۵ قصّة واقعیة ----- ۱۹
الدّرس ۶ الطّریق الثّانی لمعرفة اللّه ----- ۲۰
طریق من الخارج ----- ۲۰
العلاقة بین «العقل» و «النظام» ----- ۲۰
الدّرس ۷ نماذج من نظام الخلق ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
۱- مقر قیادة مملکة الجسم ----- ۲۱

اشارة ----- ۲۱
المخ أعجب الاجهزة ----- ۲۱
الحافظة العجيبة ----- ۲۲
الطّبيعة غير العاقلة كيف تخلق العقل؟ ----- ۲۲
الدّرس ۸ عالم عجيب فی طائر صغير ----- ۲۲
الدّرس ۹ علاقة الحب بين الورود و الحشرات ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
صديقان حميمان قديمان ----- ۲۴
درس فی التّوحيد ----- ۲۴
الدّرس ۱۰ العوالم الصّغيرة جدا ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الذّرة درس فی التّوحيد ----- ۲۵
صفاته سبحانه و تعالی ----- ۲۶
صفات «الجمال» و «الجلال» ----- ۲۶
أشهر صفاتاللّه ----- ۲۶
الفصل الثّانی العدل الإلهی ----- ۲۷
الدّرس ۱ ماهو العدل ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
۱- لماذا اختير العدل من بين سائر الصفات؟ ----- ۲۷
۲- ماهی العدالة؟ ----- ۲۸
الدّرس ۲ دلائل عدالة اللّه ----- ۲۹
۱- الحسن والقبح العقليان ----- ۲۹
۲- ماهو مصدر الظلم؟ ----- ۲۹
۳- القرآن وعدالة اللّه ----- ۲۹

۴- الدّعوة الی العدل ----- ۳۰
الدّرس ۳ فلسفة الکوارث و البلاء ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
۱- الحکم النّسبی وقلّة المعرفة ----- ۳۰
۲- الحوادث السیئة و الانذار ----- ۳۱
الدّرس ۴ حکمة المصائب التی تصیب الانسان فی حیاته ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
۳- الانسان ینمو فی أحضان المشکلات ----- ۳۲
۴- المشاکل تسبب العودة الی اللّه ----- ۳۲
الدّرس ۵ عودة الی الحکمة من الابتلاءات و الکوارث ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
۵- إقبال الحیاة و ادبارها و المشکلات تهب الحیاة روحاً وحیویة ----- ۳۳
۶- المشکلات المختلفة ----- ۳۴
الدّرس ۶ الجبر والتّفویض ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
۱- مصدر الاعتقاد بالجبریة ----- ۳۵
۲- النّقطة الرّئیسیة فی خطأ الجبریین ----- ۳۵
۳- العامل الاجتماعی والسّیاسی فی المذهب الجبری ----- ۳۶
الدّرس ۷ الدّلیل علی حریة الارادة والاختیار ----- ۳۶
۱- الوجدان العام فی البشر یدحض الجبریة ----- ۳۶
۲- التناقض بین منطق «الجبریة» و منطق «الدین» ----- ۳۷
الدّرس ۸ ما معنی «الأمر بین الأمرین»؟ المدرسة الوسط ----- ۳۸
۱- «التّفویض» فی قبال «الجبر» ----- ۳۸
۲- المدرسة الوسط ----- ۳۸

۳- القرآن ومسألة الجبر والتفويض ۳۹
الدّرس ۹ الهداية و الضلالة بيد اللّه ۳۹
۱- أنواع الهداية و الضلالة ۳۹
۲- سؤال مهم ۴۰
۳- العلم الازلى سبب العصيان ۴۰
الدّرس ۱۰ العدل الالهى ومسألة الخلود ۴۱
الفصل الثّالث معرفة النّبوّة ۴۲
الدّرس ۱ الحاجة الانبياء كقادة ربانيين ۴۲
قصور علمنا ۴۲
اشارة ۴۲
۱- الحاجة الى التعلم ۴۳
۲- الحاجة الى القائد اجتماعياً واخلاقيا ۴۳
الدّرس ۲ الحاجة الى الانبياء كمشرعين ۴۴
اشارة ۴۴
من هو خير المشّرعين؟ ۴۴
من الذى تتوفر فيه هذه الشّروط؟ ۴۵
العلاقة بين التّوحيد والنّبوّة ۴۵
الدّرس ۳ لماذا الانبياء عليهم السلام معصومون؟ ۴۶
الحصانة من الإثم والخطأ ۴۶
العصمة مدعاة للفخر ۴۷
الدّرس ۴ أفضل الطّرق لمعرفة النّبى ۴۷
اشارة ۴۷
بعض الأمثلة الواضحة ۴۷
لا ينبغى الخلط بين المعجزة و الخرافة ۴۸

اختلاف المعجزات عن خوارق العادات الاخری ---- ۴۸
الدّرس ۵ المعجزة الکبری لنبی الاسلام صلی الله علیه و آله و سلم ---- ۴۹
المعجزة الخالدة ---- ۴۹
کیف عجزوا عن مواجهة التّحدی؟ ---- ۴۹
حکایة الولید بن المغیرة ---- ۴۹
الدّرس ۶ نافذة علی إعجاز القرآن ---- ۵۰
سرّ الحروف المقطعة ---- ۵۰
الفصاحة والبلاغة ---- ۵۱
الدّرس ۷ نظرة القرآن الی العالم ---- ۵۱
الدّرس ۸ القرآن والاکتشافات العلمیة المعاصرة ---- ۵۳
اشارة ---- ۵۳
القرآن وقانون الجاذبیة ---- ۵۳
دوران الارض حول نفسها وحول الشمس ---- ۵۳
الدّرس ۹ دلیل آخر علی صدق نبوّة نبیّ الاسلام ---- ۵۴
الدّرس ۱۰ نبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله خاتم الانبیاء ---- ۵۶
المعنی الدقیق للخاتمیة ---- ۵۶
الدّلیل علی أنَّ النّبی صلی الله علیه و آله خاتم الانبیاء ---- ۵۶
الفصل الرّابع معرفة الامامة ---- ۵۸
الدّرس ۱ متی بدأ البحث فی الامامة؟ ---- ۵۸
اشارة ---- ۵۸
۱- هل البحث فی هذا الموضوع یثیر الخلاف؟ ---- ۵۸
۲- ما هی الامامة؟ ---- ۵۹
الدّرس ۲ فلسفة وجود الامام ---- ۵۹
اشارة ---- ۵۹

۱- التکامل المعنوی الی جانب وجود القادة الالهیین ---- ۶۰
۲- الحفاظ علی الشرائع السماویة ---- ۶۰
۳- قیادة الامّة سیاسیاً واجتماعیا ---- ۶۰
۴- ضرورة اتمام الحجة ---- ۶۱
۵- الامام واسطة الفیض الالهی ---- ۶۱
الدّرس ۳ شروط الامام الخاصّة وصفاته ---- ۶۱
اشارة ---- ۶۱
۱- العصمة من الخطأ والإثم ---- ۶۲
۲- العلم الغزیر ---- ۶۲
۳- الشّجاعة ---- ۶۲
۴- الزّهد والتّحرر ---- ۶۲
۵- الجاذبیة الاخلاقیة ---- ۶۲
الدّرس ۴ من المسؤول عن تعیین الإمام؟ ---- ۶۳
اشارة ---- ۶۳
۱- هل بامکان الأمة أنْ تختار خلیفة لرسول اللّه؟ ---- ۶۳
۲- ألم یعیّن النّبی أحداً لخلافته؟ ---- ۶۴
۳- الاجماع والشوری ---- ۶۴
۴- الامام علی علیه السلام أولیق الجمیع ---- ۶۵
الدّرس ۵ القرآن والامامة ---- ۶۵
اشارة ---- ۶۵
۱- القرآن یری أن الإمامة اختیاراً الهیا ---- ۶۵
۲- التّبلیغ ---- ۶۶
۳- آیة إطاعة اولی الأمر ---- ۶۶
۴- آیة الولایة ---- ۶۷

الدّرس ۶ الامامة فی السّنة ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷
حدیث الغدیر ----- ۶۸
الدّرس ۷ حدیث «المنزلة» وحدیث «یوم الدّار» ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
محتوی حدیث المنزلة ----- ۷۰
حدیث یوم الدّار ----- ۷۰
الدّرس ۸ حدیث الثّقلین وسفینة نوح أسناد حدیث الثّقلین ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
محتوی حدیث الثقلین ----- ۷۱
حدیث سفینة نوح ----- ۷۲
الدّرس ۹ الأئمّة الاثناعشر ----- ۷۲
روایات الأئمّة الاثنی عشر ----- ۷۲
محتوی هذه الأحادیث ----- ۷۲
تعیین الأئمّة بالاسم ----- ۷۳
من مات ولم یعرف إمامه ... ----- ۷۴
الدّرس ۱۰ الامام المهدی (عج) الإمام الثّانی‌عشر والمصلح‌العالمی العظیم ----- ۷۴
۱- نهایة اللّیلة الظّلماء ----- ۷۴
۲- الفطرة وظهور المصلح العظیم ----- ۷۴
۳- الأدلة العقلیة ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
القرآن وظهور المهدی علیه السلام ----- ۷۶
المهدی فی کتب الحدیث ----- ۷۶
أمّا أحادیث الشیعة ----- ۷۷

الفصل الخامس معرفة المعاد ۷۷
الدّرس ۱ سؤال مهم: هل الموت نهایة أم بدایة؟ ۷۷
معظم الناس یخافون الموت، لماذا؟ ۷۷
لماذا الخوف؟ ۷۸
اشارة ۷۸
۱- تفسیر الموت بالفناء ۷۸
۲- الصحائف السوداء ۷۸
نظرتان مختلفتان ۷۹
الدّرس ۲ المعاد و مفهوم الحیاة ۷۹
اشارة ۷۹
الایمان بالمعاد عامل تربوی ۸۰
الدّرس ۳ محکمة الضمیر مثال لمحکمة یوم القیامة ۸۱
الدّرس ۴ المعاد فی تجلیات الفطرة ۸۲
اشارة ۸۲
۱- حبّ البقاء ۸۲
۲- یوم القیامة عند الماضین ۸۳
۳- محکمة (الضّمیر) دلیل آخر علی فطریة المعاد ۸۳
الدّرس ۵ البعث فی میزان العدالة ۸۴
اشارة ۸۴
حریة الارادة والاختیار ۸۴
الدّرس ۶ مشاهدة الحساب فی هذا العالم ۸۵
الدّرس ۷ المعاد وحکمة الخلق ۸۶
الدّرس ۸ بقاء الرّوح دلیل علی البعث ۸۷
اشارة ۸۷

۱- لایمکن حشر عالم کبیر فی محیط ضیق ---- ۸۸
۲- خصائص الرّوح ---- ۸۸
۳- الأدلة التجریبیة علی أصالة الروح واستقلالها ---- ۸۸
الدّرس ۹ المعاد الجسمانی والرّوحانی ---- ۸۹
اشارة ---- ۸۹
القرآن والمعاد الجسمانی ---- ۹۰
الدّلائل العقلیة ---- ۹۰
أسئلة حول المعاد الجسمانی ---- ۹۰
الدّرس ۱۰ الجنّة والنّار وتجسد الأعمال ---- ۹۱
اشارة ---- ۹۱
تجسد الأعمال ---- ۹۲
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۹۳

دروس فی العقائد الاسلامیة

اشارة

سرشناسه : مکارم‌شیرازی ناصر، ۱۳۰۵- عنوان و نام پدیدآور : دروس فی‌العقائدالاسلامیه تالیف مکارم‌الشیرازی مشخصات نشر : قم مدرسه‌الامام علی‌بن‌ابی‌طالب (ع ۱۴۲۵ق = ۱۳۸۳. مشخصات ظاهری : ۳۴۴ص. شابک : ۱۰۰۰۰ ریال ؛ ۱۲۵۰۰ ریال چاپ سوم ۹۶۴۶۶۳۲۱۵۷ یادداشت : عربی یادداشت : مولف کتاب حاضر را تحت عنوان " پنجاه درس اصول عقاید برای جوانان به فارسی نیز به نگارش درآورده است . یادداشت : چاپ دوم یادداشت : چاپ سوم: ۱۳۸۵. یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : شیعه -- اصول دین موضوع : شیعه -- عقاید. رده بندی کنگره : BP۲۱۱/۵/م۷د۴ ۱۳۸۳ رده بندی دیویی : ۲۹۷۴۱۷۲ شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۲۷۰۷۱

المقدّمة

الشباب، اکثر شرائح المجتمع حیویة و نشاطاً، و أشدها طاقة، و لا یمکن ایجاد الحول الناجعة لمشاکل أی مجتمع من دون مشارکة هذه الشریحة المهمة، و من هنا فان صلاح و فساد أی مجتمع مرهون بصلاح و فساد شبابه. إن تاریخ و قصص الأنبیاء، تبین لنا أن أول من آمنوا بهم و أوجدوا تحرکاً فی ساحة الصراع الاجتماعی و دافعوا عن العقیدة و القیم السماویة هم فئة الشباب. و من هنا فان المؤمرات الشیطانیة إستهدفت هویة الشباب و افکارهم و عقولهم و ذلک من أجل القضاء علی قدراتهم علی المقاومة، و علی هذا الأساس فان کل ما نقدمه و نبذله فی سبیل تربیة و تعلیم هذه الشریحة المهمة و تهذیب نفوسهم و تزکیتها یعتبر قلیلًا. ان الجانب العقائدی و الایمان بالقیم الاخلاقیة فی الاسلام یمثل الاساس و المحور لجمیع النشاطات و الفعالیات فی المجتمع الاسلامی فعلیه وجب التخطیط و البرمجة من أجل ترسیخ العقیدة و الایمان فی نفوس الشباب. إن الشاب المؤمن یعتبر کالجبل الصامد لا تزعزعه العواصف العاتیة و لا الحوادث المروعة، و لا ریاح الأزمات العاتیة فهو صامد یواجه هذه العواصف دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶ بایمانه و لن ینحنی امامها حتی تزول، و یحل الهدوء و السلام و تنجلی الغبرة التی ولدتها هذه العواصف. و من هنا فأنی أؤمن بان العقیدة و العلوم الاسلامیة، لابد أن تُطرح و بمنطق قوی و بیان واضح و رصین و بالسلوب جذاب من شأنه أن یوفر للشباب ثقافة تربویة من أول أیام بدء هذه المرحلة المهمة. و انی اذ أشکر اللّه سبحانی و تعالی علی توفیقاته، اذ تمکنت من الفراغ من تألیف هذا الکتاب لاضعه بین یدی أعزائی الشباب، أرجو من اللّه تعالی أن یوفقهم للاستفادة بما یحتویه من دروس عقائدیة و معارف اسلامیة. و قد تمت عملیة ترجمة هذا الکتاب الی اللغات العالمیة المهمة فلقی اقبالًا من لدن شبابنا الاعزاء، و نأمل المزید، فمن خلال مطالعته و استیعابه یتمکن الشاب من أن یتوفر علی حصیلة مناسبة تقدح فی ذهنه نور الایمان لینطلق بواسطة هذا النور و یصبح نموذجاً للانسان المؤمن الرسالی الهادف، و یکون عنصراً مهماً فی المجتمع. ناصر مکارم شیرازی الحوزة العلمیة فی قم المقدسة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷

الفصل الأوّل معرفة اللّه

الدّرس ۱: لماذا البحث و التفکیر حول معرفة خالق الکون؟

معرفة اللّه

۱- إنَّ حبّ الاطلاع و التعرف علی عالم الوجود کامن فی نفوسنا جمیعاً. الجمیع یرید أن یعرف حقیقة أمر: هذه السّماء العالیة

بنجومها الجمیلة، وهذه الارض المنبسطة بمناظرها الخلابة، و هذه الکائنات المتنوعة، و الطیور الجمیلة، والاسماک المختلفة الألوان فی البحار، والزهور، و الورود و النّباتات، و أنواع الاشجار السّامقة، هل وجدت فی هذا الکون بشکل تلقائی، أم أنَّ هذه الصور العجیبة قد رُسمت بید ماهرة قادرة مدبّرة؟ ثمّ إنَّنا إذا تجاوزنا ذلک کلّه، فإنَّ هناک أسئلة تراود أذهاننا لأول وهلة حول هذه الحیاة و هی: من أین جئنا؟ و أین نحن الآن؟ والی أین نحن سائرون؟ و ما أعظم سعادتنا لو إننا استطعنا الإجابة علی هذه الاسئلة! دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰ أی أنْ نعرف کیف بدأت حیاتنا؟ و ما الذی ینبغی نفعله الآن؟ و ما اذا ینبغی نفعله الآن؟ و الی أین سیکون مصیرنا فی النهایة؟ إنَّ روح حبّ الاطلاع فینا تفرض علینا أنْ لا نجلس دون حراک حتی نحصل علی أجوبة لهذه الاسئلة. قد یتفق أن یصاب أحدنا فی حادث سیّارة و یغمی علیه، فیؤخذ الی المستشفی لمعالجته. و عندما یفیق من اغماءته و یتحسن حاله، فیکون أوّل سؤال یطرحه علی من حوله هو: أین أنا؟ لماذا جیء بی الی هنا؟ متی اخرج؟ و هذا یعنی أنَّ الانسان لایستطیع أنْ یلزم جانب الصمت فی مقابل هذه الاسئلة. وعلیه، فإنَّ أوّل مایحملنا علی البحث عن الذات المقدسة و معرفة خالق عالم الوجود هو روح حبّ الاطلاع و التعطش الی معرفة الحقیقة المتأصلة فینا. ۲- عرفان الجمیل: لنفرض أنّک دُعیت الی ولیمة فخمة، هیأ لک صاحبها فیها کلّ أسباب الضیافة الکریمة و رحب بک و وفر لک سبیل الراحة، ولکن بما أنّک قد حضرت الولیمة بصحبة أخیک الأکبر الذی دعاک الیها، فلم تعرف مضیفک حقّ المعرفة. لذلک فانک عندما تجد کل هذه الحفاوة و التکریم من صاحب البیت، یکون جلّ همک أن تتعرف علیه لکی تقدم له مایستحقه من الثناءو الشکر اعترافاً بجمیله. و الحال کذلک عندما ننظر الی مائدة الخلق الواسعة حیث نجد علیها مختلف أصناف النّعم و قد وضعت تحت تصرفنا: فالعیون للابصار، و الآذان للسمع، و العقول و الذکاء، و القوی الجسمیة و النفسیة المتنوعة، و مختلف سبل العیش، و الرزق الطیب الطاهر، کلّها قد عرضت علی هذه المائدة الفسیحة الفخمة، فیتجه دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱ فکرنا دون إرادة الی ضرورة معرفة واهب کلّ هذه النّعم لکی نقدم له أنواع الشکر و إنْ لم یکن بحاجة الی شیء من شکرنا، و ما لم نفعل ذلک نشعر بعدم الراحة و کأنما لم نف بالغرض. و هذا دافع آخر یدفعنا للبحث عن اللَّه و معرفته. ۳- حساب الرّبح و الخسارة فی هذه القضیة: افرض إنَّک فی سفر و قد بلغت مفرق طرق أربعة حیث تسمع الناس یعلنون أنْ لا تمکثوا فی هذا المکان، ففیه اخطار کبیرة. إلّاأنَّ کل فریق یدعوک الی سلوک أحد تلک الطّرق، فهذا یقول: أفضل طریق هذا الذی یتجه الی الشرق. و یقول فریق آخر: بل الطریق المؤدی الی الغرب و فریق ثالث یدعوک الی طریق وسط بین الطّریقین، قائلًا: أنَّه الطریق الوحید الذی ینجیک من المخاطر و یوصلک الی حیث الأمن و الأمان و کلّ أنواع السعادة. فهل یجوز لک أن تسلک أحد تلک السبل دون تمعّن أو دراسة؟ أم هل یرتضی لنا العقل أنْ نمکث هناک دون أن نختار واحداً من تلک الطّرق؟ بالطبع سیکون الجواب بالنفی. إنَّ العقل ینصحنا بأن نبادر فوراً الی دراسة الوضع و تمحیص أقوال کل فریق بدقة، فاذا وجدنا فی أقوال أحد الفرق أدلة مقنعة تشتمل علی الصدق و الصحة أخذنا بها، و سلکنا ذلک الطریق بکل اطمئنان وثقة. و هکذا نحن فی هذه الدّنیا، حیث نجد مختلف المذاهب والاتجاهات تدعونا إلیها. ولکن لما کان مصیرنا و سعادتنا و شقائنا یقدمنا و یؤخرنا و کلّها منوطة بدراسة هذه الاتجاهات و اختیار أفضلها، فإنَّنا لانجد بداً من أنْ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲ نفکر فی الامر، لاختیار الطریق الذی یؤدی بنا الی التقدم و التکامل، و تجنّب الطریق الذی یوصلنا الی منزلق التعاسة و الفساد و الشقاء. و هذا دافع آخر یدفعنا لإمعان الفکر فی خالق عالم الوجود. یقول القرآن الکریم: ی فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ القَولَ فَیَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ ی. «۱» فکّر وأجب: ۱- هل سبق لک أنْ فکرت بجدّ فی معرفة اللَّه، بغیر الذی سمعته من والدیک؟ ۲- هل تستطیع أنْ تذکر الفرق بین البحث عن اللَّه و معرفة اللَّه؟ ۳- هل شعرت بنوع من اللّذة الرّوحیة العمیقة و أنت تدعو اللَّه وتناجیه؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳

الدّرس ۲ آثار معرفة اللَّه فی حیاتنا

۱- معرفة اللَّه و التطور العلمی

لنفرض أنَّ صدیقاً لک جاء من سفر و جلب لک معه کتاباً بعنوان هدیة، و قال لک أنَّه کتاب ثمین لأنَّ مؤلّفه من کبار العلماء، ذوی الخبرة و الاطلاع، و هو ضلیع فی تخصصه، و یعتبر استاذاً نابغة. و بناء علی ذلک سوف لاتقرأ الکتاب قراءة عابرة، بل بالعکس، تحاول أنْ تکون دقیقاً فی قراءتک الکتاب و تتمعّن فی عباراته و حتی کلماته، و إذا لم تفهم عبارة منها فانک تقضی الساعات، و ربّما الایّام المتوالیة، تفکر فی تلک العبارة کلّما سخت لک الفرصة لعلک تدرک معناها لمعرفتک أنَّ المؤلف لیس شخصاً عادیاً، بل هو عالم کبیر لایکتب شیئاً إلّابحساب. ولکن إذا قالوا لک إنَّ الکتاب و إنْ کان جمیل المظهر، إلّاأنَّ مؤلّفه رجل قلیل المعرفة، ضعیف الدّرایة و لایعتمد علی أقواله. فلا شک أنَّک قد لا تلقی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴ علی الکتاب سوی نظرة عابرة، و إذا طالعتک جملة غیر مفهومة قلت: هذا دلیل علی جهل المؤلف، و إنَّ الکتاب لایستحق إضاعة الوقت الذی یقضیه المرء فی مطالعته. إن عالم الوجود هذا أشبه بکتاب ضخم، کلّ کائن فیه یمثل کلمة أو جملة. فمن وجهة نظر الانسان المؤمن باللَّه، تعتبر کلّ ذرّة فی هذا الکون جدیرة بالدراسة. أن المؤمن- و هو غارق فی أنوار عبادة اللَّه- یباشر بدراسة أسرار الخلیقة بکل دقة و تفحص (و هذا مایساعد علی تقدم العلوم الانسانیة)، لانَّه یعلم أنَّ خالق هذه الاجهزة و النُظُم لا یدانیه أحد فی علمه و قدرته، و انَّ لکلّ عمل من أعماله حکمة و غایة، لذلک فإنَّه یتحرّی الدّقة فی دراسته وأبحاثه لیتسنی له إدراک أسرارها. أمّا الانسان المادی فلا یملک دافعاً یدفعه لدراسة أسرار الخلیقة، لانّه یعتبر خالقها هو الطّبیعة الصماء التی لاشعور لها. أمّا العلماء المادیون من المخترعین و مکتشفی العلوم الطبیعیة، فانّهم غالباً مایعترفون بوجود اللَّه، و إنْ أطلقوا علیه اسم «الطّبیعة» التی یرون فی عملها «نظاماً» و «حساباً» و «تخطیطاً». إذن، عبادة اللَّه وسیلة من وسائل تقدم العلوم.

۲- معرفة اللَّه والسّعی والأمل

عندما یواجه الانسان الحوادث الصعبة و المعقدة و العوائق فی حیاته، و تبدو کل الابواب و کأنَّها قد اغلقت فی وجهه و یحس بضعفه و وحدته فی مواجهة المشکلات، یهبّ ایمانه باللَّه الی عونه و تقویة معنویاته. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵ إنَّ المؤمنین باللَّه لایرون أنفسهم لوحدهم و لا یحسون بالضعف، ولاینتابهم الیأس، لانّهم یؤمنون بأنَّ قدرة اللَّه أکبر من کلّ مشکلة، و أنَّ کلّ شیء عنده سهل یسیر. إنّهم یحتمون بلطف اللَّه و رعایته و عونه، و ینهضون لمقارعة الخطوب و الصعاب مستفیدین من کل قواهم، یدفعهم حبّ اللَّه و الأمل فیه الی الاستمرار فی بذل المساعی، فیتغلبون علی الصّعاب و المشاکل. أجل، فالایمان باللَّه سند عظیم للانسان. الایمان باللَّه مدعاة للثّبات و الشّجاعة. الایمان باللَّه یحیی فی القلوب نور الأمل دائماً و لهذا لا یقدم المؤمن علی الانتحار، لأنّ الاقدام علی قتل النفس إنّما هو دلیل علی الیأس و القنوط النّابعین من الاحساس بالهزیمة، المؤمن لاییأس و لاینهزم.

۳- معرفة اللَّه و الشّعور بالمسؤولیة

ثمّة أطباء إذا راجعهم مرضی فقراء فانَّهم فضلًا عن عدم مطالبتهم إیّاهم باجرة العلاج و الطبابة، یعطونهم ثمن الدّواء أیضاً، فاذا ما بل أحسوا بأنَّ مریضهم فی حالة خطرة قضوا اللیل ساهرین الی جنبه فی بیته المتواضع. هؤلاء اناس یخشون اللَّه و یؤمنون به. غیر أن هناک أطباء آخرین لا یتقدمون خطوة واحدة لمساعدة مریض قبل أنْ یتقاضوا أجرهم، و ذلک لضعف إیمانهم. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶ إنَّ الانسان المؤمن مهما کانت حرفته فإنَّه یشعر بالمسؤولیة، و یعرف واجبه، ویعمل الخیر و یکون متسامحاً، إنَّه یشعر دائماً بوجود رقیب فی أعماقه یراقب أعماله. أمّا الانسان غیر المؤمن فانه شخص أنانی، عنید، خطر، لایتحمل أیة مسؤولیة، و لایری غضاضة فی ظلم الآخرین و الاعتداء علی حقوقهم، و قلّما یقوم بأعمال صالحة.

۴- معرفة اللَّه والاطمئنان

یقول علماء النفس إن الامراض النّفسیة منتشرة فی أیّامنا هذه أکثر ممّا کانت فی السّابق. و یقولون إنَّ أحد عوامل هذه الامراض هو القلق- القلق من حوادث المستقبل، القلق من الموت، القلق من الحرب، القلق من الفقر، و القلق من الاخفاق. ویضیف هؤلاء: إنَّ ممّا یساعد علی إزالة القلق من روح الانسان هو الایمان باللّه، فکلما نفذت عوامل القلق الی نفس المؤمن أبعدها الایمان باللّه عنه- ذلک اللّه الرّحیم، الرّزاق، العالم بأحوال عباده، الذی یعینهم کلّما اتجهوا إلیه فی طلب العون، و یزیل عنهم دواعی القلق و الخوف. ولهذا نجد المؤمن یعمل فی الحق مطمئن النفس، لامکان للقلق فی نفسه. و بما أنَّ المؤمن یعمل فی سبیل اللّه، فاذا واجه ضرراً یتوجّه الی اللّه یطلب منه دفع الضّرر، و الابتسامة لاتفارق شفتیه حتی فی ساحة الوغی. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷ قال اللّه فی کتابه الکریم: ی الّذِینَ آمَنُوا وَلَمْ یَلْبِسُوا إِیمانَهُم بِظُلْمٍ اولئِکَ لَهُمُ الأَمْنُ ی. «۱» فکر وأجب ۱- هل تعرف حکایة من تاریخ الماضین تتحدث عن مظاهر الایمان و آثاره التی ذکرناها؟ ۲- هل تعلم لماذا نجد أشخاصاً یزعمون أنّهم یؤمنون باللّه، و مع ذلک نراهم بعیدین عن الاخلاق الحسنة، ولانری فیهم أیّاً من الآثار الاربعة المذکورة؟

الدّرس ۳ طریقان لمعرفة اللّه

اشارة

لقد کتبت کتب کثیرة منذ أقدم الازمنة و حتی الیوم، وجرت بحوث و مساجلات عدیدة بین العلماء و المفکرین حول معرفة اللّه. کلّ فریق من هؤلاء اختار للوصول الی هذه الحقیقة طریقاً خاصاً، غیر أنَّ أفضل الطرق و أسرعها فی ایصالنا الی مبدأ عالم الوجود طریقان اثنان: الف) طریق من الدّاخل (أقرب الطرق) ب) طریق من الخارج (أوضح الطرق) نبدأ أوّلًا بالغور فی أعماقنا لنسمع نداء التوحید من داخلنا، و فی المرحلة التالیة نسیح فی عالم الخلیقة الشّاسع لنری آیات اللّه فی سیماء کلّ الموجودات و فی قلب کل الذّرات. إنَّ فی کلّ من هذین الطریقین بحوثاً مسهبة، إلّاأنّنا سوف نسعی فی مقالة موجزة الی بحث کلّاً من هذین الطریقین بحثاً مجملًا.

طریق الدّاخل

دعونا نفکّر فی المواضیع التّالیة: ۱- یقول العلماء: إنَّ أی شخص، مهما کان أصله و طبقته، إذا ترک و شأنه دون تعلیم أو ارشاد، و دون أنْ یسمع آراء المؤمنین و الملحدین، فانه یتّجه بذاته نحو قوة قادرة قاهرة ترتفع فوق عالم المادة و تحکم الکون بأسره. إنَّ هذا الانسان یحس أن فی أعماق قلبه وزوایا نفسه نداءً لطیفاً مفعماً بالمحبّة و الرّحمة، و فی الوقت نفسه مکین و ثابت، یدعوه الی المبدأ العظیم و القادر العلیم الذی ندعوه: اللّه. و ذلک هو نداء الفطرة الطاهرة! ۲- وقد ینجرف هذا الشخص مع التیار المادی و حرکة الحیاة الیومیة الزّاخرة بالبهرجة و الزّینة، فینشغل بها موقتاً عن سماع ذلک النداء. و لکنه عندما یواجه الشّدائد و المشکلات و المحن، و عندما تهاجمه الحوادث الطبیعیة المروعة و المخیفة، کالسیول و الزّلازل و الفیضانات و لحظات القلق عند سفره فی طائرة تتلاعب بها العواصف. نعم، عندما تقصر یده عن الوصول الی عون مادی، و لایجد ملجأ یلوذ به، یقوی هذا النداء فی داخله، و یحس أن فی کیانه قوّة تجتذبه نحوها، قوّة هی فوق کلّ القوی، و قدرة غامضة یسهل علیها حلّ جمیع المشکلات بیسر. قلیل جداً من النّاس من لا یتّجه الی خالقه عند مواجهة الازمات و دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۱ الشّدائد، و لایتذکر اللّه من دون ارادته. هذا الامر هو الذی یدلّنا علی مدی قربنا منه، و مدی قربه منّا، بل إنَّه فی أرواحنا و ضمائرنا. إنَّ نداء الفطرة موجود دائماً فی وجدان الانسان، و لکنه یقوی فی هذه اللحظات. ۳- یکشف لنا التّاریخ أنَّ رجالًا من ذوی السّلطة و الجاه کانوا فی الاوقات العادیة یأنفون من ذکر اسم اللّه، ولکنّهم إذا ما شعروا بأنَّ قواعد سلطتهم أخذت تهوی، و أنَّ قصور و جودهم بدأت تنهار، راحوا یمدون ید التوسل الی هذا المبدأ العظیم، لإنّ نداء الفطرة عاد یرن فی اسماعهم بجلاء من جدید. یقول التاریخ: عندما أوشک فرعون علی الغرق فی أمواج النیل

المتلاطمة، و رأی أنَّ هذا الماء الذی کان سبب إحیاء بلاده و أساس قوته المادیة، قد أصدر علیه حکماً بالاعدام، و أنّه عاجز حتی عن دفع أمواج هذا الماء، و أنَّ یده قاصرة عن نفعه فی شیء، أخذ یصرخ عالیاً: لا إله ولا معبود سوی إله موسی العظیم. لقد صدرت هذه الصرخة فی الحقیقة، من فطرته الباطنیة، و لایقتصر هذا علی فرعون، فکلّ من یمر بظروف مماثلة یسمع هذا النداء من أعماق نفسه؟ ۴- إذا رجعت الی أعماق نفسک وجدت أنَّ هناک نوراً یتلألأ ـ فی باطنک و یدعوک الی اللَّه. و لعلک قد صادفت فی حیاتک بعض الازمات الشّدیدة و دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲ إنسدت بوجهک الطّرق کافة بحیث أنک یئست من العثور علی الحل و العلاـج. لاشک أنَّک فی مثل هذه الحالات قد خطرت لک حقیقة وجود قوة قادرة فی عالم الوجود تستطیع أنْ تحل مشکلتک بکل سهولة. فی تلک اللحظات تشعر انک قد غمرک أمل یمازجه فی داخلک حبّ تلک القوة العظیمة، و أنَّ ذلک الأمل قد أزاح عن قلبک کلّ سحب الیأس القاتمة. نعم، هذا هو أقصر الطرق التی تبدأ من داخل المرء للوصول الی اللَّه، بارىء الخلق و موجد الکون. سؤال مهم: اذا قلت: قد یخطر لاحدکم أنْ یسأل نفسه هذا السّؤال: ألا یحتمل أنْ یکون لثقافة المحیط و تلقینات والدی أثر فی أنْ أتجه هذا الاتجاه فی الظروف العصیبة، فأرفع یدی الی اللَّه أطلب عونه؟ قلنا: إنَّ لک الحقّ فی أنْ یخطر فی بالک هذا السّؤال، ولدینا الجواب المقنع الذی سنورده فی الدّرس الآتی. یقول اللَّه فی کتابه الکریم: ی فَإذا رَکِبُوا فِی الفُلْکِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ الی البَرِّ إذا هُمْ یُشْرِکُونَی. «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳ فکر وأجب ۱- حاول أنْ تحفظ هذه الآیة التی ذکرناها أعلاه برقمها و سورتها و تفسیرها لکی تتعرف علی لغة القرآن تدریجیاً. ۲- هل اتفق لک أنَّ واجهت حادثا معقداً صعباً ولم تجد حولک من تستعین به سوی الأمل فی لطف اللَّه تعالی؟ إشرح ذلک فی مقالة أو فی خطاب قصیر. ۳- لماذا نعتبر هذا الطریق أقصر الطرق؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵

الدّرس ۴ جواب سؤال الدرس السابق

تقدّم فی الدّرس السّابق کیف أنَّنا نسمع نداء التوحید و عبادة اللَّه دائماً من أعماقنا، و إنَّ هذا النداء یقوی و یشتد عند مواجهة المشکلات و الصعاب، فنتذکر اللَّه دون إرادة و نستعین بلطفه اللامحدود و محبّته الشاملة اللامتناهیین. هنا قد یسأل سائل: إنَّ هذا الاحساس الدّاخلی الذی نصفه بأنه فطری، ألایحتمل أنْ یکون من تأثیر المحیط الاجتماعی وتلقینات الأبوین والمعلمین فی البیت والمدرسة حتی أضحی عادة مألوفة؟ الجواب: جواب هذا السّؤال یتبین بوضوح من خلال ملاحظة المقدمة القصیرة التالیة: إنَّ العادات و الرّسوم امور طارئة متغیرة و غیر ثابتة. أی إنَّنا لایمکن دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶ أنْ نجد عادة من العادات ظلت ساریة المفعول بین البشر علی إمتداد التاریخ. إنَّ العادة السائدة الیوم قد تتغیر غداً، کما أن عادات قوم و تقالیدهم قد لاتکون کذلک عند أقوام آخرین. و بناء علی ذلک، إذا رأینا أمراً موجوداً لدی کل الاقوام و الملل و فی کل عصر وزمان، بدون استثناء، أدرکنا أنّه لابدّ أنْ تکون له جذور فطریة و أنَّه یمثل جزءاً من کوین‌الانسان و نسیجه. من ذلک تعلق الامّ بولیدها، فلا یمکن أنْ یکون هذا الدّافع نتیجة الإیحاء والتلقین ولا عادة من العادات، لأنّنا لا یمکن أنْ نجد بین قوم من الاقوام أو شعب من الشعوب فی أی عصر وزمان علی امّ تجفو ولیدها وترفضه. بدیهی أنّ هناک استثناءات شاذة نجد فیها امّاً تقتل ولیدها بسبب ابتلاءها ببعض الامراض النّفسانیة، أو نری أباً فی العصر الجاهلی یئد إبنته متأثراً بمعتقدات خرافیة خاطئة. فهذه حالات نادرة سریعة الزّوال، انقرضت بسرعة و عادت الحالة الی وضعها الطبیعی و هو حبّ الابوین لاطفالهما. بعد هذه المقدّمة نلقی نظرة علی قضیة عبادة اللَّه فی الماضی و الحاضر: (بالنظر لکون هدا الدّرس فیه نوع من التعقید فیرجی التمعن فی قراءة الاجابة.) ۱- یؤکد علماء الاجتماع و المؤرخون المشهورون أنَّ البشریة لم یمرّ بها زمان یخلو من الدین أو الایمان و الاعتقاد بشیء، فقد کان الدّین موجوداً فی کل دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷ عصر وزمان. وهذا دلیل بیّن علی أنَّ عبادة اللَّه تنبع من فطرة الانسان و ضمیره، ولا دخل للتلقین و الرسوم و التقالید العادات فیها، إذ لو کان للعادات و التقالید أی أثر فی إیجاد الدین لما کان عامّاً ولا خالداً. هنالک قرائن تدل علی أنَّ انسان ماقبل التاریخ کان یدین بنوع من

الدّین (عصور ماقبل التاریخ تطلق علی الازمنة التی مرّت علی الانسان قبل اختراع الکتابة، یوم لم یستطع أنْ یترک وراءه کتابات تدلّ علیه). بدیهی أنَّ الانسان القدیم البدائی لم یکن قادراً علی تصور اللَّه وجوداً فوق الطبیعة، لذلک کان یبحث عنه بین الکائنات الطبیعیة، وراح یصطنع لنفسه آلهة أصناماً من بین الکائنات الطبیعیة، ولکن الانسان بتقدمه الفکری استطاع بالتدریج أن یهتدی الی الحقیقة، و أنْ یشیح بوجهه عن الاصنام و هی أشیاء مادیة، و یتجه الی ماوراء هذا العالم المادی و یتعرف علی قدرة اللَّه العظیمة. ۲- یصرح بعض علماء النفس بأنَّ لروح الانسان أبعاداً أربعة أو حواس أربعة: الف) حاسة المعرفة: و هی التی تدفع الانسان و تحثه علی طلب العلم و تثیر فی نفسه الشوق الی التعلم، سواء کان ذلک ذا نفع مادی له، أم لم یکن. ب) حاسة حب الصّلاح: و هی مصدر الاخلاق الانسانیة الصالحة لدی البشر. ج) حاسة حب الجمال: و هی منشأ ظهور الشعر و الادب والفن بمعانیها الحقیقیة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸ د) حاسة التوجه الدّینی: و هی الحاسة التی تدفع الانسان الی معرفة اللَّه وإطاعة أوامره. و علی هذا فإنَّ الحس الدینی ذو جذور أصیلة فی الانسان، أی أنه لم یفارقه لحظة ولن یفارقه أبداً. ۳- سوف نلاحظ فی البحوث القادمة ان معظم الماديين و الملحدین یعترفون بشکل ما بوجود اللَّه، علی الرغم من أنّهم یمتنعون عن ذکر اسمه الصریح، و إنّما یطلقون علیه اسم الطبیعة أو أسماء اخری، ولکنّهم یعزون الی الطبیعة صفات أشبه بصفات اللَّه تعالی. یقولون مثلًا: إذا کانت الطبیعة قد وهبت الانسان کلیتین فذلک لأنّها تعلم احتمال اصابة أحداهما، فتقوم الاخری باداء وظائف الجسم الحیاتیة، و ما الی ذلک من الاقوال. فهل ینسجم هذا القول مع طبیعة لاتعقل، أم ینسجم مع إله یتصف بعلم لانهایة له، و ولو اطلقوا علیه اسم الطبیعة؟ نستنتج ممّا مرّ بنا فی البحث الامور التّالیة: حبّ اللَّه کان فینا دائماً و سیکون فینا دائماً أیضاً. الایمان باللَّه شعلة خالدة تدفیء قلب الانسان وروحه. لکی نعرف اللَّه لسنا مضطرین للسیر مسافات طویلة، بل علینا أنْ ننظر فی اعماقنا لنجد الایمان به هناک. یقول القرآن الکریم: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹ ی وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِیْدِی. «۱» فکر وأجب ۱- هات أمثلة علی العادات، وأمثلة علی الفطرة. ۲- لماذا کان الجهلاء یعبدون الاصنام؟ ۳- لماذا یطلق الماديون اسم «الطبیعة» علی اللَّه؟

الدّرس ۵ قصّة واقعیة

قلنا إنَّ الذین ینکرون اللَّه بألسنتهم، إنَّما هم یؤمنون باللَّه فی أعماقهم. و لاشک أنَّ إنجازات الانسان وانتصاراته تثیر فی نفسه الغرور، وخاصة إذا کان هذا الانسان ضیق الافق. و هذا الغرور یؤدی به الی النسیان، بحیث ینسی أحیاناً حتی نظریاته. ولکن عندما تتوالی علیه ضروب الحوادث فی الحیاة، وتعصف به ریاح المشاکل من کل جانب. تنکشف عن عینیه غشاوة الغرور، و تتجلّی فیه فطرة التوحید. إنَّ فی التاریخ نماذج کثیرة لمثل هذا الانسان. وفیما یلی نموذج لواحد من هؤلاء: کان هناک وزیر یتمتع بقوة و سلطة واسعة، أمسک بکل أزمة القدرة، ولم یکن هناک من یستطیع معارضته. حضر هذا الوزیر یوماً فی مجلس ضم جمعاً من رجال الدین و العلماء، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲ فخاطبهم بلهجة ملیئة بالغرور: الی متی تدّعون بان للعالم ربّاً؟ إنَّ عندی ألف دلیل یدحض قولکم هذا. و کان العلماء الحاضرون یعلمون أنَّ هذا الوزیر لیس من أهل المنطق والبرهان، و أنه مغرور بقدرته بحیث أنَّ أیة کلمة حق لا تؤثر فیه، ولذا التزموا الصّمت أمامه، صمت ملیء بالمعانی والازدراء. بعد ذلک مضتْ الایّام حتی جاء یوم اتهمت فیه الحکومة هذا الوزیر بالجریمة، و القت القبض علیه و اودعته السجن. عندئذ خطر لأحد العلماء الذین کانوا من الحاضرین فی ذلک المجلس أنَّ ینبه هذا الوزیر علی خطأه بعد أنْ ترجل عن صهوة غروره، وازیحت عن عینیه حجب الانانیة، و استیقظت فیه مشاعر تقبل الحق، فقد تنفعه النصیحة. فطلب من المسؤولین السماح له بمقابلة الوزیر: فاذنوا له، ولمّا اقترب من زنزانته وجد أنَّه وحید فیها، وهو یذرع أرض الغرفة جیئة وذهاباً مفکراً ویهمهم ببضعة أبیات من الشعر، مفادها: إنَّنا نشبه صورة أسد منقوش علی علم و کأنه وثب للهجوم، ولکنه فی الحقیقة لایفعل شیئاً، إنّما الریح هی التی تحرک الرایة فیبد و الاسد مهاجماً، فنحن مهما عظمت قدرتنا فاننا لانملک شیئاً فی ذواتنا. إنَّ اللَّه الذی منحنا القدرة قادر علی أنْ یسلبها منّا وقتما یشاء. لاحظ العالم أنَّ الرجل فضلًا عن کونه لاینکر وجود اللَّه، فانه قد

أصبح یعرفه حق المعرفة. فتقدم إلیه، و بعد ما تفقد أحواله، سأله قائلًا: أتذْکر یوم قلت أنَّ عندک ألف دلیل علی عدم وجود اللّه؟ لقد جئت لادحض أدلتک الالف دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳ بدلیل واحد و هو: أنَّ اللّه هو ذلک الذی سلبک فی لحظة واحدة کل تلک القدرة التی کانت لدیک. فأطرق الوزیر برأسه خجلًا ولم یقل شیئاً، لانه إعترف بخطئه بعد أنْ رأی نور اللّه فی داخله. یخاطب القرآن المجید فرعون قائلًا: ی حَتّی إذا أدْرَکَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أنَّهُ لا إلهَ إلّاالّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا اسرائِیلَ ی. «۱» فکر وأجب ۱- اکتب نتیجة هذه القصّة فی بضعة سطور. ۲- لماذا سُمّی بنوا اسرائیل ببنی اسرائیل؟ ۳- من هو فرعون؟ أین کان یعیش؟ وماذا کان یدّعی؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۵

الدّرس ۶ الطّریق الثّانی لمعرفة اللّه

طریق من الخارج

من خلال نظرة عابرة الی هذا العالم الذی نعیش فیه، ندرک أنَّ عالم الوجود هذا لیس فیه اضطراب ولا ارتباک، بل إنَّ لجمیع ظواهر الحیاة خطاً معیناً تسیر علیه، فهی أشبه بجیش ضخم مقسم الی وحدات منظمة تتحرک جمیعاً نحو هدف معین. و النقاط التالیة تدعم ما ورد فی هذه المقدمة عن هذا الموضوع: ۱- لظهور أی کائن و بقائه حیاً فی هذا العالم لابدّ من تظافر عدد من القوانین و نوعاً من الظروف الخاصة لبلوغ ذلک الهدف. فمثلًا، لکی تظهر شجرة الی عالم الوجود، لابدّ من توفر الارض، والماء و الهواء المناسب، والحرارة اللازمة، و لکی نزرع البذرة، فتتغذی، و تتنفس، و تخضر وتنمو. فاذا لم تتوفر هذه الامور استحال أمر ظهور النبتة و نموها لکی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۶ تصبح شجرة. إنَّ تهیئة هذه الظّروف والشّروط تتطلب عقلًا ومعرفة. ۲- إنَّ لکلّ کائن خصائص یختص بها دون غیره. فللماء صفات و للنار خصائص لاتنفصل عنها وتتبع قوانین ثابتة. ۳- جمیع أعضاء الکائن الحی تتعاون فیما بینها، فاعضاء الجسم تعمل- بوعی أو بغیر وعی- بانسجام تام بعضها مع بعض. فاذا ما واجه الجسم خطراً تأهبت الاعضاء للدفاع عنه. إنَّ هذا الترابط والانسجام فی العمل دلیل آخر علی وجود النظام فی عالم الوجود. ۴- إنَّ نظرة واحدة الی العالم تکشف لنا أنَّ الترابط والانسجام والتعاون فی العمل لیست مقتصرة علی أعضاء الجسم الواحد، بل إنَّ فی کافة الکائنات العالم تتعاون فیما بینها، فلبقاء الکائنات تطلع الشمس و ینزل المطر وتهب الرّیاح و تتظافر معها الارض ومنابعها من أجل الوصول الی هذا الهدف. وهذا دلیل وجود نظام معین یشمل عالم الوجود کلّه.

العلاقة بین «العقل» و «النظام»

کلُّ امرىء لابدّ أنْ یعترف فی قرارة نفسه بهذه الحقیقةً، و هی أن وجود النظام دلیلٌ علی أنَّ وراءه عقلًا مفکراً و مخططاً و هادفاً. فحیثما شاهد الانسان نظاماً ثابتاً یخضع لقوانین معینة أدرک أن وراءه مصدراً للعلم والقدرة، ولا یحتاج فی هذا الادراک الوجدانی حاجة کبیرة الی الاستدلال. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۷ إنَّه یعرف أنَّ انساناً امّیاً أعمی لیس له القدرة علی أنَّ یضرب علی الآلة الطابعة مقالة اجتماعیة أو نقداً أدبیاً، مثلًا، أو إنَّ طفلًا فی الثانیة من عمره لایمکنه بامرار قلمه علی الورق عشوائیاً أن یرسم لوحة جمیلة قیمة. إنَّنا إذا طالعنا انشاء جیداً أو مقالة رائعة أدرکنا فوراً أنَّ کاتبها انسان مثقف متمیز بالذکاء و العقل. کذلک إذا شاهدنا فی متحف لوحة جمیلة جذابة لانشک لحظة فی أنَّ الذی رسمها کان فناناً ماهراً، علی الرّغم من أنَّنا لم نر ذلک الفنان بشخصه. بناء علی ذلک حیثما رأینا جهازاً منظماً علمنا أنَّ وراءه عقلًا ذکیاً. وکلّما کان ذلک الجهاز أکبر وأدق وأروع کان العقل والعلم اللذین أوجداه أکبر وأعظم أیضاً. ولاثبات أنَّ کلّ جهاز منظم یحتاج فی إیجاده الی عقل و علم، یستفید علماء الطبیعة أحیاناً من قانون (حساب الاحتمالات) المعروف فی الریاضیات العالیة، فیبرهنون مثلًا، علی أنَّ الشخص الأُمّی إذا أراد أنْ یکتب مقالة أو شعراً بمجرد الضغط

عشوائیاً علی ازرار حروف الآلة الطابعة بصورة عفویة وتصادفیة، فإنَّ ذلک- بحساب الاحتمالات- یستغرق بلایین السنین، بحیث لایکفی حتی عمر الکرة الارضیة لانجاز ذلک، (للمزید من التوضیح یمکن الرّجوع الی کتاب «خالق العالم» أو «فی البحث عن اللّه»). دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۸ یقول القرآن الکریم: ی سَنُرِیهِمْ آیاتِنَا فِی الآفاقِ وَفِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیءٍ شَهِیْدٌی. «۱» فکر وأجب ۱- هات بعض الامثلة (غیر التی ذکرت فی الدّرس) علی أجهزة صناعیة ندرک عند مشاهدتها أنَّ إیجادها یستلزم وجود صانع علیم. ۲- ما الفرق بین «آفاق» و «أنفس»؟ هات أمثلة علی آیات اللّه فی الآفاق وفی الأنفس. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۹

الدّرس ۷ نماذج من نظام الخلق

اشارة

إنَّ مظاهر «النّظام» و «الهدفیة» و «التّخطیط» واضحة جلیة فی جمیع أرجاء عالم الوجود. هنا نورد لکم بعض النماذج الکبیرة والصغیرة علی ما قلناه: إنْ تقدم العلوم الطّبیعیة والکشف عن أسرار عالم الطبیعة و عجائب و دقائق خلق الانسان والحیوان والنّبات، وبناء الخلیة والذّرة العجیب، ونظام المنظومات الشّمسیة والنّجوم المحیر للعقول وأمثال ذلک قد فتحت أمامنا أبواب معرفة اللّه بحیث نستطیع القول باطمئنان وثقة بأنَّ جمیع کتب العلوم الطبیعیة هی کتب تدعو الی التوحید و معرفة اللّه، و أنَّها تتضمن دروساً فی عظمة اللّه خالق هذا الکون، لأنَّها تزیح الستار عن نظام الخلق المدهش فی هذا العالم، و تدلنا علی مدی عظمة خالق هذا الکون وقدرته.

۱- مقر قیادة مملکة الجسم

اشارة

تحتوی جمجمتنا علی مادة رمادیة اللّون یطلق علیها اسم «المخ». و المخ هذا یعتبر من أهم أجهزة أجسامنا وأدقها. لان وظیفته هی قیادة جمیع أجهزة الجسم الاخری وادارة شؤونها. ولکی ندرک أهمیة هذا المرکز العظیم، یجدر بنا أنْ ننقل الیکم هذا الخبر: أوردت الصحف خبراً مفاده أنَّ طالباً شاباً من مدینة شیراز قد اصیب فی حادث سیارة فی مدینة خوزستان بضربة فی رأسة دون أنْ یصاب ظاهراً بمکروه آخر فی جسمه و کانت جمیع أعضاؤه سالمة، ولکن العجیب فی أمره أنّه نسی کل ما یتعلق بماضی حیاته. کان تفکیره سلیماً، یدرک الاشیاء. ولکنه إذا رأی أبویه لم یعرفهما. واذا قیل له أنَّ هذه امّک. إنتابه العجب. أخذوه الی بیته فی شیراز، وأروه ماکان قد صنعه بیدیه وعلقه علی الجدران من الاعمال الیدویة، وقالوا له إنّه هو الذی صنع کل هذه الاشیاء بنفسه. فکان یظهر العجب ویقول أنَّه یراها لاوّل مرّة فی حیاته. تبین من ذلک أنَّ الضربة التی أصابت رأسه أثرت علی مخه، فقد قطعت (الأعصاب) التی تربط بین فکره وحافظته، وکأنَّ عطباً أصاب (الفیوز) الکهربائی الموجود فی حافظته فغرقت فی ظلام تام وأخفت ذکریاته کلها. و لعل هذا (الفیوز) الذی أصابه العطب لایزید حجمه علی رأس الابرة، ولکن لاحظ مدی تأثیره فی حیاته. من هنا یتضح لنا مقدار تعقید جهاز المخ و الجملة العصبیة و أهمیته. یتألف الدّماغ والجهاز العصبی من قسمین متمیزین: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۴۱ ۱- مجموعة الأعصاب الارادیة التی تسیطر علی جمیع فعالیاتنا الاختیاریة، کالمشی، والنظر، والتکلم، وغیرها. ۲- مجموعة الأعصاب الغیر الارادیة التی تسیطر علی الحرکات اللاإرادیة، مثل حرکة القلب و حرکة المعدة وغیرهما، فتدیر أعمالها، بحیث أنَّ اصابة هذا الجانب من الدّماغ بعطب یکفی لایقاف القلب أو أی جهاز لا إرادی آخر عن العمل.

المخ أعجب الاجهزة

«المخ» هو مرکز الذّکاء والارادة، والاحساس، و الحافظة، وعلی ذلک فهو من أشد أجهزة الدّماغ حساسیة، وإلیه یعزی الکثیر من ردود الأفعال الانفعالیة، کالغضب والخوف وغیرهما. لو ازیل مخ حیوان ما، دون الاضرار بأعصابه، فإنَّ الحیوان یظل حیّاً، ولکنّه یفقد کل قدرة علی الفهم والادراک. من ذلک فانهم عندمارفعوا مخ أحد الطیور من دماغه، فبقی حیاً، ولکنه لم یمیز الحب الذی نثر امامه ولم یلتقط منه شیئاً بالرغم من جوعه واذا اطلقوه فی الهواء کان یطیر حتی یرتطم بحاجز فیقع.

الحافظة العجیبة

من أقسام المخ العجیبة الاخری هو الحافظة. هل خطر لکم مدی غرابة قوّة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۴۲ الحافظة العجیبة؟ وهل فکرتم کیف سیکون سوء حالنا لو أنَّنا فقدنا حافظتنا ساعة واحدة؟ مرکز الحافظة، الذی یشکل جزءاً صغیراً من المخ، یحتفظ بجمیع ذکریاتنا و دقائقها طوال حیاة الانسان. کلّ انسان نتعرف علیه تحتفظ حافظتنا بجمیع خصوصیاته، شکله، لونه، ملابسه، اخلاقه، نفسیته وکل ما ندرکه منه، فتعد له اضبارة خاصّة به. فما أنْ نراه مرّة اخری حتی تقوم حافظتنا باستخراج الاضبارة الخاصة به وتلقی علیها نظرة شاملة، و عندئذ یرشدنا فکرنا الی الطریقة التی یجب أن نعامل بها هذا الشّخص وکیف یجب أنْ یکون سلوکنا معه؟ فاذا کان صدیقاً احترمناه، واذا کان عدواً تحاشیناه. وهذه الامور تجری بسرعة مذهلة بحیث إنَّک لاتکاد تحس بمرور أی فترة زمنیة بین رؤیتک الشخص وظهور رد فعلک ازاءه. إنَّ غرابة هذه الحالة تتضح أکثر إذا أردنا کتابة ما تحتفظ به ذاکرتنا علی الورق أو أنَّ نسجله علی أشرطة التسجیل، لاشک أنَّنا سنحتاج الی مقدار کبیر من الورق أو الاشرطة قد یملأ مخزناً کبیراً. والأعجب من ذلک هو إنَّنا لاستخراج ورقة أو شریط من بین ذلک الحشد نحتاج الی عدد کبیر من الموظفین الموکّلین بحفظها. غیر أنَّ ذاکرتنا تقوم بکل ذلک بسهولة وبکل سرعة.

الطّبیعة غیر العاقلة کیف تخلق العقل؟

لقد ألفت کتب کثیرة فی عجائب المخ، وذکر قسم منها فی الکتب المدرسیة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۴۳ والجامعیة. فهل یمکن أنْ نصدق بأنَّ هذا الجهاز المعقد الدقیق والرقیق والغامض قد صنعته طبیعة فاقدة للعقل؟ بل أشد من ذلک حماقة هو أنَّ تعتبر هذه الطّبیعة العدیمة العقل هی خالقة للعقل! یقول القرآن الکریم: ی ... وَفِی أَنْفُسِکُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَی. «۱» فکر وأجب ۱- هل تعرف أمثلة اخری علی عجائب عمل مخ الانسان؟ ۲- ما التّدابیر التی أوجدها اللّه تعالی للمحافظة علی مخ الانسان أزاء الحوادث المختلفة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۴۵

الدّرس ۸ عالم عجیب فی طائر صغیر

نرید فی هذا الدّرس أنْ نخرج من مملکة جسم الانسان الواسعة، التی لم نکتشف زقاقاً واحداً من مدنها السّبع بعد، لنلقی نظرة علی هذه الزّاویة أوتلک لالتقاط بعض النماذج لنظام الکائنات العجیب. نرمی ببصرنا فی لیلة ظلماء الی السماء فیتراءی لنا طائر غریب بین طیات حجب الظلام کشبح یتضمن الغرائب یطیر جریئاً فی کل اتجاه بحثا عن طعام یتغذی منه. هذا الطائر هو «الخفاش» وکل ما فیه یدعو للدهشة والعجب. وأعجب مافیه هو طیرانه فی اللیل البهیم. إنَّ حرکة الخفاش السریعة فی ظلام اللیل بغیر أنْ یرتطم بأی حاجز من أعجب الامور التی تظهر فیه أسرار جدیدة کلّما تعمقنا فی کشف أسراره القدیمة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۴۶ ولا شک أن هذا الطّائر الذی یطیر فی الظلام بسرعة ودقّة قد لا تدانیهما سرعة الحمامة فی رابعة النهار، ولو لم یتمتع بوجود جهاز یدرک من خلاله وجود الموانع فی مسیر طیرانه لصعب علیه الطیران بهذه السهولة. و لو أطلق الخفاش فی نفق مظلم کثیر الالتواءات والمنعطفات،

و ملوث بالدخان، لاستطاع انْ يتفادى جميع المنعطفات بغير أنْ يصطدم بأى منها أو أنْ تعلق به ذرة من مخلفات الدخان. إن هذه الميزة العجيبة فى الخفاش نشأت من خاصية أشبه بخاصية الرّادار. فلابدّ هنا من معرفة شىء عن جهاز الرّادار لكى ندرك وجوده فى هذا الحيوان الصغير. فى موضوع «الصوت» الموجود فى علم الفيزياء هناك درس عن أمواج ما وراء الصوت، وهى أمواج أطوالها وترددتها من الكثرة بحيث أنَّ أُذن الانسان ليست قادرة على سماعها، ولهذا السبب اطلق عليها اسم الامواج ما وراء الصوت. فعند انبعاث هذه أمواج من مصدر مرسل قوى، تنتشر الى جميع الجهات، ولكنها ما أنْ تصطدم فى الجو بمانع أو حاجز، (مثل طائرات العدو أو أى مانع آخر) تعود، مثل الكرة التى تصطدم بجدار فترتد، أو مثل الصوت الذى نسمع صداه إذا أطلقناه بين الجبال أو امام جدار مرتفع وعلى مسافة معينة. إنَّ الفترة التى تمضيها هذه الامواج فى الارتداد تفيد فى حساب بعد المانع أو الحاجز بصورة دقيقة. كثير من الطائرات والبواخر تهتدى الى طريقها بواسطة الرّادار، فتتجه الى حيث تشاء، كما أنَّها تستفيد من أجهزة الرّادار لمعرفة مكان طائرات الاعداء وبواخرهم. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۴۷ يقول العلماء أنَّ فى جسم هذا الطائر الصّغير جهاز أشبه بجهاز الرّادار. والدّليل على ذلك هو إنَّنا لو أطلقناه فى غرفة مظلمة ووضعنا فيها المايكروفون الخاص بتحويل الامواج فوق الصوتية الى أمواج صوتية قابلة للسمع، لامتلأت الغرفة بأصوات مؤذية للسمع، ويمكن حساب عدد الامواج التى تصدر من الخفاش و هى تبلغ ۳۰ الى ۶۰ ذبذبة فى الثانية. ولكن لكى ترى أى جهاز فى الخفاش يصدر هذه الامواج؟ أى ما هو جهاز الارسال والاستقبال فى الخفاش؟ يقول العلماء فى معرض الاجابة عن هذا السّؤال: إنَّ الخفاش يصدر هذه الامواج عن طريق أوتار حنجرته القوية ويخرجها من منخريه، واذناه الكبيرتان هما جهاز الاستقبال عند ارتداد الامواج اليه. فالخفاش إذن مدين فى جولانه الليلى لُاذنيه. يقول عالم سوفياتى اسمه (ژورين): إنَّ التجربة قد أثبتت أنَّه إذا قطعت اذنا الخفاش لم يعد قادراً على تحاشى الارتطام بالموانع فى الليل، بينما لايتاثر طيرانه الليلى مطلقا إذا ازيلت عيناه، أى أنَّ الخفاش يرى باذنيه، لابعينيه. ألا يُعدُ هذا الأمر عجيباً؟! فلنتصور الآن: من الذى أوجد هذين الجهازين العجيبين المحيرين فى جسم هذا الحيوان الصغير الحقير؟ وكيف علمه استخدامهما والاستفادة منهما بحيث يستطيع أنْ يدرأ عن نفسه الكثير من الاخطار التى تصادفه فى طيرانه الليلى؟ أجل ترى من هو؟ أتستطيع الطبيعة غير العاقله أنْ تقوم بمثل هذا العمل، فتخلق فى هذا الحيوان، بكل بساطة، هذين الجهازين اللذين يبذل علماء العالم مبالغ طائلة لصنعهما؟ دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۴۸ يقول الامام على عليه السلام فى نهج‌البلاغة فى كلام له مسهب عن الخفاش وبديع خلقه: «... لا تَمْتَنِعُ مِنَ المُضِىِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ ... فَسُبحانَ البارِىء لِكُلِّ شَىءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ...». «۱» فكّر وأجب: ۱- أتعرف معلومات أكثر عن الخفاش؟ ۲- أتعلم أنَّ اجنحة الخفاش وطريقة ولادة صغاره، بل و حتى طريقة نومه حيث إنها تختلف عن الحيوانات الاخرى وأنَّه طائر يختلف عن غيره تماماً؟ دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۴۹

الدّرس ۹ علاقة الحب بين الورود و الحشرات

اشارة

من المستحسن أنَّ تزوروا فى أحد أيّام الربيع المعتدلة البساتين و المزارع الخضراء اليانعة. هنالك ستلاحظون مجموعات من الحشرات الصغيرة، كالنحل، والذباب، والفراشات، والبعوض، تغدو و تروح فى اتجاهات مختلفة، تنتقل من زهرة الى اخرى ومن غصن الى آخر. إنَّها منهمكة فى حركاتها هذه حتى ليخيل إليك أنَّ قوّة غامضة تراقب حركتها (مثل متابعة رب العمل لعماله) لايكف عن اصدار الأوامر إليها. إنَّ أرجل بعضها وأجنحتها تتلوث بالدقيق الاصفر الموجود على الزهور فتبدو كأنَّها من العمال الذين يرتدون رداء العمل الاصفر و هم منهمكون بأداء أعمالهم. فى الواقع أنّها تقوم باعمال مهمة فعلًا، إنَّ أعمالها من الأهمية بحيث أنَّ البروفسور (ليون برتن) يقول: دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۵۰ «قلّما يعرف الناس أنَّه لولا الحشرات لبقيت سلالنا خالية من الفواكه». و نحن

نضیف الی قوله ذلک قولنا: «ولفقدت بساتیننا ومزارعنا لعدّة لسنوات ماکان لها من خضرة وطراوة». فالحشرات، إذن، لها الدور الکبیر فی ایجاد الثمار من خلال نقل جنوب اللقاح بین الزهور. و لاشک أنّکم سوف تسألون: کیف؟ والجواب. إنَّ أهم عمل حیاتی فی النبات، هو عملیة «اللقاح»، و تتحقق بمساعدة الحشرات. و لعلکم تعلمون أنَّ الأزهار، کالکثیر من الکائنات، تنقسم الی الذکر والانثی، ومالم یتم اتصال وتلقیح بینهما فلن تکون هناک بذرة ولاـثمرة. ولکن هل خطر لکم أنْ تفکروا فی أقسام النبات المختلفة، التی لاتحس ولاتتحرک، کیف ینجذب بعضها نحو البعض الآخر و کیف أنَّ حبوب اللقاح، التی تمثل (حیامن) الذکر تتحد مع (البیضة) الانثویة فی النبات کمقدمة للتزاوج؟ هذه العملیة فی کثیر من الحالات تقوم بها الحشرات، وفی حالات اخری تقوم بها الریاح، ولکنها لیست بهذه البساطة التی تبدو لنا، فهذا الزّواج المبارک الکثیر الخیرات، والذی یتمّ (بوساطة) الحشرات، له تاریخ و مراسیم و تطورات طویلة مثیرة للعجب، سوف نتناول هنا جانباً منها:

صدیقان حمیمان قدیمان

بعد کثیر من البحوث والدّراسات، توصل علماء الطبیعة الی أنَّ النباتات والازهار ظهرت فی النصف الثانی من العصر الجیولوجی الثانی. والعجیب أنَّ تلک المرحلة شهدت ظهور الحشرات أیضاً، ومنذ ذلک الیوم وعلی امتداد تاریخ الخلیقة الطویل استمرت النبتة والحشرة صدیقتین حمیمتین و فیتین لبعضهما الآخر، تکمل أحدهما وجود الاخری فلکی تستاثر الزهرة بحب صدیقتها الحشرة و تجتذبها نحوها و (تحلّی فمها) کما یقولون، فإنَّها تختزن (رحیقاً) عذباً، طیب الطعم فی داخلها. فعندما تقوم الحشرات بالتنقل من زهرة الی اخری تمهیدا لعملیة اللّقاح، تضع أرجلها فی داخل الزّهرة، فتُستقبل هناک برحیق حلو لذیذ الطعم بحیث أنَّ الحشرة تنجذب إلیه دون اختیار. یری بعض علماء النبات أنَّ للون الزهرة ورائحتها دوراً مهماً فی اجتذاب الحشرات إلیها، فقد أثبتت التجارب التی اجریت علی النحل قدرة هذه الحشرة علی تمییز الالوان والرّوائح. وفی الحقیقة أنَّ الأزهار هی التی تتزین و تتجمل من أجل الحشرات لکی تلفت انتباه الفراشات والنحل التی یعجبها اللون والرّائحة والطعم، فتستقبلها فی أحضانها و تهییء الامور لعملیة الزواج و تتناول مأدبة طعام الزواج أیضاً. إنَّ (حلوی الزواج هذه من أفضل الطعام للحشرات، وبخاصة النحل، وبتراکمه یکثر العسل. فالحشرات عند حضورها حفلة الزواج تأکل شیئا من طعام العرس، و کالضیف الجسور، تاخذ بعضاً من ذلک الطعام معها أیضاً الی بیتها تختزنه فیه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۲ إنَّ عهد الصداقة بین الزهرة و الحشرة، و القائم علی تبادل المنفعة، کان و سیبقی کذلک.

درس فی التّوحید

عند ما یلاحظ الانسان هذه النکات العجیبة فی حیاة الحشرات و الأزهار، یتساءل دون إرادة: تری من الذی أبرم عقد و عهد الحبّ والصداقة بین الإزهار و الحشرات؟ هذه الحلاوة الخاصة والرحیق اللذیذ، و هذه الالون الزاهیة المختلفة الجذابة، وهذا العطر المهیّج، من الذی وهب کل هذه المیزات للازهار؟ و من ذا الذی هدی الحشرات إلیها، وجعلها تتذوقها؟ من الذی أعطی لهذه الحشرات وللفراشات، وللنحل، و للزنبور الاصفر، أرجلها اللطیفة الظریفة وجهزها بمایتیح لها أن تنقل لقاح الإزهار من مکان الی مکان؟ لماذا یتّجه النحل فی فترة معینة الی نوع معین من الأزهار؟ لماذا بدأ تاریخ حیاة الحشرات و الأزهار فی وقت واحد فی عالم الخلق؟ هل یمکن لأیّاحد مهما کانت درجة عناده و مخالفته ان ینکر بان کل ذلک قد جری بدون تخطیط مُخطط؟ هل یعقل أن یحدث کل هذا الذی اصبح محیراً للعقول بشکل عشوائی هل یمکن للطبیعة الغیر العاقلة أن تصنع ذلک، و الجواب کلاـ و ألف کلا.! یقول القرآن الکریم: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۳ ی وأوحَی رَبُّکَ الی النَّحْلِ أنِ إتّخِذِی مِنَ الجِبَالِ بُیُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا یَعْرِشُونَ ثُمَّ کُلِی مِنْ کُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُکِی سُبُلَ رَبِّکِ ذُلُلًا ی. «۱» فکر وأجب ۱- مافائدة الرحیق الحلو فی الازهار و ما الحکمة فی طیب عطرها و زهو الوانها؟ ۲- ماذا تعرف عن غریب حیاة النحل؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۵

الدّرس ۱۰ العوالم الصّغیرة جدا

اشارة

بما أنّنا نعیش فی عالم ملیء بعجائب الخلقة ونترعرع بین أسرار وغرائب الطبیعة و بما أننا إعتدنا علی مشاهدة هذه الکائنات حولنا، فإنّنا کثیراً ما نغفل عن ملاحظة هذه الکائنات العجیبة وأهمیتها. و کمثال علی ذلک: ۱- تعیش حولنا کائنات وحشرات صغیرة جداً بحیث أن جسم بعضها قد لایتجاوز المیلمتر الواحد أو المیلمترین، ومع ذلک فهی کالحیوانات الکبیرة لها أطراف وعیون وآذان وحتی أدمغة وذکاء وأعصاب وأجهزة للهضم. إذا وضعنا دماغ نملة تحت المجهر وتفحصنا بدقة بناءه المحیّر، نجد أنّه ممّا یثیر العجب حقّاً. فهذا الدّماغ الصّغیر یضم أقساماً متجاورة، کل قسم منها یسیطر علی جانب من جسم النملة، وإنَّ أدنی تغییر فی وضعیتها یصیب جانباً من جسم النملة بالشلل. والعجیب فی دماغ النملة، الذی هو فعلًا أصغر من رأس الدّبوس، یکمن فیه دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۶ عالم من الذکاء والتمدن وجمال الذوق والفن، حتی أنَّ فریقاً من العلماء أمضوا جانباً کبیراً من أعمارهم فی دراسة حیاة هذا الحیوان، ودونوا فی کتبهم الکثیر من عجائب حیاته. تری من ذا الذی أوجد کل هذا الذّکاء و المهارة فی هذا الحیوان الصغیر؟ هل أن الطبیعة التی لاتملک من ذرة من العقل و الذّکاء؟ ۲- لننظر فی عالم الذّرة: أنّنا نعلم أن أصغر ما اکتشف حتی الآن فی العالم هو الذرة واجزاؤها. إنَّ الذّرة هذه من الصغر بحیث أنَّ أعظم المجهرات التی توصف بأنّها تکبر القشة لتبدو جبلًا- تعجز عن رؤیتها. إذا أردتم معرفة مقدار صغر الذّرة، یکفی أنْ تعلموا أنَّ قطرة واحدة من الماء تحتوی علی عدد من الذّرات أکثر من جمیع سکان الارض قاطبة. وإذا أردنا حساب عدد البروتونات فی سانتیمتر واحد من سلک دقیق، واستعنّا علی ذلک بألف شخص یحسبون ذلک بحیث إنّنا نستطیع أن نفصل بروتوناً واحداً فی کل ثانیة، لاستغرق حسابنا بین ۳۰ سنة و ۳۰۰ سنة (بحسب اختلاف ذرات کل مادة)، علی أنْ یستمر حسابناً لیلًا و نهاراً دون انقطاع. و الآن بعد أنْ عرفنا أن فی سانتیمتر واحد من سلک دقیق هذا العدد من البروتونات، فکم تظن عدد الذّرات فی السماء و الارض والماء والهواء والمجرات والمنظومة الشمسیة؟ ألایتعب فکر الانسان من مجرد تصور ذلک؟ هل یستطیع أحد معرفة عددها غیر الذی خلقها؟

الذّرة درس فی التّوحید

تعتبر دراسة الذّرة من أهم الفروع العلمیة فی العصر الحاضر ومن أشدها إثارة. إنَّ هذا الموجود الصغیر یمثل درساً فی التوحید، إذ أن فیه جوانب أربعة تثیر الانتباه: ۱- النّظام الدّقیق: لقد اکتشف حتی الآن أکثر من ۱۰۰ عنصر یتدرج فیها عدد الالکترونات من الواحد حتی أکثر من ۱۰۰، و هذا نظام دقیق لایمکن أنْ یکون من تدبیر الصدفة أو عوامل عدیمة العقل. ۲- تعادل القوی إنّنا نعلم أنَّ قطبین کهربائیین مختلفین یتجاذبان. وعلیه، فإنَّ الالکترونات التی تحمل شحنة سالبة لابدّ أنْ تنجذب نحو النّواة التی تحمل شحنة موجبة. و من جهة اخری نعلم أنَّ دوران الالکترونات حول النّواة یوجد قوّة دافعة عن المرکز، أی أنَّ الالکترونات تحاول، تحت هذه القوّة الدافعة عن المرکز، أنْ تبتعد عن محیط النواة، و عندها تتجزأ الذّرة. و فی الوقت نفسه تزید القوّة الجاذبة أنْ تجذب الالکترونات فتفنی الذّرة. و من هنا لابدّ من أنْ ندرک الحساب الدقیق الذی بموجبه جری تنظیم القواتین الجاذبة و الدافعة فی الذّرة لکیلا تفلت الالکترونات من مدارها، ولاتنجذب نحو النّواة، بل تبقی دائماً فی حالة تعادل وتوازن فی حرکتها الدّائمة. فهل تستطیع الطبیعة الصماء أنْ توجد هذا التعادل والتوازن؟ ۳- کلّ فی فلک یسبحون: قلنا إنَّ لبعض الذّرات أکثر من الکترون واحد ولکنّها لا تدور کلّها فی مدار واحد، بل تدور فی مدارات متعددة. ومنذ ملایین دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۸ السّنین تدور هذه الالکترونات فی مدارات معینة، وفواصل محددة، و بسرعة معلومة، بغیر أنْ یکون هناک أی تضاد بینها. فهل وضعها فی مداراتها المعینة ودورانها المنظم المحیر عمل بسیط؟ ۴- طاقة الذّرة العظیمة: للتعرف علی الطاقة الهائلة الکامنه فی الذّرة یکفی أن نعرف مایلی: فی سنة ۱۹۴۵

أنجزت تجربة فی صحراء المکسیک الجرداء من کل ماء وزرع، حیث فجرت قنبلة ذریة صغیرة جداً فی برج فولاذی، فذاب البرج ثم تحول الی بخار وظهر البرق مصحوباً بدوی مرعب، وعندما جاء العلماء لم یجدوا أثراً للبرج. وفی تلک السنة نفسها ألقت الولایات المتحدة الامریکیة قنبلتین ذریتین صغیرتین علی مدینتی (هیروشیما) و (ناکازاکی) الیابانیتین، فابید فی الاولی سبعون الف انسان وجرح مثلهم، وقتل فی الثانیة نحو ثلاثین الی اربعین الفا وجرح مثلهم، بحیث اضطرت الیابان الی الاستسلام لامریکا دون قید أو شرط. إن دراسة اسرار ذرة واحدة من ذرات الکون تکفی لأن یتعرف الانسان علی خالقها! و علیه، إنَّ بالامکان القول بأنَّ لدینا بعدد ذرات الدّنیا أدلة علی وجود اللَّه سبحانه و تعالی. یقول القرآن الکریم: ی وَلَو أنّما فِی الأرْضِ مِنْ شَجَرِةٍ أقْلامٌ وَالبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ إنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌی. «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۵۹ فکّر وأجب: ۱- أتعرف شیئاً آخر عن أسرار حیاة النملة؟ ۲- أتستطیع أنْ ترسم علی السّبورة صورة لبناء الذّرة؟ و سیأتی بحث مکمل للدرس العاشر و هو: ماأعظم صفات اللَّه!

صفاته سبحانه و تعالی

یجب أن تعلم أنه إذا کان التعرف علی وجود اللَّه سبحانه عن طریق سبر أسرار عالم الخلیقة میسوراً، فإنَّ معرفة صفات اللَّه لیست بتلک السهولة، بل تتطلب الدّقة والحذر الشّدیدین. و قد تقول لا، إن ذلک سهلًا یسیراً، فاللَّه تعالی لایشبه أی شیء ممّا رأینا وسمعنا، وعلیه فإنَّ أوّل شرط فی معرفة صفات اللَّه هو نفی جمیع صفات المخلوقات عن ذاته المقدسة، أی عدم تشبیهه بأی کائن محدودِ فی عالم الطبیعة، وهذا مایجرّ القضیة الی منعطف ضیق، وذلک لأنَّنا ترعرعنا فی أوساط هذه الطّبیعة، وارتبطنا وأنسنا بها وألفناها، ولذا نمیل الی مقارنة کل شیء بما نراه فیها. وبعبارة اخری إنَّ کل ما رأیناه کان جسماً وخصائص الجسم، أی الاشیاء التی لها «زمان» و «مکان» و «اشکال» معینة. وعلی هذا یکون من الصعب دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۰ جداً أنْ نصف اللَّه الذی لایحده مکان ولا زمان، وهو فی الوقت نفسه محیط بکل زمان و مکان، ولاتحده حدود، إنَّه أمر یتطلب الکثیر من الحذر والدّقة. مبدئیاً لابدّ من القول بأنَّنا لن نعرف حقیقة اللَّه، ولاینبغی لنا ذلک، لأنَّ توقعنا شیئاً کهذا یکون أشبه بمحاولة صبّ میاه محیط عظیم فی إناء صغیر، أو أن نفترض بأن جنیناً فی بطن امّه یعرف کل شیء فی العالم الخارجی. فهل هذا ممکن؟ لذلک فان أصغر خطأ فی هذا المجال یمکن أنْ یبعد الانسان مسافات طویلة عن الطریق الصحیح لمعرفة اللَّه، ویرمی به فی متاهة عبادة الاوثان و المخلوقات الأخری علی کل حال، ینبغی أنْ نکون علی حذر لئلا نقارن صفات اللَّه بصفات المخلوقات أبداً.

صفات «الجمال» و «الجلال»

تقسم صفات اللَّه عادة الی قسمین: «الصفات الثّبوتیة» أی الصفات الموجودة فی ذات اللَّه، و «الصفات السلبیة» أی الصفات التی یتنزه عنهااللَّه سبحانه وتعالی. وقد یسأل سائل: تری ماهی صفات ذاتاللَّه؟ الجواب: إنَّ صفات اللَّه تکون من جهة غیر متناهیة وغیر محدودة، ویمکن من جهة اخری تلخیصها فی صفة واحدة، إذ أنَّ جمیع صفاته الثبوتیة تتلخص فی التعبیر التالی: «ذات اللَّه لامتناهیة من جمیع الجهات وتتصف بجمیع الکمالات». دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۱ کما أنَّ صفاته السلبیة تتلخص فی الجملة التّالیة: «ذات اللّه لا- یعتریها النقص من جمیع الجهات» ولکن بما أنَّ للکمال والنقص درجات، أی یمکن تصور الکمال اللامتنهاهی والنقص اللامتناهی، اذن یمکن القول بأنَّ للّهصفات ثبوتیة لانهایة لها، وله صفات سلبیة لانهایة لها، إذ ما من صفة کمال نتصورها الاوهی فی اللَّه، وما من صفة نقص نتصورها إلّااواللَّه منزّه عنها. اذن، صفاتاللَّه الثبوتیة والسلبیة لاحدّ لها.

أشهر صفاتاللَّه

أشهر صفات اللّه الثبوتیة ثمان، و هی کمایلی: ۱- «العالم»، فاللّه عالم بکل شیء. ۲- «القادر» فهو قادر علی کل شیء. ۳- «الحی»، فالحی هو کل عالم وقادر، وبما أنَّ اللّه عالم وقادر، فهوحیّ. ۴- «المرید» أی أنه صاحب إرادة ولیس مجبوراً فی أعماله وکل مایفعله إنَّما لحکمة ولغایة، فما من شیء فی الارض ولا فی السماء صغیراً کان أم کبیراً، إلّاوکان عن غایة وهدف. ۵- «المدرک» أی أنَّه یدرک جمیع الاشیاء، یسمع کل شیء، ویری کل شیء، وهو علیم بکل شیء خبیر. ۶- «القدیم الازلی»، أی أنَّه کان دائما، ولیس لوجوده دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۲ بدایة ولانهایة، إذ أنَّ وجوده ینبع من ذاته، ولهذا فهو أزلی سرمدی فمن یکون وجوده من ذاته لا یعتریه الفناء، ولاالزوال. ۷- «المتکلم» أی أنَّه قادر علی إحداث موجات صوتیة، فیکلم الانبیاء، ولیس معنی هذا أنَّ له سبحانه لساناً وشفتین وحنجرة. ۸- «الصادق» فما یقوله هو الصدق عینه والحقیقة ذاتها، لأنَّ الکذب إمّا أنْ یکون بسبب الجهل، أو بسبب الضعف، واللّه القادر العلیم یستحیل علیه الکذب. و أمّا صفاته السّلبیة، فأهمها سبع صفات: ۱- لیس «مرکّباً» أی أنَّه لایتألف من أجزاء ترکیبیة، فلو کان کذلک لاحتاج الی أجزائه، وهم الغنی غیرالمحتاج. ۲- لیس «جسماً»، لأنَّ للجسم حدوداً ویکون متغیراً وفانیاً. ۳- لیس «مرئیاً» فهو لایُری، وإلّا کان جسماً محدوداً وفانیاً. ۴- لیس له «مکان»، لانَّه لیس جسماً لیحتاج الی مکان. ۵- لیس له «شریک» إذ لو کان له شریک لکان محدوداً، لأنَّ کائنین غیر محدودین یستحیل وجودهما معاً، ثم أنَّ وحدة قوانین الطبیعة دلیل علی وحدانیته. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۳ ۶- لیس للّه «معان» لأنَّ صفاته هی عین ذاته. ۷- لیس «محتاجاً» بل هوالغنی، لأنَّ الکائن اللامتنهاهی من حیث العلم والقدرة لاینقصه شیء. یقول القرآن الکریم: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیءی. «۱» فکر وأجب ۱- هل لدیک أدلة اخری علی وحدانیة اللّه وأنَّه لاشریک له؟ ۲- هل سمعت بوجود بعض الادیان التی تؤمن بثلاثة آلهة، واخری تؤمن بإلهین؟ اذکرها؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۵

الفصل الثّانی العدل الإلهی

الدّرس ۱ ماهو العدل

اشارة

* لماذا اعتبر العدل، من بین سائر صفات اللّه، أصلًا من أصول الدّین؟ * الفرق بین «العدالة» و «المساواة».

۱- لماذا اختیر العدل من بین سائر الصفات؟

قبل الخوض فی هذا البحث لابدّ من أنْ یتضح لنا: لماذا اعتبر العلماء العظام صفة العدالة- التی هی واحدة من صفات اللّه- أصلًا من «أصول الدین الخمسة»؟ إنَّ اللّه «عالم» و «قادر» و «عادل» و «حکیم» و «رحمن» و «رحیم» و «أزلی» و «أبدی» و «خالق» و «رزاق»، فلماذا اختاروا «العدالة» دون سائر صفات اللّه لتکون أحد أصول الدین الخمسة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۸ للاجابة عن هذا السّؤال لابدّ من معرفة عدّة نقاط: ۱- إنَّ للعدالة، من بین سائر صفات اللّه، أهمیة خاصة بحیث أنَّ کثیراً من الصفات الاخری مترتبة علیها، لأنَّ «العدالة» بمعناها الواسع، هی وضع الأشیاء فی مواضعها. وعلی ذلک فان صفات اخری مثل «الحکیم» و «الرّزاق» و «الرّحمن» و أمثالها تعتمد علی العدالة فی معانیها. ۲- کما أنَّ «المعاد» یستند علی «العدل الالهی»، وکذلک ترتبط رسالة الانبیاء علیهم السلام و مسؤولیة الأئمة علیهم السلام بعدالة اللّه أیضاً. ۳- ظهر فی صدر الاسلام خلاف بشأن مسألة عدالة اللّه. فقد أنکر بعض المسلمین (وهم الأشاعرة) عدالة اللّه کلیاً، وقالوا: إنَّ «العدالة» و «الظلم» لا معنی لهما بالنسبة للّه، فجمیع ما فی عالم الوجود من ملکه، وکل ما یفعله فهو العدالة بعینها. لقد أنکر هؤلاء حتی «الحسن» و «القبح» العقلیین، قائلین أن عقولنا لاتستطیع أنْ تدرک هاتین الصفتین مطلقتین، بل أنَّها لاتدرک حُسْنَ الحَسَن ولاقبح القبیح (وغیر ذلک من الاخطاء). وفریق آخر من أهل السنة (وهم المعتزلة)

ومعهم الشیعة، قالوا بعدالة اللّه وبأنّه لایظلم أبداً. وللتمییز بین هذین الفریقین، أطلقوا علی الفریق الثّانی اسم «العدلیین» أو «العدلیة» لأنهم اعتبروا «العدل» عنوان مدرستهم و اصلًا من أصول الدین، ومنهم الشیعة، وأطلقوا علی الفریق الآخر اسم «غیر العدلیین». ولکی یمیز الشیعة أنفسهم عن بقیة «العدلیین» اعتبروا الامامة أصلًا آخر من أصول الدین. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۶۹ وعلیه، أصبح «العدل» و «الامامة» من مییزات مذهب الشیعة الامامیة. ۴- بما أن فروع الدین لیست سوی إشعاعات اصول الدین، وإنّ أشعة عدالة اللّه شدیدة التأثیر فی المجتمع البشری، أصبحت العدالة الاجتماعیة من أهم اسس المجتمع الانسانی. إنّ اختیار العدالة کأصل من أصول الدین یمثل رمزاً لاحیاء العدل فی المجتمعات البشریة ومکافحة کل أنواع الظلم. ومثلما کان توحید ذات اللّه وصفاته وعبادته نوراً دعا للوحدة والاتحاد فی المجتمع الانسانی لتمتین وحدة الصفوف، کانت قیادة الانبیاء و الائمّة علیهم السلام مثالًا «للقیادة الحقّة» فی المجتمعات الانسانیة. وعلیه، فإنّ أصل عدالة اللّه السائدة فی کل عالم الوجود، إشارة الی ضرورة تطبیق العدالة فی المجتمع البشری علی جمیع الأصعدة. إنّ عالم الخلیقة العظیم قائم علی العدالة، لذلک لایمکن أنّ یقوم مجتمع انسانی بغیر العدالة.

۲- ماهی العدالة؟

للعدالة معان مختلفة: أ) معنی العدالة العام والشامل هو کما قلنا: وضع الاشیاء فی مواضعها. أی التوازن والتعادل. وهذا المعنی هو المهیمن علی عالم الخلیقة برمته، علی المنظومات الشمسیة، علی الذّرة، علی بناء کیان الانسان وجمیع الحیوان والنبات. وهذا هو المعنی الذی ورد فی الحدیث النّبوی الشریف: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۰ «بِالعدلِ قامَتِ السَّمواتُ وَالأرضُ». فمثلًا، لو اختل تعادل القوتین الجاذبة والدافعة فی الکرة الأرضیة، وزدات أحدهما علی الاخری لانجذبت الارض نحو الشمس واحترقت وتلاشت، أو لخرجت عن مدارها وتلاشت فی الفضاء الفسیح. والعدالة هی أنّک إنْ سقیت نبتة الورد والاشجار المثمرة فقد سکبت الماء فی موضعه، وهذا هو العدل بعینه، وإنْ أنت سقیت الاشواک و النباتات الغیر مفیدة، فقد أرقت الماء، فی غیر موضعه، و هذا هو الظلم بعینه. ب) وثمّة معنی آخر للعدل وهو «مراعاة حقوق الناس» ویقابله «الظلم» وهو الاستئثار بحقوق الآخرین، أو انتزاع حق شخص واعطائه لآخر لا حق له فیه، أی المحاباة، وهی اعطاء بعض حقّهم، ومنعه عن آخرین. بدیهی أنّ المعنی الثّانی «خاص» والمعنی الاول «عام»، وأنّ کلا- معنیی «العدل» یصدقان بحق اللّه، غیر أنّ المعنی الثانی هوالمقصود فی بحثنا هذا غالباً. معنی «عدل» اللّه هو أنه لایسلب أحداً حقّه، ولایأخذه من بعض لیعطیه لبعض آخر، فلا یحابی بین الاشخاص، فهو عادل بکل معانی الکلمة. ولسوف نتعرف علی دلائل عدالته فی الدّرس القادم. إنّ اللّه منزّه عن «الظلم» سواء تمثل بأخذ حق أحد، أم إعطاء حق أحد لآخر، أم بالاجحاف والمحاباة. إنّه لن یعاقب من یعمل الصالحات، ولایثیب المسیء، ولایأخذ أحداً بذنب أحد، ولایحرق الاخضر بجرم الیابس أبداً. وإذا کان جمیع أفراد مجتمع ما مذنبین، سوی شخص واحد، فإنّ اللّه تعالی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۱ یستثنی حسابه عن حساب الآخرین، ولا- یحشره فی مصاف المذنبین. أمّا مقولة «الاشاعرة» بأنّ اللّه إذا أرسل الانبیاء الی الجحیم، والمذنبین الی الجنّة لایکون ظالماً، فهی مقولة باطلة و قبیحة، و مخجلة و لا أساس لها، و إنّ أی شخص لم یغلف عقله التعصب والخرافات یشهد بقبح هذا القول. ج) الفرق بین «المساواة» و «العدالة»: النقطة المهمة الإخری التی لابدّ من الاشارة إلیها فی هذا البحث هی ما یجری أحیاناً من الخلط بین «المساواة» و «العدالة» باعتبار أنّ العدالة هی تطبیق المساواة، و هو لیس کذلک. فالمساواة لیست شرطاً من شروط العدالة، بل العدالة هی إعطاء کل حق لمستحقه وأخذ الاولویات بنظر الاعتبار. فالعدالة بین تلامیذ صف واحد، مثلًا، لیست فی منح جمیعهم درجات متساویة، ولیست العدالة بین العمال فی اعطائهما اجوراً متساویة. بل العدالة هی أنّ ینال کلّ تلمیذ الدّرجة التی تستحقها معلوماته و مکانته العلمیة، وأنّ ینال کل عامل اجرته بحسب أهمیة العمل الذی یؤدیه. والعدالة فی عالم الطبیعة تدخل ضمن هذا المعنی الواسع، فلو أنّ قلب حوت (البالن) الذی یزن طناً واحداً قد ساوی قلب عصفور لایکاد یزن أکثر من بضعة غرامات، ماکان ذلک عدلًا، ولو تساوت جذور شجرة ضخمة مع جذور نبتة صغیرة لماکان ذلک عدلًا، بل لکان ظلماً فاضحاً. فالعدالة، اذن، هی أن

ینال کل کائن نصیبه بموجب استحقاقه واستعداده ولیاقته. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۲ فکر وأجب ۱- لماذا اعتبرت العدالة، من بین سائر صفات اللّه، أصلًا من أصول الدّین؟ ۲- من هم الأشاعرة؟ ماذا تعرف عن معتقداتهم؟ ۳- ما هی تأثیرات الاعتقاد بالعدل الالهی علی المجتمع الانسانی؟ ۴- ما هی معانی العدالة؟ اشرحها. ۵- هل العدالة تعنی المساواة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۳

الدّرس ۲ دلائل عدالة اللّه

۱- الحسن والقبح العقلیان

فی البدء لابدّ لنا أن نعرف أنَّ عقلنا یدرک الی حدّ کبیر «حسن» الاشیاء و «قبحها»، وهذا هو ما یطلق علیه العلماء اسم الحسن و القبح العقلیین. فمثلًا، نحن نعلم إنَّ العدل والاحسان أمران حسنان، وإنَّ الظلم والبخل أمران قبیحان، وحتی قبل أنْ یتحدث الدین عن هذه الأُمور فإنَّنا نعرفها، علی الرّغم من وجود أُمور اخری لاتکفی معلوماتنا لادراکها، بل لابدّ لنا أنْ نستعین بارشاد الانبیاء والقادة الالهیین. و لذلک فمن الخطأ الفضیع ما ذهب إلیه الاشاعرة المسلمون من إنکار الحسن والقبح العقلیین، وقالوا بأنَّ طریق معرفتهما- حتی فی حالات واضحة مثل العدل والظلم- هو حکم الشرع والدین، وذلک لأن عقلنا إذا لم یکون قادراً علی ادراک الحسن والقبح فکیف یتسنی لنا أنْ نعلم بأنَّ اللّه لایمنح دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۴ الکاذب القدرة علی الاتیان بمعجزة؟ لکننا إذا أدرکنا أنْ الکذب قبیح، ویستحیل صدوره عن اللّه، أدرکنا أیضاً أنَّ وعد اللّه حق، وقوله صدق، فلا یمکن أنْ یؤید الکذب بأنْ یمنح الکاذب القدرة علی القیام بمعجزة. هنا یمکن الاعتماد علی ما ورد فی الشرع والدین، ونستنتج من هذا أنَّ الاعتقاد بالحسن والقبح العقلیین أمر دینی. نعود الآن الی دلائل العدالة الالهیة، ولادراک هذه الحقیقة یجب أنْ نعرف:

۲- ماهو مصدر الظلم؟

مصدر الظلم یمکن أنْ یکون أحد الأُمور التّالیة: أ- الجهل: قد نجد ظالماً لایدری أنَّه یظلم فعلًا، ولا یعلم أنَّه یتعدی علی حقوق الآخرین. و هو جاهل بما یفعل. ب- الحاجة: قد یطمع المرء فی ما یملکه الآخرون، فیوسوس له الشیطان أنْ یستحوذ علیه، ولو لا الحاجة لما کان هناک مایحمله علی الظلم. ج- الانانیة والحقد والانتقام: یحدث أحیاناً أنْ لاتکون الاسباب المذکورة سابقاً هی الدافع علی الظلم، بل یکون السبب هو الأنانیة أو الحقد أو حبّ الانتقام، فیعتدی علی حقوق الآخرین، أو قد یکون السبب هو حبّ الاحتکار. د- العجز والضّعف: یحدث أحیاناً أنْ لایکون المرء راغباً فی التقصیر بحق الآخرین، ولکنه لاقدرة له علی الامتناع عن ذلک فیرتکب الظلم. غیر أنَّ هذه الصفات القبیحة والنقائص لاوجود لها فی ذات اللّه المقدّسة، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۵ لانَّه عالم بکل شیء، و غنی عن کل شیء، وقادر علی کل شیء ورحیم بالعالمین و رؤوف بهم، فلاحاجة له بالظلم. إنَّ اللّه غیر محدود الوجود، ولا تحدّ کماله حدود، ولایصدر عنه سوی الخیر والعدل والرأفة والرحمة. ولکنه اذ یعاقب المسیئین فذلک بسبب أعمالهم، کالذین یستعملون المواد المخدرة أو یشربون المشروبات الکحولیة، فیصابون بمختلف الامراض القاتلة نتیجة لذلک. یقول القرآن المجید: هلْ تُجْزَونَ إلّاما کُنْتُم تَعْمَلُونَی. «۱»

۳- القرآن وعدالة اللّه

یولی القرآن الکریم هذه المسألة اهتماماً کبیراً. فیقول فی الآیة الکریمة: ی إنَّ اللّهَ لا یَظْلِمُ النَّاسَ شَیْئاً وَلَکِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُم یَظْلِمُونَی. «۲» و فی موضع آخر یقول: ی إنَّ اللّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍی. «۳» وبالنّسبة الی الحساب والجزاء یوم القیامة یقول: ی وَنَضَعُ المَوازِینَ

القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاًی. «۴» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۶ (بدیهی أنَّ القصد من الموازین هنا هی وسائل القیاس، لا الموازین الاعتیادیة).

۴- الدّعوة الی العدل

قلنا إنَّ صفات الانسان ینبغی أنَّ تکون انعکاساً لصفات اللّه، بحیث تنعکس صفات اللّه علی المجتمع الانسانی برمته. وبناءً علی ذلک فإنَّ القرآن، بقدر تأکیده علی العدالة الالهیة، یؤکد أیضاً سیادة العدل فی المجتمع وفی کلّ فرد فیه. و کثیراً ما یشیر القرآن الی الظلم باعتباره سبب فناء المجتمعات البشریة، ویری عاقبة الظالمین من أفضع العواقب. و فی معرض بیان مصیر الاقوام السالفة یطلب القرآن من الناس أنَّ یعتبروا بتلک الاقوام و کیف نزل بهم العذاب الالهی بسبب ظلمهم و فسادهم و کیف قضی علیهم، فیدعوهم الی أنْ یتجنبوا مصیر تلک الاقوام. ویصرح القرآن بأحد مبادئه الرئیسة فیقول: ی إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإحسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِیالقُرْبی وَيَنْهَی عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْی ... ی. «۱» و من الملفت للنظر أنَّ الاسلام کما یری الظلم عملًا قبیحاً، فکذلک یری أن قبول الظلم و الرکون للظالمین یعتبر عمل مرفوض أیضاً، کما جاء فی الآیة ۲۷۹ من سورة البقرة: ی لاتَظْلِمُونَ وَلاتُظْلَمُونَی. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۷ إن الاستسلام للظالمین یعنی القبول بالظلم ونشره واعانة الظالم علیه. فکّر وأجب: ۱- هل یستطیع عقلنا إدراک الحسن والقبح بدون تدخل الشرع؟ ۲- ماهو مصدر الظلم؟ وما الدلیل العقلی علی عدالة اللّه؟ ۳- ما الذی یقوله القرآن بشأن عدالة اللّه وتنزیهه عن الظلم؟ ۴- ماهو واجب الانسان فی قبال العدل والظلم؟ ۵- هل فی الاستسلام للظلم والخضوع له إثم ایضاً؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۷۹

الدّرس ۳ فلسفة الکوارث و البلاء

اشارة

منذ القدیم کان فریق من عدیمی البصیرة و الوعی یعترضون علی عدالة اللّه، و یذکرون بعض الحالات ظناً منهم بانها لاتنسجم مع عدالة اللّه، بل أنَّهم لم یکتفوا بنفی عدالة اللّه حتی اتخذوها ذریعة للدلالة علی عدم وجود اللّه ذاته! و من تلک الحالات التی یستدلون بها علی ذلک هی «العواصف المدمرة» و «الزلازل» والکوارث الطبیعیة الاخری وکذلک «الاختلافات» الموجودة بین بنی البشر، و وجود الآفات التی تصیب الانسان والنبات وسائر الکائنات فی عالم الوجود. و هذا البحث قد یرد ضمن موضوع معرفة اللّه فی الرد علی الماديین، و قد یرد فی بحث وجود اللّه عموماً، و أحیاناً فی موضوع العدل الالهی، ولکی تعرف مدی خطل تلک الشبهات عند التّحلیل الدّقیق، لابدّ أنْ یکون لنا بحث مسهب بهذا الشأن وأن ندرس الامور التالیة بدقّة:

۱- الحکم النّسبی وقلّة المعرفة

إنَّنا نستند عادة فی اصدار احکامنا وتمییز المصادیق علی مدی ارتباطنا بالأشیاء، کقولنا أنَّ الشیء الفلانی قریب أو بعید، بالنسبة لموقعنا نحن، أو نقول أنَّ فلاناً ضعیف أو قوی بالقیاس الی حالتنا النفسیة او الجسمیة. کذلک هی حال أغلب الناس عند اصدار احکامهم علی القضایا الخاصة بالخیر والشر والکوارث و البلایا. فمثلًا، إذا نزل المطر فی منطقة، فلیس یعنینا تأثیره فی المجموع العام، ولا تتعدی نظرتنا محیط حیاتنا وبیتنا و مزرعتنا أو مدینتنا فی الحدّ الاقصی، فاذا کان لهذا المطر تأثیر ایجابی قلنا إنَّه نعمة منَاللّه، وإذا کان تأثیره سلبیاً، أطلقنا علیه اسم «البلاء». و عندما یهدمون عمارة توشک علی الانهیار و ذلک لاعادة بناءها، و یکون نصیبنا من ذلک الغبار اثناء مرورنا بالمکان، نقول: ما أسوا هذا! علی الرّغم من أننا سوف نشهد فی المستقبل القریب بناء مستشفی حدیث علی أنقاض

العمارة التی تم تخریبها یستفید منه الناس، أو أنّ لهطول المطر فی المثال السابق تأثیراً مفیداً من حیث المجموع. إنّنا فی أحکامنا السطحیة المألوفة نعتبر لسعة الحیّة شرّاً، بغیر أنّ نعلم أنّ هذه اللسعة ومافیها من سم إنّما هی وسیلة دفاع یستفید منها هذا الحیوان، وإنّ هذا السم نفسه یصنع منه دواء شاف قد ینقذ حیاة الآلاف من بنی البشر. وعلیه، إذا أردنا توخی الدّقة وعدم الوقوع فی شراک الخطأ فعلینا أنْ نلقی نظرة علی معلوماتنا المحدودة لکیلا نقیم أحکامنا علی مجرد العلاقات التی تربط دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۸۱ الاشیاء بنا، و ینبغی أنْ ننظر الی الأمر من جمیع الجوانب بحیث تکون أحکامنا جامعة شاملة. إنّ جمیع حوادث العالم، من حیث الاساس، أشبه بسلسلة مترابطة الحلقات. إنّ العاصفة التی تهبّ الیوم فی مدینتنا، والامطار الغزیرة التی تهطل، ما هی الا حلقات فی السلسلة المدیدة التی ترتبط بحوادث تجری فی مناطق اخری وکذلک ترتبط بحوادث جرت فی «الماضی» واخری سوف تجری فی «المستقبل». و علیه، فإنّ النظر الی نقطة صغیرة واصدار حکم حاسم بشأنها بعید عن العقل والمنطق. إن بعض أفعال الناس یمکن اعتبارها «شرّاً مُطلقاً» ولکن إذا کان الامر من جهة خیراً ومن جهة شرّاً مع الغلبة للخیر کالعملیة الجراحیة المؤلمة من جهة والمفیدة من جهات اخری یعتبر خیراً نسبیا. وللتوضیح نعود الی مثال الزلزلة: صحیح أنّها تؤدی الی الدمار فی مکان معین، ولکننا إذا أخذنا بنظر الاعتبار علائق هذه الظاهرة المتسلسلة بأُمور اخری فی الطبیعة لتغیر حکمنا. هل أن الزلزلة ترتبط بحرارة باطن الارض والابخرة المتکونة فیه؟ أم أنّها ترتبط بقوة جاذبیة القمر التی تجذب ماعلی الارض من جمادات نحوها؟ أم أنها ترتبط بکلیهما؟ إنّ للعلماء نظریات مختلفة بهذا الخصوص. ولکن مهما کان السبب، فلابدّ لنا أنّ ننظر الی الآثار الاخری لهذه الظاهرة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۸۲ من ذلک، مثلًا، یجب أنْ نعرف تأثیر حرارة باطن الارض فی تکوین منابع النفط التی تعتبر من أهم مصادر الطاقة فی عصرنا، وکذلک فی تکوین الفحم الحجری و أمثالهما. وعلیه فإنّ حرارة باطن الارض خیر نسبی. کذلک الامر بالنسبة للمد و الجزر الحاصلین بتأثیر جاذبیة القمر لمیاه البحار، إذ أنّ لهما أهمیة کبری فی حرکة میاه البحار والابقاء علی حیاة الکائنات البحریة، وکذلک فی ارواء السواحل الجافة فی المناطق التی تصب فیها المیاه العذبة فی البحر. هذا أیضاً خیر نسبی. من هذا ندرک أنّ أحکامنا النسبیة ومعلوماتنا المحدودة هی التی تظهر أمثال هذه الحوادث بصورة نقاط مظلمة علی صفحة الخلیقة. وکلما تعمقنا فی التأمل و التفکیر فی العلائق التی تربط هذه الحوادث ببعض أدرکنا أهمیتها. یقول لنا القرآن المجید: ی وَمَا أُوتِیتُم مِنَ العِلْمِ إلّاقَلِیلًای. «۱» فلا ینبغی لنا بعلمنا القلیل هذا أنْ نتعجل اصدار الاحکام.

۲- الحوادث السیئة و الانذار

إنّنا جمیعاً نعرف أشخاصاً عندما غمرتهم النعم، أصابهم «الغرور» و «حبّ الذات» فنسوا- وهم فی هذه الحالة- الکثیر من واجباتهم الانسانیة. کما إننا جمیعاً نعرف أشخاصاً إذا کانوا متنعمین بالرّاحة والدّعة وسارت دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۸۳ بهم الامور علی وتیرة واحدة من الهدوء والاستقرار، إنتابتهم حالة من «السبات والغفلة»، و هی حالة اذا دامت عندهم أدّت الی تعاستهم وشقائهم ولا شک أنّ بعض الحوادث المنغصة هدفها وضع حد لتلک الحالة من الغرور وایقاظ الانسان من سبات الغفلة. و لابدّ أنّکم سمعتم بأنّ سواق السیارات المحترفین یشکون من الطرق الممهدة المعبدة الخالیة من الانعطافات حیث یرون أنّ هذه الطرق خطرة، وذلک لأنّ رتابتها تحمل السائق علی الشعور بالنعاس وفی هذه الحالة یکمن الخطر. ولذلک نجد هذه الطرق فی بعض البلدان قد اصطنعوا لها الانحناءات والمرتفعات والمنخفضات للحیلولة دون وقوع السّواق فی مثل تلک الحالات. إن خطر مسار الحیاة لا یختلف عن ذلک. فاذا خلت الحیاة من المنعطفات والالتواءات والمنخفضات، واذا لم یعتورها أحیاناً بعض المنغصات، استولت علی الانسان تلک الحالة من نسیان اللّه والغفلة عن ذکره وعن القیام بالواجبات الملقاة علی عاتقه. و لا نقول طبعاً أنّ علی الانسان أن یصطنع لنفسه الحوادث المنغصة وأنّ یبحث عن الاحزان، وذلک لأنّ أمثال هذه الحوادث موجودة دائماً فی حیاة الانسان. ولکننا نرید التذکیر بأن الحکمة فی هذه الحوادث أحیاناً هی الوقوف بوجه الغرور والغفلة والنسیان المعادیة لسعادة الانسان. نکرر القول بأنّ هذه هی الحکمة

من بعض تلك الحوادث، لا كلّها، إذ أنَّ هناك حوادث اخرى سوف نتحدث عنها إنْ شاء اللّه. يقول كتابنا السماوى العظيم: دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۸۴ ى فَأَخَذْنَاهُم بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَهُم يَتَضرَّعُونَى. «۱» فكر وأجب ۱- من هم الذين طرحوا الكوارث و الابتلاءات فى البحوث العقائدية؟ ۲- هات نماذج للكوارث و الابتلاءات، و هل صادفتك فى حياتك؟ ۳- ماذا نقصد بالحكم النسبى والمطلق، وما هو «الشر المطلق» و «الخير النسبى»؟ ۴- هل الأعاصير والزلازل مضرة دائماً؟ ۵- كيف يمكن أنْ تكون لمنغصات الحياة آثار إيجابية فى نفسية الانسان؟

الدّرس ۴ حكمة المصائب التى تصيب الانسان فى حياته

اشارة

قلنا إنَّ فريقاً من المخالفين تناولوا الحوادث المأساوية و ظهور الابتلاءات و المشكلات والاحباطات التى تصيب الانسان فى حياته، وجعلوها ذريعة لانكار عدالة اللّه، بل حتى إنكار وجود ذات اللّه. و فى البحث السّابق حللنا بعضاً من تلك الحوادث واشرنا الى حكمتين إثنتين لها. والآن نواصل البحث عنها مرّة اخرى

۳- الانسان ينمو فى أحضان المشكلات

نكرر مرّة اخرى أنَّ الانسان ينبغى الّا يخلق بيده المشاكل و المصائب لنفسه. ولكن كثيراً مايحدث أنْ تكون الحوادث الصعبة و المأساوية سبباً فى تقوية إرادتنا وزيادة قدرتنا على التحمل، كالفولاذ الذى يدخلونه النّار الحامية فيزداد قوّة وصلابة. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۸۶ إنَّنا ندخل أتون هذه الحوادث لنخرج أكثر تجربة وأصلب عوداً. فالحرب حدث سيء ولكن ربّ حرب ضروس طويلة الامد كشفت عن مواهب الشعب الكامنة، وأبدلت تشتته وحدة، وأسرعت فى جبران نواقصه. يقول أحد المؤرخين الغربيين المعروفين: «إنَّ كلّ حضارة لامعة ظهرت على امتداد التاريخ فى مكان ما ظهرت بسبب تعرض ذلك الشعب لهجوم دولة عظمى خارجية، فأيقظت قواه الكامنة وحشدتها». بديهى أن تأثر جميع الاشخاص والمجتمعات بحوادث الحياة المرّة ليس بمستوى واحد، فالبعض ينتابهم اليأس ويستولى عليهم الضعف والتشاؤم، فيكون تأثرهم سلبياً، و البعض الآخر يملكون الاستعداد و الاهلية ليتفاعلوا مع تلك الحوادث تفاعلًا إيجابياً، فيكون ذلك سبباً فى تنمية مواهبهم ومؤهلاتهم فتتفجر و تتفتق قابلياتهم و تسرع لاصلاح نقاط الضعف فيهم. ولكن بما أنَّ معظم الناس يصدرون أحكاماً سطحية فى مثل هذه الحالات، فانهم يرون المنغصات ويتذوقون مرارتها، دون الالتفات الى آثارها الايجابية البنّاءة. إنَّنا لا ندّعى بأن جميع الحوادث المرّة لها مثل هذه التأثيرات على الانسان، ولكن لقسم منها، على الاقل، مثل هذه التأثيرات. ولو إنَّك درست سيرة نوابغ العالم لرأيت أنَّهم فى الاغلب قد كبروا وترعرعوا فى خضم المشكلات والمصاعب. وقلّما تجد بين المتنعمين دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۸۷ المرفهين من أظهر شيئاً من النّبوغ فى حياته ووصل الى مراكز رفيعة. إنَّ القادة العسكريين العظام هم اولئك الذين شهدوا ابتلت بمشاكل حروباً طويلة صعبة فى سوح القتال. والعقول الاقتصادية المتفكرة هى التى ابتلت بمشاكل الاسواق والازمات الاقتصادية فى العالم. و السياسيون العظام الاقوياء هم الذين استطاعوا منازلة الأزمات السياسية العويصة. و باختصار، فان المشكلات وا لآلام هى التى تربى الانسان فى أحضانها. نقرأ فى القرآن الكريم قوله تعالى: ى فَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلُ اللّهُ فِيهِ خَيْرَاً كَثِيرَاًى. «۱»

۴- المشاكل تسبب العودة الى اللّه

قرأنا فى الدّروس السّابقة أنَّ لكل جزء من أجزاء وجودنا هدفاً معيناً. فالعين خلقت لهدف، والاذن خلقت لهدف آخر، وكذلك

القلب والدّماغ والاعصاب خلقت کل منها لهدف، و حتی خطوط رؤوس أناملنا فی خلقها هدف وحکمة. إذن، کیف یمکن أنْ یکون کلّ وجودنا بدون هدف و حکمة؟ و قد قرأنا فی الدّروس السابقة أنَّ الهدف لیس سوی بلوغ الانسان التکامل من جمیع الوجوه. فلاشک أنَّ الوصول الی هذا التکامل یتطلب برامج تعلیمیة و تربویة عمیقة تستغرق کل کیان الانسان. و من أجل ذلک فإنَّ اللّه سبحانه وتعالی، فضلًا عن دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۸۸ کونه قد وهب الانسان فطرته التوحیدیة الطاهرة، ارسل الانبیاء العظام والکتب السماویة للإضطلاع بمهمة قیادة الانسان فی مسیرته التکاملیة. و فی غضون ذلک، یریه اللّه أحیاناً انعکاسات ذنوبه ویواجهه ببعض المشکلات و الآلام فی حیاته، للوصول به الی التکامل عن طریق انکشاف عواقب أعماله القبیحة المشؤومة، فیندم ویعود بتوجهه الی اللّه. و فی هذه الحالة تکون بعض المشکلات والحوادث المؤلمة رحمة منالله ونعمة. وفی هذا یقول القرآن الکریم: ی ظَهَرَ الفَسَادُ فِی البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا کَسَبَتْ أیْدِی النَّاسِ لِیُذِیْقَهُم بَعْضَ الّذَی عَمِلُوا لَعَلَّهُم یَرجِعُونَی. «۱» و بهذا فان نظرتنا الی الحوادث المؤلمة علی اساس أنَّها «شرّ وبلاء» وأنَّها تخالف العدالة الالهیة، تعتبر نظرة بعیدة کل البعد عن المنطق والدّلیل العقلی، إذ إنَّنا کلما إزددنا تعمقاً فی هذا الموضوع إزداد أمامنا وضوح مافیه من حکمة وما وراءه من فلسفة. فکّر وأجب: ۱- ما هو الهدف من خلقنا؟ وکیف نصل الی هذا الهدف؟ ۲- کیف یزداد الانسان خبرة وصلابة عن طریق مواجهة المشکلات ومقاومتها؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۸۹ ۳- هل سمعتم أو قرأتم عن أشخاص قویت شکیمتهم واشتدت عزائمهم وبلغوا مناصب مهمّة بسبب احتمالهم المشکلات القاسیة؟ احکوا لنا ما تعرفونه عنهم؟ ۴- ما الذی یقوله القرآن بشأن نتائج ذنوبنا؟ ۵- من الذی یتوصل الی نتائج إیجابیة من الحوادث المؤلمة؟ ومن الذی یصل منها الی نتائج سلبیة؟

الدّرس ۵ عودة الی الحکمة من الابتلاءات و الکوارث

اشارة

لمّا کانت قضیة المصائب و الکوارث المؤلمة تعتبر مشکلة مستعصیة بوجه الباحث عن معرفة اللّه والتوحید، فلابدّ من العودة مرّة أخری لبحث هذه القضیة و تحلیلها و مواصلة ما أوردناه عن الحکمة فی بعض المصائب و الابتلاءات.

۵- إقبال الحیاة و ادبارها و المشکلات تهب الحیاة روحاً وحیویة

لعل من الصعب علی الکثیرین أدراک أنَّ النّعم والعطایا إذا إستمرت علی وتیرة واحدة تفقد قیمتها وأهمیتها. فلقد ثبت الیوم علمیاً إنَّنا إذا وضعنا جسماً فی حجرة مدورة ملساء تماماً وسلطنا علیه نوراً قویاً من جمیع الجهات لما امکنت رؤیة ذلک الجسم. لأنَ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۹۲ وجود الظل الممتد من الجسم بسبب الضوء هو الذی یعین لنا أبعاد الجسم ویمیزه عمّا یحیط به، وعندئذ نستطیع أنْ نراه. کذلک هی حال عطاءات الحیاة، فلا یمکن رؤیتها بغیر الظلال الخفیفة والثقیلة. ولولا المرض فی بعض فترات الحیاة لما عرفنا لذّة السّلامة. إنَّنا علی أثر لیلة من الحمی الشدیدة والصداع القاتل الالیم، نشعر صباًحا بعد انقطاع الحمی وزوال الصداع باللذة والحلاوة فی العافیة بحیث إنَّنا کلّما تذکرنا تلک اللّیلة العصیبة أدرکنا قیمة السّلامة والعافیة عندنا. إنَّ الحیاة نفسها، حتی المسرفة فی الرفاهیة والرخاء، تکون مملة وعدیمة الروح وقاتلة لو أنَّها مضت علی وتیرة واحدة. و کثیراً ما لوحظ أن بعض النّاس یعانون الألم والعذاب بسبب رتابة حیاتهم المرفهة الخالیة من کل منغص وقلق الی درجة أن بعضهم یقدم علی الانتحار، أو لا یکف عن الشکوی من حیاته. إنَّک لن تجد مهندساً معماریاً یملک ذوقاً یبنی جدران غرفة الاستقبال رتیبة مسطحة مثلما یبنی جدران السجن، بل أنَّه یضیف علیها من الانعطافات والانحناءات المناسبة لیخرجها من الرتابة. لماذا یتمیز عالم الطبیعة بکل هذا الجمال؟ لماذا تثیر فینا الغابات علی سفوح الجبال، والانهار المنسابة بین الاشجار و هی تلتوی فی المنعطفات کالأفعی، هذا الشعور بالبهجة؟ إنَّ أحد

الأجوبة هو: أنّها ليست رتيبة. إنّ من أهم آثار نظام «النّور» و «الظّلام»، وتعاقب الليل والنهار الذى دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۹۳ يشير اليه القرآن فى عدد من آياته، كسر رتابة الحياة الانسانية، إذ لو ظلّت الشّمس تطلع من مكان واحد فى السماء على الكرة الأرضية، بغير أنْ تغير موضعاً ولا أنْ تترك مكانها الى الليل لكى يسدل أستاره، و يصرف النظر عن المشكلات الاخرى، لانتاب البشر التعب والملل. فعلى هذا الاعتبار لامندوحة لنا من الاعتراف بأنّ قسماً، على الاقل- من حوادث الحياة المؤلمة لها تأثيرها فى اضفاء الحيوية على الحياة، فتجعلها حلوة يمكن تحملها، وتبرز نعمها وقيمها، و تتيح للانسان الفرصة لكى يستفيد ممّا وهبه اللّه بأقصى مايستطيع.

۶- المشكلات المختلفة

النّقطة الاخرى التى نرىمن الضرورة الاشارة إليها فى ختام هذا البحث هو أنّ كثيراً من الناس يخطئون فى معرفة علل هذه الحوادث المنغصة و البلاءات النازلة، فيضعون الظلم الذى يرتكبه الظالمون فى حساب ظلم الطبيعة. يقولون مثلًا: لماذا تكثر الاحجار فى طريق الأعرج؟ لماذا تكون ضحايا الزلازل فى المدن أقل من القرى والارياف؟ فأى عدالة هذه؟ إذا كان لابدّ من توزيع كارثة ما على الناس، فلماذا لا تتوزع بالتساوى؟ لماذا يتوجه نصل الحوادث المؤلمة الى المستضعفين دائماً؟ لماذا تنتشر الامراض المسرية و الفتاكة بين هؤلاء أكثر من انتشارها بين غيرهم؟ هؤلاء لايدركون أنّ هذه الامور لاعلاقة لها بالطبيعة و لا بعدالة اللّه، بل هى من نتائج ظلم الانسان لاخيه الانسان واستعماره و استغلاله. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۹۴ لو لم يكن اهل القرى يعيشون فى الفقر والحرمان بسبب ظلم سكان المدن، بل كانوا قادرين على تشييد دورهم بالمتانة التى يشيد بها اهل المدن دورهم فى المدينة، لما وقعت اكثرية ضحايا الزلازل فى القرية. ولكن عندما لا يكون بمقدورهم أنْ يبنوا دروهم، إلّامن الطين أو الحجر و الاخشاب، دون استعمال الاسمنت والحديد، بل يضعون كتل الطين أو الحجر و بدون تخطيط بعضاً فوق بعض، فلاشك أنّها ستكون عرضة للانهيار عند هبوب أية ريح أو وقوع زلزلة خفيفة. وفى هذه الحالة لايمكن أنْ نتوقع لهم مصيراً أفضل. ولكن ما علاقة هذا بعدالة اللّه؟ إنّنا لايجوز لنا أنْ نعترض قائلين: إنّ اللّه قد أعطى بعض الناس مائة نعمة ونعمة، وأجلس آخرين على تراب الذلة، فذلك يسكن فى قصر منيف، وهذا فى كوخ ضعيف! هذه الانتقادات ينبغى أنْ توجه الى الوضع الاجتماعى الذى فقد توازنه واختل نظامة وسار فى اتجاه خاطىء. يجب النهوض لوضع حد للظلم الاجتماعى وفقدان العدالة فى المجتمع، وللقضاء على الفقر والحرمان، ولإعادة حقوق المستضعفين لاصحابها، لكى لا تحدث هذه الظواهر. و لو أنّ جميع طبقات الشعب نالوا الغذاء، الكافى والعلاج الطبى اللازم، لاستطاعوا جميعاً ضمان صحتهم ومقاومة الامراض. ولكن عندما تكون الحالة الاجتماعية فى نظام إجتماعى متدنّية، والحكومة توفّر لطبقة من الطبقات كلّ الامكانات بحيث أنّ كلابها وقططها تحظى بالعناية الطّبية وبالعلاج والدواء، بينما لايتوفر لطبقة أخرى حتى الحدّ الادنى البدائى من دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۹۵ العناية الصّحية للاهتمام بمواليدها الجدد، فان نسبة الوفيات بين أفرادها ستكون حتما مرتفعة ويرى الانسان الكثير من تلك المشاهد المؤلمة. ففى أمثال هذه الحالات، بدلًا من توجيه النقد الى أفعال اللّه، علينا أنْ نوجهه الى أفعالنا. علينا أنْ نقول للظالم: لاتظلم: وعلينا أنْ نقول للمظلوم: لا تخضع للظلم! وعلينا أنْ نسعى لكى ينال جميع أفراد المجتمع الحد الادنى، من العناية الصّحية والعلاجية والغذائية و السكنية والثقافة والتعليم والتربية. لذلك ليس لنا أنْ نلقى بتبعة ذنوبنا وآثامنا على عاتق نظام الخليقة. متى فرض اللّه تعالى علينا حياة كهذه؟ متى امرنا بمثل هذا النظام؟ صحيح أنّ اللّه قد خلقنا أحراراً. لانّ الحرية هى أساس التكامل والتقدم، ولكننا نحن الذين نسىء استغلال هذه الحرية و نستسيغ انزال الظلم بالآخرين. فتظهر نتايج هذا الظلم بصورة اضطرابات اجتماعية. ولكن الذى يؤسف له أنْ يسود هذا الخطأ فيسيطر على جموع كثيرة من الناس، حتى شوهدت آثار ذلك فى شعر بعض الشعراء المعروفين. يقول اللّه فى كتابه المجيد: ى إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَى. «۱» وهكذا نصل الى نهاية بحثنا فى فلسفة البلاء و الكوارث. على الرّغم من دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۹۶ الكثير الذى يمكن أنْ يقال فى

هـذا الموضوع، إلّاأنَّ الذی قلناه یکفی لهذا البحث المختصـر و المفید انشاءاللّه. فکر وأجب ۱- لماذا أجرینا البحث فی فلسفة البلاء و الکوارث علی امتـداد ثلاثة دروس؟ ۲- ما هو الاثر السـیء الذی تترکه الحیاة الرتیبة؟ هل سـبق لک أنْ رأیت شـخصاً یتألم من حیاته المرفهة؟ ۳- ماذا تعرف عن فلسفة النّور والظلام فی عالم الخلق؟ ۴- هل أنَّ سبب مصائب المجتمع هو نظام الخلیقة، أم أنَّ لنا یداً فی بعضها أیضاً؟ ۵- هل هناک وسـیلة صـحیحة للقضاء علی المشـکلات الاجتماعیة؟ ماهو واجبنا نحو المستضـعفین تجاه ذلک؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۹۷

الدّرس ۶ الجبر والتّفویض

اشارة

من المسائـل التی لهـا علاقـة بالعـدل الالـهی هی مسألـة الجبر والتفویض (أو الجبر والاختیـار). فیری الجبریون أنَّ الانسـان فی أعمـاله وأقوله وسـلوکه لیس مختـاراً وأنَّ حرکـات أعضـائه أشـبه بالحرکات الجبریـة فی أقسام جهاز من الأجهزة الالیـة. هـذه الرؤیـة تثیر فی الـذّهن هـذا السّؤال: تری کیف تنسـجم هـذه الفکرة مع الاعتقاد بالعـدل الالهی؟ ولعل هـذه هی الفکرة التی حدت بالأشاعرة- الذین سبق أنَّ قلنـا إنَّهم ینکرون الحسن والقبـح العقلیین- الی القبول بفکرة الجبریین فی انکـار عدالـة اللّه، إذ أنَّ مع القبول بفکرة الجبریین لایعود هناک للعدالة الالهیة أی مفهوم. ولتوضیح هذا الأمر لابدّ من التطریق بدقّة الی عدد من مواضیع:

۱- مصدر الاعتقاد بالجبریة

کل شـخص یدرک فی قرارة نفسه أنَّه حرّ فی اتخاذ ما یشاء من القرارت. فمثلًا یقرر أنْ یقدم عوناً مادیاً لصدیقه الفلانی، أو لایقدم له شیئا. أو أنَّه عنـدما یکون عطشان ویری الماء امامه، له الحریـة فی أنْ یشـرب أولایشـرب. أو أنَّ فلاناً قـد أساء الیه، فله أنْ یغفر له أولا یغفر. أو أن کل شـخص یمیز بین الیـد التی ترتعش بسـبب الشـیخوخة، والیـد التی تتحرک وفق إرادة صاحبها. إذن، فاذا کانت مسأله حریـة الارادة شـعور عام فی الانسان، فلماذا یـذهب بعض الناس مذاهب جبریة؟ بدیهی إنَّ لذلک أسـباباً متعددة نورد لکم هنا واحداً منهـا: یلاحـظ الانسان أنَّ للمحیط تاثیراً فی الافراد، وکـذلک التربیـة، والتلّقین. والاعلام، والثقافـة الاجتماعیـة. کل هـذه تؤثر فی فکر الانسان وروحه. کما أنَّ الحالة الاقتصادیة تکون أحیاناً باعثاً علی سلوک معین فی الانسان. ولایمکن أیضاً إغفال العامل الوراثی. هذه الظّروف بمجموعها تجعل الانسان یظن أنَّ لا خیار له فیما یفعل. وإنّما هی العوامل الذاتیـة من الـداخل ومن الخارج کلها تضع یداً بید وتحملنا علی القیام ببعض الاعمال التی ربّما لم نکن لنقـدم علیها لولا تلک العوامل. هـذه أُمور یمکن أن توصف بأنَّها ولیـدة المحیط أو الظروف الاقتصادیة أو التعلیم والتربیة أو الوراثة، وهی من العوامل المهمّة التی تدفع بالفلاسفة نحو الجبریة.

۲- النّقطة الرّئیسیة فی خطأ الجبریین

إنَّ النّقطة الرّئیسـیة التی غفل عنها الجبریة هی أنَّ القضـیة لیست قضـیة «الدّوافع» و «العلل الناقصة»، بل هی قضـیة «العلة التّامة» و بعبارة اخری لاـ أحـد ینکر تـاثیر «المحیط» و «الثقافـة» و «العوامل الاقتصادیـة» فی تفکر الانسان وأفعاله. ولکن القضـیة هی إنَّنا مع کل تلک العوامل نظل قادرین علی اتخاذ القرار بغیر إجبار، بل بمحض اختیارنا. نحن نـدرک بکل جلاء باننا حتی لو کنا بیئـة طاغوتیـة منحرفة، مثـل النظام الطّاغوتی الشاهنشاهی (فی ایران) سابقاً، حیث توفرت کل وسائل الانحرافات، لم نکن مجبرین علی الانحراف، وفی ذلک المحیط وتلک الثقافة کنا نستطیع أنْ لانرتشی، وأنْ لانرتاد بؤر الفساد، و أنْ لا نحیا حیاة متحللة. لذلک علینا أنْ نفصّل بین «الظّروف» و «العلـة التّامـة». ولهـذا کثیراً مـا نری أشـخاصاً ترعرعوا فی محیـط عـائلی مرفه، أوفی محیط اجتماعی منحط، أو أنَّهم ورثوا موروثات

سیئة، ومع ذلک فإنَّهم فصلوا طریقهم عن طریق الآخرین. بل ثار بعضهم حتی ضد المحیط الذی عاش فیه. فلو کان الانسان إبن محیطه وثقافة زمانه و إعلام عصره، لکان علی الجمیع أنْ یخضعوا لذلک المحیط، ولما کانت هناک أیة ثورة ضد المحیط فی محاولة لتغییره. یتضح من هذا أنَّ العوامل المذکورة لیست عوامل مصیریه حاسمة، بل هی عوامل ممهدة، فالمصیر الأصل هو الذی یصنعه الانسان بارادته و قراره، وهذا أشبه مایکون بحالنا فی عزمنا علی الصیام فی صیف قائظ حارق، فإنّ کلّ ذرّة فی کیاننا تطلب الماء بالحاح، ولکننا إطاعة لأمر اللّه، نتغاضی عن کلّ ذلک دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۰ ونستمر فی صیامنا، وقد یکون هناک من یضعف أمام العطش فلا یصوم. الخلاصة هی إنَّ وراء، جمیع العوامل والدّوافع عاملًا مصیریاً إسمه حریة الانسان فی اتخاذ قراره.

۳- العامل الاجتماعی والسّیاسی فی المذهب الجبری

الحقیقة إنَّ مسألة «الجبر والتفویض» قد أسیء استعمالها إساءة بالغة علی امتداد التاریخ، واستطاعت عوامل ثانویة کثیرة أنْ تقوی جانب الجبر وانکار حریة ارادة الانسان و من تلک العوامل: أ- العامل السّیاسی کثیر من الحکام الجبارین المعاندین الذین سعوا لإطفاء مشاعل ثورة المستضعفین لادامة حکمهم غیر المشروع، کانوا یتعهدون فکرة الجبریة ویشیعونها، قائلین: أنَّنا لانملک حریة الاختیار، و إنَّ ید القدر وجبریة التاریخ تمسک بمصائرنا، فاذا کان بعض أمیراً، وبعض أسیراً، فذاک حکم القضاء والقدر والتاریخ. و لایخفی ما لهذا الاتجاه فی التفکیر من تأثیر فی تخدیر طبقات الشعب وفی تأیید إستمرار السیاسات الاستعماریة، بینما الحقیقة هی أنَّ مصائرنا- عقلا وشرعاً- فی أیدینا، وإنَّ القضاء والقدر بمعنی الجبر وسلب الارادة لاوجود له، فالقضاء والقدر الالهی یتعیّن بحسب حرکتنا وإرادتنا وایماننا وسعینا. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۱ ب- العامل النّفسی هناک أشخاص ضعفاء وکسالی وغالباً مایکون الاخفاق نصیبهم فی الحیاة، ولکنهم لایریدون الاعتراف بهذه الحقیقة المرّة، وهی أنَّ کسلهم أو أخطاءهم هی السبب فی اخفاقهم، لذلک ولکی یبرئوا أنفسهم، یتمسکون بأذیال الجبریة، ویضعون أوزارهم علی عاتق مصیرهم الاجباری، لعلهم بهذا یعثرون علی وسیلة تمنحهم شیئاً من الهدوء الکاذب، فیعتذرون قائلین: ماذا نفعل؟ لقد حیک بساط حظنا منذالیوم الاول باللون الاسود، ولیس بمقدور میاه زمزم وکوثر أنْ تحیل سواده بیاضاً. إنَّنا کتلة من الهمة والاستعداد، ولکن مع الاسف أنَّ الحظ لایحالفنا! ج- العامل الاجتماعی یحب بعض الناس أنْ یکونوا أحراراً فی التمتع واشباع أهوائهم وارتکاب ماتشاء لهم رغباتهم الحیوانیة من الجرائم والآثام، وفی الوقت نفسه یقنعون أنفسهم بأنَّهم لیسوا مذنبین، ویخدعون المجتمع بأنَّهم أبریاء. وهنا یلجأون الی عقیدة الجبریة، فیتذرعون فی أعمالهم بأنَّهم غیر مختارین! ولکننا، بالطبع، نعلم إنَّ کل هذا کذب محض، بل إنَّ الذین یتذرعون بهذا العذر یؤمنون بأنَّه واه ولا اساس له، إلّاأنَّ انغماسهم فی اللّذائذ الرخیصة لا تسمح لهم باعلان هذه الحقیقة. لذلک لابدّ لنا فی سعینا لبناء المجتمع بناء سلیماً أنْ نکافح هذه المعتقدات الجبریة والمقولات عن الحتمیة التی یستغلها المستعمرون، وتتخذ وسیلة لتسویغ الاخفاق الکاذب ولإفشاء الفساد فی المجتمع. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۲ فکر وأجب ۱- ما الفرق بین «الجبر» و «التّفویض»؟ ۲- ما هی أهم ادعاءات الجبریة؟ ۳- ما رأیک فی تأثیر البیئة و الثقافة و الوراثة؟ ۴- ما هی العوامل «السّیاسیة» و «النّفسیة» و «الاجتماعیة» التی تؤید عقیدة الجبریة؟ ۵- ماهو واجبنا تجاه هذه العوامل؟

الدّرس ۷ الدّلیل علی حریة الارادة والاختیار

۱- الوجدان العام فی البشر یدحض الجبریة

علی الرّغم من أنَّ الفلاسفة والعلماء الالهیین أکثروا البحث فی مسألة حریة إرادة الانسان، ولهم علی ذلک أدلة مختلفة ولکننا لکی

نختصر الطریق نتناول أوضح الادلة علی حریة إرادة الانسان، وهو الوجدان الانسانی العام: إذا استطعنا أنْ ننکر کلّ شیء فلیس بامکاننا أنْ ننکر هذه الحقیقة وهی أنَّ جمیع المجتمعات البشریة سواء أکانت تعبد اللّه أم کانت مادیة، شرقیة أم غربیة، قدیمة أم حدیثة، غنیة أم فقیرة، متقدمة أم متخلفة ومهما تکن ثقافتها فإنّها جمیعاً وبدون استثناء تؤید ضرورة وجود «قانون» ینظم حیاة المجتمعات البشریة، أی أنَّ الفرد مسؤول أمام القانون. وأنَّ الذی یخالف القانون یجب أن یعاقب بشکل یناسب مخالفته. إنَّ سلطة القانون و مسؤولیة الافراد ومعاقبة المخالف أُمور متفق علیها بین دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۴ جمیع عقلاء العالم، هذه المسألة هی التی نطلق علیها اسم (الرأی العام العالمی) وتعتبر أوضح دلیل علی حریة ارادة الانسان وتمتعه بحریة الارادة. فکیف یمکن أنْ نصدق أنَّ انساناً یکون مجبراً فی أعمال و تصرفاته و لا یملک حریة الارادة، ثم نعتبره مسؤولًا أمام القانون، فاذا نقض القانون أتینا به الی قاعة المحکمة واستنطقناه، لماذا فعل هذا؟ ولماذا لم یفعل ذاک؟ وبعد اثبات خروجه علی القانون نحکم بسجنه أوباعدامه. هذا أشبه بجلبنا الصخور، التی تتهاوی من الجبال فتقتل الناس فی الطرقات، الی المحکمة لمحاکمتها! صحیح أنَّ الانسان یختلف کثیراً فی الظاهر عن صخرة من الصخور، ولکننا إذا أنکرنا إرادة الانسان، فلن یکون لهذا الاختلاف الظاهری أی أثر، فکلاهما یکونان تحت تأثیر عوامل قهریة مجبرة، فالصخرة المحکومة بقانون الجاذبیة تسقط علی الناس فی الطریق، والانسان المجرم أو القاتل یکون تحت تأثیر عوامل قهریة مجبرة اخری فبناء علی عقائد الجبریین، لیس هناک أی فرق بین هذین من حیث النتیجة، فکلاهما لم یرتکب ذلک العمل باختیاره، فلماذا نحکم علی أحدهما دون الآخر؟ إنَّنا علی مفترق طریقین: أمّا أن نقول بخطأ الرأی العام فی العالم، ونعتبر کل القوانین والمحاکم ومعاقبة المجرمین عبثاً فی عبث، بل ظلماً فادحاً، وإمّا أنْ ننکر مایذهب الیه الجبریون واتباعهم. و لا شک إنَّ الرأی الاخیر هو المتّعین! و إنَّه لمن الغرابة بمکان أنْ نجد الذین ینحون فی عقائدهم وافکارهم دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۵ الفلسفیة منحی الجبریین و یأتون بالأدلة علیها، ینحازون الی جانب حریة الارادة عند دخولهم فی معترک الحیاة! فهم إذا اعتدی أحد علی حقوقهم أو ألحق بهم ضرراً وأذی، یرونه جدیراً بالتوبیخ والعتاب، وقد یشکونه الی المحاکم، بل ربّما ثاروا وهاجوا ولم یهدأوا حتی ینال غریمهم العقاب القانونی! حسناً، فاذا کان الانسان غیر مختار فی أفعاله حقّاً، وأنّ مایفعله لیس بارادته، فلم کل هذا التوبیخ والعتاب والشکوی و الهیجان؟ علی کل حال، إنَّ هذا الرأی العام لعقلاء العالم دلیل حی علی حقیقة کون الانسان یؤمن فی اعماقه بحریة الارادة، وکان دائماً کذلک، بل إنَّه لا یستطیع أنْ یحیا یوماً واحداً بخلاف ذلک، وبغیر أنْ یدیر عجلة حیاته علی محور هذا الایمان. یقول الفیلسوف الاسلامی العظیم (الخواجه نصیر الدین الطوسی) فی بحث الجبر والتفویض، فی عبارة قصیرة: «... والضرورة قاضیة باسناد أفعالنا إلینا». «۱»

۲- التناقض بین منطق «الجبریة» و منطق «الدین»

إنَّ الکلام المذکور آنفاً کان فی تناقض الجبریة مع الرأی العام عند عقلاء العالم، سواء الذین یدینون بدین والذین لادین لهم اطلاقا. إلّا أنَّ هناک دلیلا آخر من وجهة النظر الدینیة تبطل أفکار الجبریة، و هو إنَّ الاعتقادات الدینیة لایمکن أنْ تنسجم مع الفکر الجبری، إذ أنَّ قبول ذلک دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۶ یصیب العقائد الدّینیة بالخلل و الشلل. کیف یمکن القول بعدالة اللّه- وهی التی أثبتناها بجلاء فی الدورس السابقة- ثم نقول أنَّها لاتناقض العقیدة الجبریة؟ کیف یمکن القول بأنَّ اللّه یجبر انساناً علی القیام بعمل، ثم یعاقبه علی مافعل؟ وبناء علی ذلک، إذا قبلنا بالمدرسة الجبریة، لایکون هناک معنی للقول بوجود «ثواب» و «عقاب» و «جنة» و «نار». کما لایکون هناک مکان لمفاهیم مثل «صحیفة الاعمال» و «السؤال» و «الحساب الالهی» و ماجاء فی القرآن من ذم المسیئین والثناء علی المحسنین، وذلک لأنَّ الجبریین یقولون: لا المحسن مختار فی إحسانه، ولا المسیء مختار فی أساءته. ثم إنَّنا إذا تغاضینا عن کل ذلک، فإنَّ أوّل اتصال لنا بالدین نواجه «التکلیف والمسؤولیة». ولکن هل یمکن أنْ نکلف شخصاً بأی تکلیف ونحمله مسؤولیة ذلک إذا لم یکن له الخیار فیما یفعل؟ أیجوز أنْ نأمر شخصاً ترتعش یده دون إرادة بأنْ یوقف ارتعاش یدیه؟ أم هل

یجوز أنْ نطلب من شخص یتدحرج من سفح جبل شدید الانحدار أنْ یتوقف ولاینحدر؟ ولهذا قال أمیرالمؤمنین علی علیه السلام یصف مایقوله الجبریون: «... تلک مقالة اخوان عبدة الأوثان وخصماء الرّحمن وحزب الشّیطان». «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۷ فکر وأجب ۱- ما هو أوضح دلیل علی بطلان الجبر؟ ۲- اشرح الرأی العام العالمی حول مبدأ حریة الارادة؟ ۳- هل مؤیدوا الجبریة یلتزمون الجبریة فی التطبیق العملی؟ ۴- هل ینسجم الاعتقاد بالجبر مع مبدأ العدالة لالهیة؟ ولماذا؟ ۵- کیف تکون حریة الارادة هی الاساس فی القبول بالتّکالیف والمسؤولیات؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۰۹

الدّرس ۸ ما معنی «الأمر بین الأمرین»؟ المدرسة الوسط

۱- «التّفویض» فی قبال «الجبر»

بازاء الاعتقاد بالجبر، الذی یقع فی جانب «الافراط»، هناک اعتقاد آخر باسم «التفویض»، ویقع فی جانب «التفریط». یری الذین یعتقدون بالتفویض أنَّ اللّه قد خلقنا وترک کل شیء بیدنا، فلا دخل له فی أعمالنا وأفعالنا، وبناء علی ذلک یکون لنا الحریة الکاملة و الاستقلال التام فیما نفعل بلامنازع! و لاشک فی أنَّ هذا المعنی لایتفق ومبدأ التوحید، إذ أنَّ التوحید قد علمّنا أنَّ کل شیء ملکاللّه، ومامن شیء یخرج عن نطاق حکمه، بما فی ذلک أعمالنا التی نقوم بها مختارین وبملء حریة إرادتنا، و إلّافإنَّه شرک. وبعبارة أوضح: لیس بالامکان القول بوجود إلهین، أحدهما هو الاله الکبیر، خالق الکون، والآخر الاله الصغیر، أی الانسان الذی یعمل مستقلًا دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۰ وبکل حریة بحیث أنَّ اللّه الکبیر لایستطیع أنْ یتدخل فی أعماله! هذا، بالطبع، شرک وثنائیة فی العبادة، أو تعدد فی المعبود، فعلینا إذن أنْ نعتبر الانسان صاحب الارادة فیما یفعل، وفی الوقت نفسه نؤمن بأنَّ اللّه حاکم علیه وعلی أعماله.

۲- المدرسة الوسط

إنَّ النقطة المهمّة والدّقیقة هنا هی أنْ لایختلط علینا الأمر فنحسب هذین الأمرین متناقضین. الدقّة فی الأمر هی إنَّنا نؤمن ب (عدالة) اللّه إیماناً تاماً، ونؤمن فی الوقت نفسه بحریة عباد اللّه ومسؤولیتهم، وب (التوحید) وشمول حکمه عالم الوجود کلّه، وهذا هو ما یعبر عنه بمذهب (الأمر بین الأمرین)، أی الامر الوسط بین معتقدین متطرفین غیر صحیحین. ولما کان هذا الموضوع علی شیء من التعقید، فسنورد مثالًا توضیحیاً: أفرض أنَّک تقود قطاراً کهربائیاً فی سفرة، فلابدّ أنْ یکون هناک سلک کهربائی قوی یمتد فوق القطار. تنزلق علیه الحلقة المتصلة بالقطار، فیتحرک هذا بانتقال طاقة کهربائیة قویة من محطة لتولید الکهرباء الی ماکنة القطار باستمرار. بحیث لو انقطع التیار لحظة واحدة لتوقف القطار فوراً. بدیهی أنَّک قادر علی أنْ تتوقف أثناء الطریق حیثما تشاء، ولک أنْ تزید من سرعة القطار أو أنْ تخفف منها. ولکنک علی الرّغم من حریتک هذه، فإنَّ الشخص القائم علی إدارة محطة تولید الکهرباء قادر فی أیة لحظة أنْ یوقف حرکتک، وذلک لأنَّ قدرتک کلها تعتمد علی تلک الطاقة الکهربائیة التی یتحکم فیها شخص غیرک. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۱ إذا دققنا النظر فی هذا المثال نجد أنَّه علی الرغم من حریة سائق القطار فی الحرکة والسکون، إلّاأنَّه یقع فی قبضة شخص آخر، وأنَّ هذین الأمرین لایتعارضان. مثال آخر: أفرض إنَّ شخصاً أصیبت یده بالشلل علی أثر حادث عرضی، فلا یستطیع تحریکها، ولکننا إذا أوصلناها بطاقة کهربائیة خفیفة أمکن ایصال الحرارة الیها بحیث تتمکن من التحرک. فاذا ارتکب هذا الشخص بهذه الید جریمة، فقتل شخصاً أوصفع أحداً، فإنَّ مسؤولیة ذلک لاشک تکون علیه، لأنَّه کانت له القدرة و الإرادة، و أنَّ الشخص إذا ملک (القدرة والارادة) یکون مسؤولًا عن أعماله. ولکن الشخص الذی یوصل القوة الکهربائیة الی ید الجانی ویولّد فیها القدرة یکون هو المسیطر الحاکم علیه، فی الوقت الذی یکون فیه صاحب الید مالکاً لحریة إرادته واختیاره. و الآن لنعد الی موضوعنا:

لقد وهبناالله القدرة والقوة، ومنحنا العقل والذكاء وهی طاقات لاینقطع وصولها إلینا من‌الله، ولو توقف لطف الله عنّا لحظة واحدة وانفصمت رابطتنا به لقضی علینا قضاء تاماً. إنّنا إذا كنا قادرین علی إنجاز عمل، فقدرتنا قد وهبها الله لنا ومازالت تصل إلینا باستمرار بلا انقطاع، بل إنّ حریة إرادتنا أیضاً من عنده، أی أنّه هوالذی أراد لنا أنْ نكون أحراراً فی إرادتنا لكی نواصل مسیرتنا نحو التكامل بهذه الهبات الالهیة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۲ بناء علی ذلك فاننا فی الوقت الذی نملك فیه حریة إرادتنا واختیارنا، نظل تحت سیطرة القدرة الإلهیة، ولایمكن أن نخرج من نطاق حكمه. إنّنا فی لحظة القدرة والقوة نكون مرتبطین به تعالی ولایمكن أن نكون شیئاً بدونه. هذا هو معنی (الأمربین الأمرین). وبهذا لانكون قد وضعنا أحداً نظیراً لله تعالی لیكون شریكا له، ولانكون قد اعتبرنا عباد الله مجبرین فی أعمالهم لنقول إنّهم مظلومون، فتأمل! لقد تعلمنا هذا الدرس من مدرسة أهل البیت علیهم السلام، فعندما كان الناس یسألونهم عمّا إذا كان هناك سبیل بین (الجبر والتفویض) كانوا یقولون، نعم، أرحب ممّا بین السماء والارض. «۱»

۳- القرآن ومسألة الجبر والتفویض

یؤكد القرآن المجید فی هذه المسألة علی حریة إرادة الانسان بجلاء ووضوح فی المئات من الآیات التی تصرح بحریة إرادة الانسان. أ- جمیع الآیات التی تتناول الأوامر والنواهی والفرائض تدل علی حریة إرادة الانسان فی اختیار سبیله، إذ لو كان الانسان مجبراً فی أعماله لما كان ثمّة معنی فی الامر والنهی. ب- جمیع الآیات التی تذم المسیئین وتمدح الصالحین تدلّ علی حریة الارادة، وإلّا فلامعنی فی الذّم والمدح إذا كان الانسان مجبراً. ج- جمیع الآیات التی تتحدث عن الحساب یوم القیامة ومحاكمة الناس فی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۳ تلك المحكمة، ثم الحكم بالعقاب أوبالثواب، أی النار والجنّة، هی دلیل علی حریة الانسان فی مایعمل، لأنّه بالفرض والاجبار لایكون هناك معنی للمحاسبة والمحاكمة ویكون إنزال العقاب بالمسیئین ظلماً محضاً. د- جمیع الآیات التی تدور حول: ی كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِینَةٌی. «۱» و یوَكُلُّ امْرِیٍ بِما كَسَبَ رَهِینٌی. «۲» تدلّ دلالة واضحة علی حریة إرادة الانسان. ه- ثمّة آیات مثل: ی إنّا هَدَیْنَاهُ السَّبِیلَ إمّا شاكِراً وَإمّا كَفُوراًی. «۳» واضحة الدّلالة علی هذا الامر. إلّا أن هناك آیات فی القرآن المجید تعتبر دلیلاً علی «الأمر بین الامرین»، غیر أن بعض الجهلاء یخطئون فهمها فیرونها دلیلًا علی (الجبر). منها: ی وَمَا تَشَاءُونَ إلّاأنْ یَشَاءَ اللَّهُی. «۴» من الواضح إنَّ هذه الآیة وأمثالها لاتعنی تجرید الانسان من حریة الاختیار، بل تریدأنْ تؤكد للانسان إنه فی الوقت الذی یكون فیه تام الحریة والاختیار، لایخرج عن أمر الله، كما مرّ بنا توضیحه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۴ فكر وأجب ۱- ما معنی «التفویض»؟ وما النقیصة الكامنة فیه؟ ۲- اشرح بعبارات جلیة مبدأ «الأمر بین الأمرین» الذی تعلمناه من ائمّة أهل البیت علیهم السلام. أیّد شرحك بمثال واضح. ۳- ماذا تقول الآیات التی تتحدث عن مسألة الجبر والتفویض ۴- إذا نحن قبلنا بعقیدة الجبر، فما یكون من أمر یوم القیامة والجنّة والنّار والحساب؟ ۵- هل الآیات الكریمة أمثال: ی وماتشاءون إلّاأن یشاء اللّهی دلیل علی الجبر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۵

الدّرس ۹ الهدایة و الضلالة بید اللّه

۱- أنواع الهدایة و الضلالة

لو إلتقاك مسافر غریب بیده عنوان، و سألك أنْ تدلّه علی مكان. فإن أمامك طریقین لهدایته و إرشاده الی مایرید: الأوّل: إنْ تصحبه بنفسك حتی توصله الی مقصده، ثم تودعه وتذهب. وهذا هو الكمال فی عمل الخیر. الثانی: أنْ تشیر له بیدك الی حیث ینبغی أنْ یتوجه وتریه مختلف الدلائل والمعالم الموجودة فی طریقه الی حیث یرید. و فی كلتا الحالتین تكون أنت قد «هدیته» الی هدفه. ولكن مع اختلاف الحالتین، فالحالة الثانیة هی «إرشاده الی الطریق» و الاولی هی «إیصاله الی الهدف». والهدایة قد وردت فی القرآن الكریم

وفی أخبارنا الاسلامیة بکلا المعنیین. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۶ وأحیاناً یکون للهدایة جانبها (التّشریعی) فقط، أی إنَّها تتحقق عن طریق التّشریعات والقوانین، وقد یکون لها جانبها «التکوینی» وهو «هدایة» النطفة فی طریق الخلق باتجاه تکوین الانسان الکامل الخلقة. وقد ورد هذان المعنیان فی القرآن والاخبار أیضاً. بمعرفتنا أنواع الهدایة (وما یقابلها من الضّلال). نعود الی الموضوع: نقرأ فی کثیر من الآیات أن الهدایة والضلال من عمل اللّه. لاشک أنَّ «اراءة الطّریق» تکون من قبل اللّه عن طریق ارساله الانبیاء والرسل. وانزاله الکتب السماویة لکی یدل الانسان علی الطریق. غیر أنَّ «الایصال الی الهدف» قسراً لایأتلف ومبدأ حریة الاختیار. ولکن بما أنَّ اللّه یضع تحت تصرفنا جمیع الوسائل اللازمة للوصول الی الهدف، وأنَّه هو الذی یشملنا بالتوفیق فی سیرنا فی هذا الطریق: فإنَّ هذه الهدایة تکون أیضاً- بهذا المعنی- من قِبَل اللّه، أی عن طریق تهیئة الوسائل واعداد المقدمات ووضعها فی متناول ید الانسان.

۲- سؤال مهم

و هنا یتبادر هذا السّؤال المهم، فنحن نقرأ فی القرآن الکریم: ی فَیُضِلُّ اللَّهُ مَنْ یَشَاءُ وَیَهْدِی مَنْ یَشَاءُ وَهُوَ العَزِیْزُ الحَکِیْمُی. «۱» بعض الناس یغفلون عن معانی آیات القرآن وماجاء فی تفسیرها و علاقة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۷ بعضها ببعض، فیبادرون حالما یقرأون هذه الآیة الی الاعتراض قائلین: مادام اللّه هو الذی یهدی من یشاء ویضل من یشاء فما ذنبنا نحن؟ القضیة المهمة هی أنَّنا یجب دائماً أنَّ نأخذ بنظر الاعتبار ارتباط الآیات فیما بینها حتی نتعرف علی مفاهیمها الحقیقیة و هنا نورد لک نماذج اخری من الآیات الخاصّة بالهدایة والضلال لکی نضعها الی جانب الآیة المذکورة، ثمّ نستنتج منها النّتیجة المطلوبة: ففی الآیة ۲۷ من سورة ابراهیم نقرأ: ی وَیُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِیْنَی. وفی الآیة ۳۴ من سورة غافر نقرأ: ی کَذَلِکَ یُضِلُّ اللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌی. وفی الآیة ۶۹ من سورة العنکبوت نقرأ: ی وَالّذِیْنَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُم سُبُلَنای. وهکذا نلاحظ أنَّ (إشاءة) اللّه لیست بغیر حساب، فهو لایوفّق أحداً لهدایته، أو یسحب هدایته من أحد، بغیر حساب. فالذین یجاهدون فی سبیل اللّه، و یواجهون الصعاب، و المشاکل، و یجالدون أهوائهم النفسیة ویقفون بصلابة فی وجه اعداء الدین، هم الذین وعدهم اللّه تعالی بهدایته، وهذا هو العدل بعینه. أمّا الذین یقیمون صرح (الظلم و الجور) ویسیرون فی طریق «الاسراف والشک» و «ایجاد الریبة و التردد» فإنّ اللّه یحرمهم من التوفیق والهدایة، وتصبح قلوبهم مظلمة سوداء بسبب أعمالهم تلک، فلا ینالون مرتبة الوصول الی منزل السعادة. وهذا هومعنی إنَّ اللّه یضل من یشاء، وذلک بوضعنا امام نتائج أعمالنا دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۸ وهو العدالة بعینها أیضاً، فتأمل!

۳- العلم الازلی سبب العصیان

آخر نقطة أود بحثها فی موضوع «الجبر و التفویض» هی الذریعة التی یتذرع بها بعض الجبریین، وهی علماللّه الازلی. یقولون: هل یعلماللّه، إنَّ فلاناً یقوم فی الساعة الفلانیة بجریمة قتل، أویشرب الخمر؟ إذا قلت: لایعلم فقد أنکرت علماللّه. وإذا قلت: یعلم فلابدّ لهذا الشخص أنْ یفعل مافعل، وإلّا کان علم اللّه مغایراً للواقع. ومن أجل أنْ یتحقق علم اللّه، فإنَّ العصاة مجبرون علی ارتکاب خطایاهم، کما أنَّ الصالحین مجبرون علی القیام باعمالهم الصالحة! إنَّ الذین اتخذوا هذه الذریعة لیخفوا وراءها جرائمهم وآثامهم قد فاتتهم فی الواقع حقیقة واحدة، وهی إنَّنا نقول أنَّ اللّه عالم منذ الازل بأنَّنا سنقوم بارادتنا وبملء اختیارنا بالاعمال الصالحة أوالطالحة، أی إنَّ اختیارنا وإرادتنا معلومان عنداللّه عزّ وجلّ، وهذا یعنی أنَّ القول بالجبر یکون خلاف علم اللّه تعالی فتأمل! اسمحوا لی أنْ اوضح هذا الموضوع ببعض الاسئلة: لنفرض أنَّ معلماً یعرف أنَّ الطالب الفلانی الکسلان سوف یسقط فی آخر السنة، وأنَّه واثق من ذلک کلّ الثّقة استناداً الی مالدیه من خبرة وتجارب طویلة. فهل یحق لهذا الطالب، إذا سقط فی النهایة، أنْ یأخذ بخناق هذا المعلم بحجّة أنْ تنبؤه ومعرفته أجبرته علی السقوط؟ و لنذهب أبعد من ذلک فنفترض أنَّ هناک شخصاً معصوماً من الخطأ. وأن دروس فی

العقائد الاسلامیة، ص: ۱۱۹ هذا الشخص قد علم بأنَّ حدثاً جنائیاً سوف یقع فی الیوم الفلانی، فیری من المصلحة أنْ یتدخل فی الأمر، فهل علم هذا الشخص المعصوم یرفع المسؤولیة عن المجرم ویعتبره مجبراً علی ارتکاب الجریمة؟ و مرّة أُخری لنفرض انهم أخترعوا جهازاً یتنبأ بحدوث الحوادث قبل و قوعها بساعات. فتخبر بأنَّ فلاناً سوف یقوم بکامل اختیاره بالعمل الفلانی فی السّاعة الفلانیة. فهل هذه المعلومات تکون سبباً فی اعتبار الشخص مجبراً علی أنْ یفعل مایفعل؟ الخلاصة إنَّ علم اللّه لایجبر أحداً علی القیام بعمل أبداً. فکر وأجب ۱- ما هی أنواع الهدایة؟ إشرحها. ۲- أذکر بعض الآیات التی تنسب الهدایة والضلال الی اللّه. ۳- کیف تفسر الهدایة والضلالة الالهیتین؟ ۴- مامعنی علم اللّه الأزلی؟ ۵- هل یجردنا العلم الأزلی من حریة إرادتنا ویرفع عنّا المسؤولیة؟ إضرب لذلک مثلا. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۱

الدّرس ۱۰ العدل الالهی ومسألة الخلود

نقرأ فی القرآن الکریم الکثیر من الآیات التی تتحدث عن عقاب بعض الکفار والآثمین المتمثل ب (الخلود) فی العذاب والنار. الآیة ۶۸ من سورة التوبة تقول: ی وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِینَ وَالْمُنافِقَاتِ وَالْکُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیهَای. و فی القسم الآخر من الآیة نفسها یعد اللّه عزّوجلّ الرّجال والنّساء بالخلود فی الجنة، حیث قال: ی وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِیْنَ والْمُؤمِناتِ جِنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خَالِدِینَ فِیهای هنا یبرز أمامنا السؤال التالی: کیف یجوز أنْ یعاقب شخص ارتکب إثماً خلال عمره، الذی قد لایتجاوز ثمانین أومائة عام، فیعاقب علی ذلک بالبقاء دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۲ فی العذاب ملایین السنین، أو أکثر؟ هذا التساؤل لیس مهماً، بالطبع، بالنسبة للثواب، إذ أنَّ بحر رحمة اللّه واسع، وکلما ازداد الثواب کان ذلک أدل علی رحمته وفضله. ولکن بالنسبة للاعمال السیئة، کیف یمکن أنْ یعاقب المرء علی سیئات محدودة بعذاب خالد؟ کیف ینسجم هذا المعنی مع العدالة الإلهیة؟ ألا یجب أنْ یکون هناک نوع من التوازن بین الجریمة والعقاب؟ الجواب: للوصول الی جواب شاف ونهائی لهذا السّؤال ینبغی أنْ نلاحظ الأُمور التالیة: أ- إنَّ العقوبات یوم القیامة لاتشبه کثیراً من العقوبات فی هذه الدنیا، کأن یرتکب أحدهم فی هذه الدّنیا جریمة السّرقة مثلا فیعاقب بالسّجن مدّة معینة، بل إنَّ عقوبات یوم القیامة أکثر ما تکون بهیئة آثار أعمال الانسان وخصائصها. وبعبارة أوضح، إنَّ العذاب الذی یعانی منه المذنبون فی عالم الآخرة هو نتیجة أعمالهم التی إقترفوها. یقول القرآن فی تعبیر صریح: ی فَالیَومَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیئاً وَلا تُجْزَونَ إلّاما کُنْتُم تَعْمَلُونَی. «۱» ولنضرب مثلًا بسیطاً یجسد هذه الحقیقة: لو إعتاد شخص علی تعاطی المخدرات والمشروبات الکحولیة، و کلما دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۳ نصحوه بترک هذه المواد السامة التی تضر بمعدته وتضعف قلبه وتحطم أعصابه، لم یجدوا عنده أذنا صاغیة، بل یستمر فی الاستمتاع الموهوم بهذه المواد القاتلة حتی تظهر علیه آثار قرحة المعدة وانهیار الاعصاب وأمراض القلب. ویبقی بعد ذلک طوال عمره یعانی الآلام من تلک الامراض و یئن منها لیلًا و نهاراً. فهل یمکن أنْ نعترض هنا فنقول إنَّ هذا الشخص الذی لم یذنب سوی بضعة أسابیع أو أشهر، کیف یظل یعانی بقیة عمره ولسنوات عدیدة من تلک الآلام و یتحمل کل ذلک العذاب؟ لاشک إنَّ الجواب سیکون فوراً: تلک هی نتائج أعماله، أو حتی لو أُعطی عمر نوح أو أکثر وعاش آلاف السنین. فانک کلما رأیته یتألم من تلک الامراض قلت: هذا العذاب هو الذی أنزله بنفسه بمحض إرادته وکامل وعیه. إذن «أکثر» عقوبات یوم القیامة من هذا القبیل وعلیه فلایبقی أی مجال للاعتراض علی عدالة اللّه. ب) من الخطأ أنْ یظن بعضهم أن مدّة العقاب یجب أنْ تتناسب مع مدّة الذنب. لأنَّ العلاقة بین الذّنب وعقابة لیست علاقة زمنیة. بل تتعلق بکیفیة الذنب ونتائجه. فقد یقتل شخص رجلًا بریئاً فی لحظة واحدة، فیحکم علیه بالسجن المؤبد حسب قوانین بعض البلدان. فهنا نلاحظ أنَّ زمن الذنب لم یتجاوز بضع لحظات، بینما العقاب یمتد عشرات السنین، ومع ذلک لایعترض أحد علی ذلک بأنَّه ظلم، وذلک لأنَّ القضیة هنا لیست قضیه دقائق وساعات وأشهر و سنوات، بل هی قضیة کیفیة الجرم ونتائجه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۴ ج) «الخلود» فی النار و العقاب الأبدی إنَّما یحیق بالذین یغلقون أمام أنفسهم جمیع منافذ النجاة، ویغرقون عن عمد ووعی فی الفساد والکفر والنفاق، بحیث أنَّ ظلام

الإثم یغطی جمیع أرجاء وجودهم حتی یصبحوا کتلة من الکفر والعصیان. وفی هذا یقول القرآن فی تعبیر رائع: ی بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولئِکَ أَصْحَابُ النّارِ هُم فِیها خالِدُونَی. «۱» وهؤلاء هم الذین قطعوا کل صلة لهم باللّه، واغلقوا فی وجوههم جمیع نوافذ النجاة والسعادة. إنَّهم أشبه بالطّائر الذی یقوم عمداً بکسر أجنحته واحراقها، فیمسی مجبراً علی المکوث علی الارض دائماً، محروماً من التحلیق فی أجواء السماء العالیة. أذا أخذنا النقاط الثلاث المذکورة بنظر الاعتبار إتضح لنا أنَّ قضیة الخلود فی العذاب الإبدی لبعض المنافقین والکفار لاتتناقض ومبدأ العدالة، لأن الخلود فی العذاب جاء نتیجة لأعمالهم، علی الرّغم من أن الانبیاء والرسل قد أبلغوهم أن لتلک الاعمال نتائج مرّة ومشؤومة. و لاریب فی أنَّ الذین لم تصلهم دعوة الانبیاء فارتکبوا ما ارتکبوا من باب الجهل، فان عقابهم لایکون بتلک الشدّة. ولابدّ من القول بأنَّه یستفاد من الآیات والاخبار الاسلامیة أنَّ بحر رحمة اللّه من السّعة والانفتاح بحیث بحیث أنه یغسل بامواجه ذنوب الکثیر من الآثمین: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۵ فبعض بالشفاعة ... وبعض بالعفو والغفران، وبعض لما قاموابه من أعمال صالحة صغیرة، ولکن اللّه بعظمته یثیبهم علیها ثواباً عظیماً، وبعض آخر یقضون فترة العقاب لیتطهروا فی بوتقة التصفیة الالهیة، ثم یعودون الی کنف الرحمة الالهیة. ولایبقی إلّاأولئک المعاندون، أعداء اللّه، الذین أصروا علی الظلم والفساد والنفاق حتی غرقوا فی ظلمات کفرهم وظلالهم. فکر وأجب ۱- کیف یظن بعضهم، أنَّ الخلود فی النّار یتعارض مع العدل الالهی؟ ۲- هل تشبه عقوبات العالم الآخر العقوبات فی هذه الدنیا؟ فإنْ لم تکن، فکیف هی؟ ۳- هل تقتضی العدالة أنْ یکون هناک تناسب بین فترة الإثم وفترة العقاب؟ ۴- من هم الذین یکون عقابهم الخلود فی النار؟ ۵- من هم الذین یشملهم العفو الالهی؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۲۷

الفصل الثّالث معرفة النّبوّة

الدّرس ۱ الحاجة الانبیاء کقادة ربانیین

قصور علمنا

اشارة

قد یتساءل البعض: هل من الضروری أنَّ یبعث اللّه الانبیاء لهدایة الانسان؟ ألا یکفی عقلنا وحکمتنا لادراک الحقائق؟ ألا یساهم تقدم العلوم عند البشر فی کشف الاسرار الغامضة وتوضیح الحقائق جمیعها؟ ثمّ أنَّ ما یأتی به الانبیاء لایخرج عن حالتین اثنتین: فإمّا أنْ یدرکه عقلنا، أو لا یدرکه. ففی الحالة الاولی، لاحاجة لتجشم الانبیاء هذا العناء، وفی الحالة الثانیة، لایمکننا أنْ نتقبل اموراً هی خلاف ما یراه عقلنا. ومن جهة اخری هل یصح أنْ یضع الانسان نفسه تحت تصرف شخص آخر کلیاً ویطیع أوامره دون أی اعتراض؟ أو لیس الانبیاء بشراً مثلنا؟ فکیف نضع انفسنا تحت تصرف انسان لایختلف عنّا بشی؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۰ للاجابة عن هذه الاسئلة لابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار النّقاط التّالیة التی سوف تبیّن أهمیة وجود الانبیاء لبنی البشر: ۱- علینا أنْ ندرک أنَّ علمنا قاصر ومحدود، فعلی الرّغم من کل هذا التقدم العلمی الذی حققه الانسان فی مختلف میادین العلم و المعرفة، فإنَّ ما نعلمه بالنسبة لما جهله لایکاد یبلغ مقدار قطرة الماء بازاء البحر، أو بازاء الجبال، أو کما قال أحد کبار العلماء: إنَّ کل ما نعلمه الیوم لا یزید علی الالف باء فی کتاب عالم الوجود العظیم. وبعبارة اخری إنَّ المساحة التی یحکمها عقلنا وادراکنا مساحة صغیرة تنیرها أشعة العلم، أمّا ماهو الواقع وراء ذلک فلا علم لنا به إطلاقاً. فیأتی الانبیاء لیلقوا لنا الضوء علی مناطق أوسع بالقدر الذی نحتاجه. صحیح أنَّ عقلنا أشبه بکاشف قوی النور، ولکن الانبیاء بما یأتون به من الوحی الالهی یکونون أشبه بالشّمس التی تطلع علی الکائنات. أفهناک من یقول: مادمنا نملک هذا الکاشف القوی، فما حاجتنا بالشمس؟ وبتعبیر أوضح نقول: إنَّ امور الحیاة یمکن تقسیمها الی ثلاثة أقسام:

«المعقول» و «غیرالمعقول» و «المجهول». والانبیاء لایمکن انْ یقولوا شیئاً «غیر معقول» وخلافاً لما یقول به العقل وتحکم به الحکمة، فاذا قالوا فهم لیسوا أنبیاء. إنَّما الانبیاء یعینوننا علی إدراک المجهولات، وهو أمر مهم لنا. وعلیه، فمن یقول: إنَّنا بوجود العقل والحکمة لانحتاج الی الانبیاء (مثل الطائفة البرهمیة فی الهند وفی أماکن اخری ، أو من یقول: مع العلم وانجازاته دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۱ وانتصاراته العلمیة، لم تعد حاجة الی الانبیاء وتعلیماتهم. کلاهما لم یعرفا حدود العلم عند البشر، ولارسالة الانبیاء الإلهیة فهم أشبه بالصّبی الذی درس الحروف الهجائیة فی المدرسة ثم قال إنَّه أصبح عالماً بکل شیء ولم یعد بحاجة الی المعلم والاستاذ. ثم إنَّ الانبیاء لیسوا مجرد معلمین، فإنَّ مرکزهم کقادة له حساب خاص سوف نتناوله بالشرح إنْ شاء اللَّه. ۲- لم یقل أحد إنَّ علی المرء أنْ یضع نفسه بشکل تام تحت تصرف شخص آخر مثله، أمّا الانبیاء الذین ینطقون عن الوحی الالهی، فعلینا أنْ نتأکد من ارتباطهم بعلماللَّه اللامتناهی عن طریق الادلة الدامغة. ففی هذه الحالة وحدها یمکن أنْ نتقبل أقوال هؤلاء القادة الرّبانیین بمجامع قلوبنا. فلو أنَّ أحداً عمل وفقاً لارشاد طبیب ماهر، فهل یکون عمله هذا مرفوضاً؟ إنَّ الانبیاء علیهم السلام أطباء روحانیون عظام! فاذا استوعبت درس معلم ینسجم مع عقلی وفکری، فهل أکون قد أخطأت؟ إنَّ الانبیاء علیهم السلام معلمون کبار! ویحسن بنا أنْ نبحث أدلة ضرورة إرسال الأنبیاء من قبل اللَّه عزّوجلّ. إنَّ هناک ثلاثة أدلة حیّة تؤکد حاجتنا الی هدایة الانبیاء:

۱- الحاجة الی التعلم

لو إنَّنا رکبنا سفینة وهمیّة مصنوعة من أمواج النور، تنطلق بسرعة ثلاثمائة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۲ الف کیلومتر فی الثّانیة فی هذا الفضاء اللامتناهی، فإنَّنا سوف نحتاج الی الآلاف من مثل عمر نوح حتی نستطیع أنْ نکتشف زاویة من هذا الکون الواسع المترامی الاطراف. إنَّ هذا الکون باتساعه المخوف لم یخلق عبثاً حتماً. لقد علمنا من دروس «معرفة اللَّه» أنَّ خلق هذا العالم لا ینفع اللَّه بشیء، لانَّه کامل، وغیر محتاج، ولانهایة له، فلیس به نقص لکی یسعی لسدّه عن طریق خلق العالم والبشر. و نستنتج من هذا أنَّ هدفه هو أن یفیض علی البشر من جوده ورحمته، لیوصل الکائنات الاخری الی التکامل، کالشمس التی تشرق بنورها علی أهل الارض بغیر أنْ تکون محتاجة الیهم، بل نحن الذین نحتاج الی ضوئها، وإلّا فما ذا نستطیع أن نفعل کی تستفید منه الشمس؟ و من جهة اخری هل تکفی معلوماتنا وحدها للسیر بنا فی طریق التکامل وایصالنا الی مرحلة الانسان الکامل من جمیع الوجوه؟ تُری کم نعرف من أسرار العالم؟ ماهی حقیقة الحیاة؟ متی وجد هذا العالم؟ إنَّ أحداً لایعرف الجواب القاطع عن هذه الاسئلة. حتی متی سنبقی؟ لا أحد یعرف الجواب کذلک. و من حیث الحیاة الاجتماعیة والاقتصادیة کل عالم من علماء البشر له رأی أو نظریة. فبعض یوصون بالرأسمالیة، وفریق آخر یرون الاشتراکیة والشیوعیة، وآخرون یرفضون هذا وذلک. وفی مسائل الحیاة الاخری تجد مثل هذا الاختلاف قائماً وبکثرة، ویصاب دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۳ الانسان بالحیرة، الی أیهما نرکن و ایهما نختار؟ هنا لابدّ لنا من الاعتراف بأنَّنا- ولکی نصل الی هدف الخلق الأصیل و هو «نمو الانسان وتکامله وتربیته علی جمیع المستویات»- نحتاج الی مجموعة من التّعلیمات الصّحیحة والسّلیمة والخالیة من کل خطأ، والمستندة الی حقائق الحیاة الواقعیة، تمکّن الانسان من السیر فی الطریق الطویل الموصل الی هدف الخلق الاصیل. وهذا لایکون إلّاعن طریق العلم الإلهی، أی الوحی السماوی الذی ینزل علی الانبیاء. ولهذا فإنَّ اللَّه الذی خلقنا لکی نسیر فی هذا الطریق لابدّ له أنْ یتیح لنا مثل هذا العلم وهذه المعرفة.

۲- الحاجة الی القائد اجتماعیاً واخلاقیا

إنَّ فینا- کما نعلم- إضافة الی العقل، غرائز ومیولًا قویة، مثل غرائز حبّ الذّات، والغضب، والجنس، وغرائز اخری کثیرة. إنَّنا إذا لم نکبح جماح غرائزنا وترکناها تسیطر علینا، فإنَّ عقلنا سیکون مقیداً محجوراً علیه ویکون الانسان کجبابرة التّاریخ وطغاته وأشد خطراً

من ذئاب الصحاری المفترسة. لذا فنحن بحاجة الی التربیة الاخلاقیة علی ید مرّب، والی «الأسوة» الذی نحاکیه فی الاقوال والافعال ونحذو حذوه. إنَّ أسوة کهذا یجب أن یکون ذا تربیة کاملة من جمیع الجهات بحیث یستطیع أنْ یأخذ بیدنا فی هذا الطریق الکثیر المنعطفات وینقذنا من طغیان دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۴ غرائزنا، ویزرع فی نفوسنا اصول الفضائل والاخلاق بأعماله وأقواله، ویربّینا علی الشجاعة وحبّ البشر، والمروءة، والتضیحة، والوفاء، والصدق، والامانة، وطهارة الرّوح. فمن هو الحقیق بأنْ یکون قدوة واسوة غیر نبیمعصوم؟ ولهذا فإنَّ اللّه القادر الرحیم لایمکن أنْ یحرمنا من أمثال هؤلاء الانبیاء المربین الهداة. (ستأتی بقیة هذا البحث فی الدرس القادم) فکر وأجب ۱- إذا ازددنا علماً ومعرفة فهل تظن أنَّ معلوماتنا تفوق مجهولاتنا؟ مثّل لذلک. ۲- هل تستطیع أنْ تبین الفرق بین التقلید الأعمی واتّباع الانبیاء؟ ۳- إذا سرنا علی طریق مجهول بدون هاد یهدینا، فما الاخطار التی قد تهددنا؟ ۴- بیّن أبعاد حاجتنا الی قیادة الانبیاء؟ ۵- ما هو الموضوع الذی تظن أنَّه بقی الی الدرس القادم فی هذا البحث؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۵

الدّرس ۲ الحاجة الی الانبیاء کمشرعین

اشارة

فی الدّرس السّابق أدرکنا الحاجة الی الانبیاء فی مجالی «التربیة» و «التعلیم». والآن لنری ما هو الدّور المهم الذی یضطلع به الانبیاء فی القوانین الاجتماعیة. فکلنا نعلم أنَّ أهم سمة تتسم بها حیاة الانسان، والتی تعدّ أهم عامل فی تقدمه و انجازاته فی مختلف أدوار حیاته، هی الحیاة الاجتماعیة. و لو أنَّ الانسان بقی یعیش منفصلًا عن إخوته لکان الآن باقیا علی مستواه الفکری والحضاری المنحط الذی کان علیه انسان العصر الحجری. نعم، إنَّ المحاولات والمساعی الجماعیة هی التی أوقدت مشعل الثقافة والحضارة، وهی التی کانت الدّافع الی بلوغ کل هذه الاکتشافات والاختراعات العلمیة. خُذ مثلًا الوصول الی القمر، تجد أنَّ هذا الانجاز کان حصیلة عمل عدد من دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۶ العلماء، بل الآلاف منهم حیث تضافرت جهودهم علی مدی مئات السنین فی البحث والتجربة. وما کان هذا لیتم لولا الحیاة الاجتماعیة التی تظافرت فیها الخبرات والمعارف حتی حققت هذا الانجاز العظیم. إذا نجح طبیب حاذق فی عصرنا فی زرع قلب انسان میت فی صدر انسان حی ذی قلب مریض، فانقذه من موت محقق، فإنّه یکون مدینا بنجاحه هذا الی آلاف التجارب السابقة التی أجراها آلاف الاطباء والجراحین و التی انتقلت علی امتداد التاریخ من طبیب الی طبیب حتی وصلت الیه. غیر أنَّ للحیاة الاجتماعیة مساوىء الی جانب محاسنها الکثیرة، کتضارب المصالح والرّغبات والحقوق، ممّا یؤدی أحیاناً الی إندلاع نیران النزاعات الدمویة والحروب الطاحنة. و هنا تظهر حاجتنا الی القوانین والتعلیمات الواضحة التی تحل لنا ثلاث مشکلات کبیرة: ۱- القانون یحدد واجبات کل فرد تجاه و المجتمع، وواجبات المجتمع تجاه نحو الافراد، بحیث تنفتح المواهب ضمن مساع متعاونة. ۲- القانون یمهد طریق الإشراف علی حسن اداء الافراد لواجباتهم. ۳- القانون یحول دون قیام الافراد بالاعتداء علی حقوق الآخرین، ویمنع انتشار الفوضی و الخلافات بین الافراد والجماعات، ویقرر العقوبات المناسبة علی المعتدین.

من هو خیر المشّرعین؟

فی هذه الحالة یتعین علینا أنَّ نعرف من هی الجهة الافضل التی تستطیع أن دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۷ تسن القوانین التی تحتاجها حیاة البشر الاجتماعیة، بحیث تتحقق فیها المبادی الثلاثة المذکورة: بیان الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع والاشراف السلیم علی تنفیذ القوانین، ووقف عدوان المعتدین. ولنضرب هنا مثلًا بسیطاً: یمکن أنْ نشبه المجتمع البشری بقطار کبیر، والهیئة الحاکمة بماکنة القطار التی تقود القطار فی مسیره، والقانون بمثابة السکة الحدیدیة التی تعین الخط الذی یجب أن یسیر علیه القطار

کی یصل الی غایته، ماراً بالمنعطفات والمرتفعات والمنخفضات والجبال والودیان. لاشک أنَّ السّکة الحدیدیة الجیدة یجب أنْ تتوفر فیها الامور التّالیة: الارض التی تمتد علیها السّکة یجب أنْ تکون صلبة تتحمل أقصی ضغط یمکن أنْ یسلط علیها. الفاصلة بین الخطین یجب أنْ تکون متساویة علی امتدادهما بدقّة متناهیة بحیث تساوی الفاصلة بین عجلات القطار. کما أنَّ جدران الانفاق وارتفاعاتها یجب أن تناسب القطار الذی یمرّ بها. الارتفاعات والانحدارات یجب أن لاتکون حادة الی درجة لاتستطیع معها الماکنة من سحب القطار، أو ایقافه عند اللزوم. ثمّ أن هناک إحتمالات حدوث انهیارات جبلیة و تهاوی حافّات الودیان التی یمرّ بها القطار، وکذلک السیول والثلوج الساقطة، یجب أنْ تؤخذ کلّها بالحسبان الدقیق لکی یستطیع القطار أن یواصل مسیرته فی مختلف الظروف والحالات، و أن یصل الی هدفه بسلام. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۸ نعود الی «المجتمع الانسانی» لتطبیق هذا المثال علیه: إنَّ المشرّع الذی یرید أن یضع خیر القوانین للبشر یجب أنْ تتوفر فیه الشروط التالیة: ۱- أنْ یکون عارفاً معرفة تامّة بالبشر، بغرائزهم، وعواطفهم، وحاجاتهم، ومشکلاتهم وکل مایتعلق بهم. ۲- أنْ یأخذ بنظر الاعتبار جمیع مؤهلات الناس واستعداداتهم ومواهبهم لکی یستخدم القوانین فی سبیل تفتحها وازدهارها. ۳- أنْ یکون قادراً علی التنبؤ بما یمکن أنْ یقع فی المجتمع من حوادث و طرق و مواجهتها علی أفضل وجه. ۴- أنْ لاتکون له أیة مصالح شخصیة ولا لأیّ من أقربائه والمختصین به. ۵- أنْ یکون عارفاً بکلّ ما حققه الانسان فی تقدمه، و ما لحق به من احباط و اخفاق. ۶- أنْ یکون فی أقصی درجة من العصمة ضد الخطأ والنسیان. ۷- وأخیراً، علی هذا المُشرِّع أن یکون شجاعاً وجریئاً، فلا ترهبه أیة قوّة ولا شخصیة فی المجتمع، ولایخشی أحداً أبداً، و یجب أنْ یکون- فی الوقت نفسه- علی قدر کبیر من المحبّة والعطف.

من الذی تتوفر فیه هذه الشّروط؟

هل یکون الانسان أفضل مشرّع؟ هل هناک من عرف الانسان حتی الآن معرفة تامَّة؟ کتب أحد کبار العلماء دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۳۹ المعاصرین مؤخراً کتاباً عنوانه «الانسان، هذا الکائن المجهول»، جاء فیه: هل عرفت نفسیة الانسان وغرائزه ومیوله و عواطفه معرفة تامَّة حتی الآن؟ هل یمکن العثور بین الناس علی شخص لاتکون له مصالح خاصّة فی المجتمع؟ هل هناک بین الناس العادیین انسان یکون مصوناً من کل خطأ ونسیان، وله معرفة تامّة بجمیع مشاکل المجتمع البشری وأفرادة؟ إذن، لن تجد بین الناس العادیین من تتوفر فیه الشروط المطلوبة، و لاتتوفر هذه الشروط الا فی اللّه سبحانه و تعالی، و من اختاره لتلقّی وحیه، یمکنه أنْ یکون أفضل مشرّع للبشریة. و هکذا نصل الی هذه النّتیجة: إنَّ اللّه الذی خلق البشر لیسیروا فی طریق التکامل، لابدّ و أنْ یبعث الیهم اناساً یأمرهم بهدایة البشر نحو اللّه و یبینون لهم شریعة السّماء الالهیة الجامعة والشاملة. ولاریب أنَّ الناس إذا علموا أنَّ الشریعة التی بین أیدیهم نازلة من اللّه، فانهم یطبقونها بکل ثقة واطمئنان، أی أنَّ علمهم بذلک یضمن تطبیق القوانین بصورة جیدة.

العلاقة بین التّوحید والنّبوّة

هنا ینبغی أنْ نلتفت الی هذه النقطة، وهی أنَّ نظام الخلق نفسه خیر شاهد حی علی ضرورة وجود الانبیاء ورسالاتهم الالهیة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۰ وذلک لان نظرة واحدة الی نظام الخلیقة العجیب تدلّنا علی أنَّ اللّه تعالی لم یغفل بلطفه عن تأمین أی حاجة من حاجات الانسان، فهو عندما خلق العین لکی ننظر بها، خلق معها الاجفان والأهداب للحفاظ علیها ولتنظیم سقوط الضوء علیها. وخلق فی زوایا العین غُدداً تفرز الدّموع لکی یبقی سطحها رطباً دائماً، إذ أنَّ جفافها یذهب بها. وفضلًا عن ذلک خلق فی العین نافذة صغیرة تسیل خلالها الدّموع الزائدة الی الانف، ولولا هذه النافذة، الصغیرة لاستمرت الدّموع تسیل علی وجوهنا. و یتمتع بؤبؤ العین بحساسیة شدیدة بحیث أنَّه یتأثر بشدّة الضوء وضعفه فیضیق ویتسع تبعاًلذلک بصورة لا إرادیة لکیلا یصیب العین ضرر من جراء شدة الضوء. وفی اطراف کرة العین عضلات مختلفة تسهل علیها الدوران الی الجهات المختلفة بغیر حاجة الی إدارة الرأس والجسم.

فهل اللّه الذی لایغفل عن حاجات الانسان الدّقیقة هذه یمکن أنْ یحرم الانسان من هاد وقائد موثوق به ومعصوم من الخطأ ویأتمر بأوامره و وحیه؟ یقول الفیلسوف المعروف ابن سینا فی کتابه «الشّفاء» المشهور: «لاشک أنَّ حاجة الانسان الی ارسال الانبیاء الیهم لبقاء النوع ولبلوغ الکمالات أشدُّ ضرورة من نمو الأهداب والحواجب وتقعر باطن القدم وامثالها، وذلک لأنَّه لیس من الممکن أن یوجب اللّه سبحانه وتعالی تلک الامور ولایوجب هذا الامر». دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۱ فکر وأجب ۱- ما هی اعظم مزایات حیاة البشر؟ ۲- لماذا لایمکن للانسان أنْ یعیش بغیر قانون؟ ۳- هات مثالًا حیاً لتوضیح دور القانون فی حیاة البشر؟ ۴- ما الصفات التی یجب انْ یتحلی بها أحسن مشرع؟ ۵- لماذا یجب أنْ یکون الانبیاء من بنی البشر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۳

الدّرس ۳ لماذا الانبیاء علیهم السلام معصومون؟

الحصانة من الإثم والخطأ

لابدّ لکلّ نبیّ أنْ یکون موضع ثقة عموم الناس قبل کل شیء بحیث لایجدون فی کلامه أی احتمال للکذب والخطأ والتناقض. لأن مرکزه سوف یتزلزل فی غیر هذه الحالة. إذا لم یکن الانبیاء معصومین فإنَّ المخالفین سوف یحتجون لعدم ایمانهم بامکانیة خطأ الانبیاء، کما أنَّ الباحثین عن الحقیقة سوف یتزعزع إیمانهم بصحّة محتوی دعوتهم، فیرفض الطرفان رسالاتهم، أو علی الأقل، سوف لایکون تقبلهم لها مصحوباً بحرارة الثقة والایمان. هذا الدلیل- الذی یسمی «دلیل الاعتماد»- یعتبر من أهم أدلة عصمة الانبیاء. وبتعبیر آخر: کیف یمکن أنْ یأمر اللّه الناس أنْ یطیعوا شخصاً غیر ملتزم دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۴ ومعرض للخطأ و ارتکاب المعاصی؟ لانهم إنْ أطاعوه فقد إتبعوا الخطأ والأثم، وان لم یطیعوه فقد نسفوا مقامه کقائد، خاصة و أن مرکز قیادة الانبیاء یختلف تماماً عن القیادات الاخری لأنَّ الناس یستقون منهم جمیع عقائدهم وبرامج سلوکهم. ولهذا نجد کبار المفسرین عندما یصلون الی هذه الآیة: ی اطِیْعُوا اللَّهَ وَاطِیْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الأمْرِ مِنْکُمی. «۱» یقولون أنَّ الامر بالاطاعة المطلقة دلیل علی أنَّ النّبی معصوم واولی الامر معصومون أیضاً. وأولوا الامر هم الائمّة المعصومون علیهم السلام مثل عصمة رسول اللّه صلی الله علیه و آله، وإلّا لما أمر اللّه باطاعتهم طاعة مطلقة أبداً. الطریق الآخر لاثبات معصومیة الانبیاء من کل إثم هو أنَّ «عوامل إرتکاب الاثم فی نفوس الانبیاء معدومة ولا أثر لها». فاذا ما راجعنا أنفسنا نجد أنَّنا نکاد نکون معصومین من ارتکاب بعض الاعمال السیئة أو القبیحة، لاحظ المثال التالی: هل تستطیع انْ تعثر علی انسان عاقل یفکر فی أکل جمرة، أو شیئاً من القاذورات. هل هناک انسان عاقل یخرج عاریاً فی الطرقات یسیر و الناس ینظرون الیه؟ طبعاً لا، واذا صدر هذا عن شخص لقلنا فوراً أنه خارج عن حالته دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۵ الطبیعیة وأنَّه مصاب ببعض الامراض النفسیة، وإلّا فانَّ من المستحیل أنْ یقدم انسان مالک لقواه العقلیة الکاملة علی ذلک. عندما نحلل أمثال هذه الاعمال نلاحظ أنَّ قبح هذه الاعمال علی درجة من الوضوح فی أذهاننا بحیث لایوجد عاقل یقوم بارتکابها. و هنا نستطیع بجملة مختصرة أنْ نجسد هذه الحقیقة، فنقول: إنَّ کل عاقل سلیم «مصون» من ارتکاب بعض الاعمال القبیحة. و بعبارة اخری أنَّه «معصوم» منها. ثم نخطو خطوة اخری فنقول: هناک أشخاص معصومون من إرتکاب بعض الاعمال غیر اللائقة التی لایجد الناس العادیون حرجاً فی ارتکابها. فمثلًا، الطبیب العارف بأنواع المیکروبات لایمکن أنْ یشرب من الماء الملوث الناتج عن غسل ملابس المرضی المصابین بمختلف الامراض الفتاکة، فی الوقت الذی لایجد شخص جاهل امّی مانعاً من شربه. وبتحلیل بسیط نستنتج أنَّه کلما کان وعی المرء بالنسبة لموضوع ما أعمق، کانت «عصمته» ازاء ما ینافی ذلک أکبر. والآن، بالاستمرار فی هذه المعادلة، نقول: إذا کان «ایمان» شخص و «وعیه» وثقته باللّه و بقضائه العادل من العمق بحیث أنَّه یکاد یراها متجسدة أمام عینیه و شاخصة امامه، فانَّه یکون دون ریب مصوناً من ارتکاب أی ذنب، ویری الاعمال القبیحة کما یری العاقل الخروج الی الشارع عاریاً قبیحاً. إنَّ المال الحرام فی

نظر هـذا الشـخص أشـبه بـالجمر الملتهب فكمـا إنّنـا لانضـعه فی فمنـا، فهو كـذلك لاـيضع المـال الحرام فی فمه. دروس فی العقـائد الاسـلامیة، ص: ۱۴۶ و نسـتنتج من كـل هـذا الكلاـم أنَّ الانبیـاء علیهم السـلام- بمـا وهبهم اللَّه من علم ووعی وایمـان خارق للعادة- یستطیعون أنْ یخمدوا صوت كل دافع للعصیان بحیث أنَّ أقوی المغریات لارتكاب الآثام لاتسطیع أنْ تغلب عقولهم وتضعف ایمانهم. وهذا هو معنی قولنا أنَّ الانبیاء علیهم السلام معصومون من كل إثم.

العصمة مدعاة للفخر

بعض الذین لایدركون جیداً معنی العصـمة وعواملها یعترضون قائلین: إذا كان اللَّه هو الذی یحول بین الشخص وارتكاب الاثم ویزیل من كیـانه عوامـل ارتكاب الـذنوب، فلایكون هـذا مـدعاة لفخر هـذا الشـخص، إذ أنَّ عصـمته من الاثم إجباریـة، والفضـیلة الاجباریة لاتكون مفخرة لاحـد. إنَّ جواب هـذا الاعتراض قد جاء فی البحوث التی مرَّ ذكرها، إنَّ عصـمة الانبیاء من الاثم لیست اجباریة مطلقاً، بـل هی ولیـدة ایمـان الانبیـاء القوی الكامـل وعلمهم الـذی لایـدانیه علم، وهـذا مـدعاة لاعظم الفخر! فاذا قام الطّبیب بوقایـة نفسه من الامراض الساریـة، فهل یـدل هـذا علی أنه مجبر علی ذلك؟ وإذا قام شـخص بتطبیق مقررات الصـحة بدقـة تامـة، أفلا یـدعو هذا الی اعتزازه وفخره؟ وإذا تجنب حقوقی إرتكـاب جریمـة مـا لكونه یعرف العقوبـات القاسـیة التی تحكم بهـا المحاكم، فهل یفقـد بـذلك فضـله؟ وبناء علی ذلك، فإنَّ معصومیة الانبیاء اختیاریة، وهی مفخرة عظیمة من مفاخرهم. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۷ فكر وأجب ۱- ماهی تفرعات العصمة؟ ۲- ماذا كان سـیحدث لو لم یكن الانبیاء علیهم السلام معصومین؟ ۳- ماحقیقة مقام العصمة؟ ۴- هل تسـتطیع أن تأتی بامثلة، غیر التی وردت فی الدّرس تشیر الی أن الناس- كلّهم أو بعضهم- یتصفون بالعصمة من ارتكابها؟ ۵- هل عصمة الانبیاء اختیاریة أم إجباریة؟ ما الدلیل علی ذلك؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۴۹

الدّرس ۴ أفضل الطّرق لمعرفة النّبی

اشارة

لاشـك أنَّ تصـدیق إدعـاءات كـل مـدع یعتبر خلاـف العقل والمنطق. إنَّ مـدعی النّبوة وحمل رسالـة اللَّه قـد یكون صادقاً، إلّاأنَّ من المحتمل أنْ یقوم أحـد الانتهازیین من أهل الغش بادعاء النّبوة، لـذلك كان لابـدّ من وجود معیار دقیق نزن به دعوات الانبیاء وصـحة إرسالهم من قبل اللَّه. هناك طرق عدیـدة للوصول الی هـذه الغایة، أهمها: ۱- دراسـة محتوی رسالـة النّبی و دعوتة، و جمع القرائن و الدّلائل علی صـحتها. ۲- معجزاته الخارقـة للعادة. ولنبـدأ أوّلًا بالكلام علی الاعجاز فتقول: ثمّة أشـخاص یسـتغربون عند سـماع كلمة «معجزة» ویعتبرونها مرادفة للخرافات والاساطیر. ولكننا إذا أمعنا النظر فی معنی المعجزة العملی لوجدنا أنَّ هذه التصورات خطأ محض. دروس فی العقائـد الاسـلامیة، ص: ۱۵۰ فلاـ تعـد المعجزة عملاـ مسـتحیلًا، ولا معلولًا دون علّـة، بل المعجزة بتفسیر بسـیط، هی عمل خارق‌للعـادة و هـو فـوق قـدرات الاـفراد العـادیین، ولاـتتحقق إلّـا بالاسـتناد الی قوة فوق الطبیعـة. وبنـاء علی ذلـك لاـتكون المعجزة إلّابشروط: ۱- إنَّهـا عمل ممكن ومقبول عقلًا. ۲- الناس العادیون، وحتی النوابغ منهم، لیس بمقـدورهم أنْ یقوموا بمعجزة باسـتخدام القدرات البشـریة. ۳- لابـدّ أنْ یكـون صـاحب المعجزة واثقـاً مـن نفسه بحیث أنَّه یتحـدی النـاس و یـدعوهم للاتیـان بمثلهـا. ۴- أنْ لایستطیع أی شخص الإتیان بمثل تلك المعجزة، أی أنْ یعجز الآخرون عن القیام بمثلها، كما یفهم من معنی الكلمة. ۵- المعجزة لابدّ أنْ تأتی ممن یدعی النّبوة والامامة (ولذلك فإنَّ الاعمال الخارقة للعادة التی یأتی بها غیر الانبیاء والائمة تدعی كرامات، لامعجزات).

بعض الأمثلة الواضحة

نعلم جميعاً أنَّ من معجزات النّبی عیسی علیه السلام احیاء الموتی وابراء المرضی المأیوس منهم. هل هناک دلیل علمی و عقلی یثبت أنَّ الانسان الذی تتوقف أجهزة جسمه عن العمل والحرکة لایمکن أنْ یعود الی الحیاة مرّة اخری هل هناک دلیل علمی و عقلی علی أنَّ مرض السرطان الذی عجزنا عن دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۱ شفائه لیس له فی الحقیقة أی علاج؟ صحیح أنَّ الانسان بما یملکه فی الوقت الحاضر من قوی وبما هو فیه من ظروف غیرقادر علی احیاء الموتی ولا ابراء بعض الامراض. حتی وإنْ تضافرت جهود جمیع أطباء العالم واستعانوا بما لدیهم من خبرات وتجارب. إلّا أن هذا لایمنع من أنْ یقول انسان یملک قوة إلهیة خارقة للعادة واطلاعاً وعلماً یستقیان من بحر علم اللَّه اللامتناهی، باحیاء میت، أو بابراء مریض، باشارة من یده. العلم یقول: لا أدری. أنا عاجز. ولکنه لن یقول أنَّ ذلک مستحیل. مثال آخر: إنَّ الوصول الی القمر بدون سفینة فضائیة غیر ممکن لأی انسان. ولکن ما الذی یحول دون أنْ تکون هناک قوّة أکبر ممّا عندنا من قوّة، ومرکبة أکثر تقدماً ممّا لدی البشر، توضع تحت تصرف شخص بحیث یتاح له أنْ یصل الی القمر أو الی الکرات الاخری بغیر سفینة فضائیة والمرکبة القمریة. فاذا استطاع أحد أنْ یقوم حقّاً بمثل هذه الامور الخارقة للعادة، وادعی النّبوة وتحدی الناس الی انْ یفعلوا مثله، فعجز الجمیع عن ذلک، عندئذ نؤمن بأنَّه مرسل من قبل اللَّه، إذ لایمکن أنْ یضع اللَّه کل هذه القدرة فی ید انسان کذّاب یدعو الناس الی الضلال، فتأمل!

لا ینبغی الخلط بین المعجزة و الخرافة

کان «الافراط» و «التفریط» دائماً منشأ الفساد والضیاع و تشویه وجه الحقیقة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۲ وهذا یصدق علی المعجزة أیضاً. ففی الوقت الذی نجد فیه بعضاً من «دعاة الفکر» ینکرون صراحة أو تلمیحاً أنواع المعجزات، نجد بعضاً آخر یصنعون من کل شیء معجزة، فیبحثون عن الاخبار الضعیفة والقصص الخرافیة التی صاغتها أیدی الاعداء ویعرضونها زاعمین أنَّها معجزات، فیخلطون ملامح معجزات الانبیاء العلمیة والحقیقیة بالخرافات والاوهام المزیفة التی لا أساس لها من الواقع. فما لم تتخلص المعجزات الحقیقیة من أمثال هذه الاساطیر، فإنَّ ملامحها الأصیلة لن تظهر للعیان. لهذا ما فتیء علماؤنا العظام یؤکدون علی أن تبقی الاحادیث الاسلامیة التی تدور حول المعجزات بعیدة عن امثال تلک الحکایات المزیفة المدسوسة. وبناء علی ذلک وضعوا الکتب فی «علم الرّجال» للتعرف علی الرّواة الموثوق بهم، ولتمییز الاحادیث «الصحیحة» من «الضعیفة» ولئلا تختلط الحقائق بالاوهام. إنَّ السیاسات الاستعماریة والألحادیة نشطة الیوم لجعل الافکار الواهیة تقوم مقام العقائد الدّینیة الطّاهرة وتسعی لاظهارها بمظهر «معتقدات غیر علمیة» فعلینا أنْ نحبط مساعی الاعداء التخریبیة.

اختلاف المعجزات عن خوارق العادات الاخری

کثیراً مانسمع عن اصحاب الرّیاضیات الرّوحیة أنَّهم قاموا بأعمال خارقة للعادة، وأنَّ الذین شهدوا تلک العجائب کثیرون وهذا حقیقة لا اسطورة. هنا یتبادر الی الذّهن هذا السّؤال: ماالفرق بین أعمال هؤلاء الخارقة للعادة دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۳ ومعجزات الانبیاء؟ وکیف التمییز بینهما؟ لهذا السّؤال أجوبة کثیرة، أوضحها جوابان: ۱- هؤلاء المرتاضون یقومون بأعمال خارقة للعادة معینة ومحدودة، أی أنَّهم لایمتثلون لارادة الغیر للقیام بأعمال یطلبها منهم هؤلاء. إنَّما هم یقومون بما یعرفون و بما اعتادوا علیه بسبب کثرة التمرین. وسبب هذا واضح، إذ أنَّ قوی کل شخص محدودة، فهو لایستطیع أنْ یقوم إلّا بعدد محدود من الاعمال. أمّا معجزات الانبیاء علیهم السلام فلیست لها حدود ولاشروط. فهم قادرون علی الإتیان بمعجزة بحسب اقتراح الطالب وفی أی وقت، لأنَّهم یستندون الی قوّة اللَّه اللامتناهیة، وهی التی لاتحدها حدود، بخلاف قدرات الانسان. ۲- العمل الذی یقوم به أحد المرتاضین یستطیع یقوم به مرتاض آخر، أی أنَّه لیس خارجاً عن قدرة البشر. ولهذا فإنَّ المرتاض لن یتحدی أحداً بطلب المنافسة، لانَّه یعلم أنّه لابدّ أنْ یکون فی اطراف المدینة شخص أو أشخاص قادرون علی الإتیان بمثل مایفعل. أمّا الانبیاء علیهم السلام فانهم یتحدون الناس

بکل ثقة واطمئنان، قائلین: «لو اجتمع أهل الارض جمیعاً علی أنْ یأتوا بمثل مانأتی لعجزوا.» هذا الاختلاف یصدق فی «السّحر» أیضاً، فالاختلافان اللذان ذکرناهما یضعان الحدّ بین المعجزة والسّحر أیضاً، فتأمل. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۴ فکر وأجب ۱- لماذا تسمی «المعجزة» معجزة؟ ۲- هل المعجزة استثناء فی قانون العلّة والمعلول؟ ۳- ما الطریق التی بها نستطیع ان نمیز المعجزة عن أعمال المرتاضین والسحرة؟ ۴- ماهی الشروط الأصیلة فی المعجزة؟ ۵- هل سبق لک ان شاهدت عملا یشبه المعجزة فی حیاتک؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۵

الدّرس ۵ المعجزة الکبری لنبی الاسلام صلی الله علیه و آله و سلم

المعجزة الخالدة

یعتقد جمیع علماء الاسلام أنَّ القرآن الکریم أعظم معجزات نبیّ الاسلام. حیث انَّ أفضلیة القرآن آتیة من کونه. أوّلًا: معجزة عقلیة تتعامل مع أرواح الناس وأفکارهم. وثانیاً: لانه معجزة خالدة أبداً. وثالثا: لکونه معجزة قد مضی علیها أکثر من أربعة عشر قرناً وهی تتحدی البشر کافة منادیة: إذا کنتم تزعمون أنَّ هذا الکتاب السماوی لیس من عند اللّه فأتوا بمثله. وقد جاء هذا التحدی مرّات عدیدة فی القرآن الکریم: ی قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَی أنْ یَأتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ لا یَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو کَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِیرًا ی. «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۵۶ وفی موضع آخر یقول: ی أمْ یَقُولُونَ افْتَریهُ قُلْ فَأتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِنْ دُونِ اللَّهِ إنْ کُنْتُم صادِقِینَ ی. «۱» ثمّ یضیف مباشرة قائلًا: ی فَإنْ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَکُم فَاعْلَمُوا أنّما أنْزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ ی. «۲» ثم یسهّل شروط التحدی فیقول: ی وَإنْ کُنْتُم فِی رَیْبٍ مِمّا نَزَّلنَا عَلَی عَبْدِنا فَأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَکُم مِنْ دُونِ اللَّهِ إنْ کُنْتُم صادِقِینَ ی. «۳» وفی الآیة التالیة یقول: ی فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتّقُوا النَّارَ الّتی وَقُودُها النّاسُ وَالحِجَارَةُ اعِدَّتْ لِلکافِرِینَ ی. «۴» إنَّ هذه التّحدیات المتتالیة لمواجهة المنکرین إنْ دلّت علی شیء فانّما تدل علی أنَّ أکثر استناد النّبی صلی الله علیه و آله کان علی إعجاز القرآن، علی الرّغم من أنَّه کانت له معجزات اخری أیضاً حسبما ورد فی کتب التاریخ. وبما أنَّ القرآن الکریم هو المعجزة الحیّة و الخالدة الموجودة فی متناول أیدینا فسیکون هو موضوع دراستنا وبحثنا.

کیف عجزوا عن مواجهة التّحدی؟

ممّا یلفت النظر أنَّ القرآن الکریم أکد بلهجة قویة علی منکریه للنزول الی میدان المواجهة، مستعملًا تعبیرات مهیجة و مثیرة، لکیلا یبقی عذر لاحد، و قد استعمل تعبیرات مثل ی إنْ کُنْتُم صادِقِینَ ی و ی فَإنْ لَم تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوای و ی لا یَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو کانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِیرًا ی و ی فَأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ی و ی فَاتّقُوا النّارَ الّتی وَقُودُهَا النّاسُ ی. هذا من جهة، ومن جهة اخری لم یکن الصّراع بین الرّسول الکریم صلی الله علیه و آله والکفار صراعاً سهلًا، إذ أنَّ الاسلام لم یکن تهدیداً لدیانتهم ومعتقداتهم المتأصلة فی نفوسهم، فحسب، بل کان خطراً علی مصالحهم الاقتصادیة والسیاسیة وحتی علی کیانهم. وبعبارة اخری کان انتصار الاسلام یحیل حیاتهم کلّها الی رکام، لذلک لم یکن أمامهم سوی النزول الی میدان الصراع بکل مالدیهم من قوّة. ولکی یجردوا نبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله من أقوی سلاح جاء به، کان علیهم أنْ یأتوا- بأی ثمن کان- ببضع آیات مثل آیات القرآن لکیلا یتحداهم به بعد ذلک ویصفهم بالعجز أمام هذا الدلیل القوی علی صدقه وأحقّیته. فجمعوا لذلک فصحاء العرب وبلغاءهم ولکنهم کلما دخلوا المیدان باءوا بهزیمة منکرة ونکصوا علی أعقابهم هاربین. وقد جاءت تفاصیل ذلک فی کتب التاریخ.

حکایة الولید بن المغیرة

من بین الـذین دعوا لمواجهـة تحـدی القرآن کـان الولیـد بن المغیرة من بنی مخزوم، وکان معروفاً بین العرب بفکره الصائب وحسـن تدبیره، فطلبوا منه أنْ دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۱۵۸ یشـیر علیهم بتـدبیر لیری رأیه فی آیات القرآن العجیبة و تأثیرها الشدید فی الناس. فجاء الولید الی رسولاللَّه صـلی الله علیه و آله وطلب منه أنْ یقرأ له آیات من القرآن، فتلی علیه النّبی الاکرم صلی الله علیه و آله بضع آیـات من سورة «حم» السـجدة، فأثـارت هـذه الآیات فی الولیـد انفعالات عارمـة بحیث أنَّه انطلق عائـداً الی حیث کان بنو مخزوم مجتمعین وقال لهم: «واللَّه لقـد سـمعت کلاماً لا هو یشـبه کلام البشـر ولا کلام الملائکـة وأنَّ له لحلاوة وأنَّ علیه لطلاوة وأنَّ أعلاه لمثمر وأنَّ أسـفله لمغدق وأنَّه یعلو ولایُعلی علیه». وشاع فی أوساط قریش أنَّ ولیداً قد صـبا الی دین محمد صلی الله علیه و آله و سـلم فهرع أبوجهـل إلیه وأخبره بما تقول قریش، ودعاه الی حضور مجلسـهم، فصـحبه الولیـد الیهم وقال لهم: أتحسـبون أنَّ بمحمد جُنَّة؟ أرایتم علیه منها أثراً؟ فقالوا: کلا. فقال: أترونه کاذباً؟ ألم یشتهر بیننا بالأمانة والصدق حتی سمیتموه الصادق الامین؟ فقال بعض سراة القوم: فماذا ننسب إلیه إذن؟ ففکر الولید برهة ثمّ قال لهم: قولوا أنَّه لساحر! و علی الرّغم من أنّهم کانوا باطلاق هذه الصـفة علیه یریدون أنْ یبعدوا عنه الناس الذین سـحرتهم آیات القرآن، فان اطلاق تعبیر «السـحر» یدلّ دلالة قاطعة علی قوة جاذبیة القرآن، وأنَّهم أطلقوا کلمة «السـحر» علی تلک الجاذبیة، وإنْ لم تکن سـحراً فی الواقع. دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۱۵۹ فراحت قریش تشیع مقولة الولید فی کل مکان عن أنَّ محمداً ساحر ماهر، وأنَّ الآیات من سحره، وطلبوا من الناس الابتعاد عنه وأنْ لایستمعوا الی مایقول. إلّا أنَّ خطتهم هـذه لم تفلـح، وراح المتعطشون الی الحقیقـة المنتشـرون فی الزوایا والحنایا یفدون علی رسولاللَّه صـلی الله علیه و آله زرافـات ووحـداناً، یرتوون من معین الرسالـة الالهیـة الرائق، ونکص الاعـداء علی أعقـابهم. والیوم أیضاً ما یزال القرآن یتحـدی العالم بأسـره و یدعوهم للمبارزة، قائلًا: إنْ کنتم ترتابون فی صحة نسبة هذه الآیات الیاللَّه، وتعتقدون أنَّها من صنع أفکار البشر، فأتوا بمثلها، أیّهـا العلماء والفلاسـفة والادباء والکتاب من کلّ قوم وملّـة! ولیس خافیاً إنَّ أعـداء الاسـلام وبخاصّـة رجال الـدین المسـیحیین الـذین یعتبرون الاسـلام کدین ثوری عمیق المحتوی منافساً خطیراً لهم، فینفقون سنویاً ملایین الملایین من الدّولارات للدعایة ضد الاسلام و فی البلـدان الاسـلامیة نفسـها تحت واجهات مزیفـة من ثقافیـة و علمیـة و صـحیة، فما أحراهم أنْ یطلبوا من العلماء المسـیحیین العرب وشـعرائهم وادبائهم وفلاسـفتهم أنْ ینشـئوا آیات کآیات القرآن إن هم اسـتطاعوا الی ذلک سبیلًا لیسکتوا صوت الاسلام. و لاشک لو أنَّ شـیئاً کهـذا کان ضـمن قـدراتهم لما توانوا فی تحقیقـة بأی ثمن کان. غیر أن عجزهم فی هذا الامر لدلیل أسـکت الاعداء وبرهان نـاطق علی اعجـاز القرآن. دروس فی العقائـد الاسـلامیة، ص: ۱۶۰ فکر وأجـب ۱- لمـاذا یعتـبر القرآن أهم معجزة من معجزات نـبیّ الاسـلام صـلی الله علیه و آله؟ ۲- کیف یتحـدی القرآن أعداءه؟ ۳- لماذا اطلق أعداء الاسـلام صـفة «السحر» علی القرآن؟ ۴- لماذا یعتبر الاسلام منافساً عنیداً للمسیحیة الیوم؟ ۵- ما حکایة الولید بن المغیرة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۱

الدّرس ۶ نافذة علی إعجاز القرآن

سرّ الحروف المقطعة

نلاحظ فی أوائل عدد من سور القرآن بعض «الحروف المقطعة» مثل «ألم» و «ألمر» و «یس». تقول بعض الروایات الاسلامیة أن واحداً من أسـرار هـذه الحروف المقطعـة هو أنَّ اللَّه یریـد أن یرینا کیف أن هـذه المعجزة الخالـدة العظیمـة، «القرآن العظیم» قد وجدت من حروف الالفباء البسیطة التی تعتبر من أبسط مواد البناء! وکیف أنَّ هـذا الکلام الرائع العظیم قـد تألف من هـذه الحروف التی یسـتطیع التکلم بها حتی الاطفال الصـغار. و لاشک إذن فی أنَّ ظهور هذا الامر العظیم من هذه المواد البسیطة اعجاز لا یُدانیه إعجاز. هنا یتبادر للـذهن سؤال و هو: أین یکمن اعجـاز القرآن؟ أمن حیث البلاغـة والفصاحـة، ای من حیث حلاوة عبـاراته ودخولها الی القلب بنفوذ دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۱۶۲ عجیب، أم أنَّ هنـاک جوانب اخری لاعجازه؟ و الحقیقـة هی أنَّک من أیـة زاویـة نظرت الی

القرآن لطالعتک إمارات الاعجاز واضحة. و من بین ذلک علی سبیل المثال: ۱- الفصاحة والبلاغة: هنا تجد حلاوة الالفاظ والجاذبیة العجیبة التی تتجلی لک فی المعانی والمفاهیم. ۲- المحتوی الرفیع وخاصة العقائد البعیدة عن کل انحراف. ۳- المعجزات العلمیة، فالقرآن یکشف الستار عن مسائل علمیة لم یکن الانسان قد اکتشفها یومذاک. ۴- الاخبار عن الغیب والتنبؤ بحدوث بعض الحوادث فی المستقبل. ۵- عدم وجود التناقض و لا الاختلاف ولا التّشتت.

الفصاحة والبلاغة

لکل کلام صفتان، «الفاظه» و «محتواه». فعندما تکون الالفاظ والکلمات جمیلة ولائقة وتتمیز بالانسجام والترابط اللازم وخالیة من التعقید، بحیث یوصل ترکیب الجمل المعنی المراد بدقّة تامّة وبطریقة مقبولة و جذابة قیل لذلک الکلام أنَّه فصیح وبلیغ. و فی القرآن تتجسد هاتان الصفتان تجسداً لاحد له، بحیث أنَّ أحداً لم یستطع حتی الآن أنْ یأتی بآیات و سور تضاهی آیات القرآن و سوره من حیث الجاذبیة والحلاوة والتناغم. و کما ذکرنا فی الدرس السابق أنَّ الولید بن المغیرة، منتخب مشرکی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۳ العرب، هاجت مشاعره وانفعل عند سماع بضع آیات من القرآن، ولم یتوصل تفکیره العمیق الی إلصاق أی تهمة به إلّاأن یصفه بالسحر وإلّا أنْ یصف رسول اللّه بالساحر! وعلی الرّغم من أنَّهم راحوا یکررون إلصاق صفة السحر بآیات القرآن علی سبیل الذم والتندید، إلّاأنَّ ذلک کان فی الواقع مدحاً وتکریماً، إذ أنَّ فیه إعترافاً ضمنیاً بسیطرة القرآن الکریم الخارقة للعادة علی المخاطب و نفوذه الی أعماقه. بحیث إنَّک لاتستطیع أنْ تفسر ذلک تفسیراً عادیاً، إلّاأنْ تقول أنَّ فیه جاذبیة غامضة و مجهولة. ولکنهم بدلًا من أنْ یتقبلوا تلک الحقیقة ویعتبروها معجزة فیؤمنوا بها، انحرفوا عن جادة الصواب وقالوا إنَّها سحر وأساطیر. ویذکر لنا التاریخ أمثلة کثیرة عن أشخاص غلاظ شداد کانوا یفدون علی رسولاللّه صلی الله علیه و آله، وما أنْ یستمعوا الی بضع آیات منه حتی یتغیر حالهم و ینبعث نور الایمان فی قلوبهم، الامر الذی یدل بوضوح علی أنَّ ما فی القرآن الکریم من فصاحة وبلاغة معجز. بل إنَّنا فی أیّامنا هذه نجد العارفین بآداب اللغة العربیة کلما کرروا تلاوة القرآن الکریم إزداد إحساسهم بالراحة و اللذة لما فیه من حلاوة ومایثیره فیهم من شعور بحیث أنَّهم لایتعبون من تکرار تلاوته. و تتصف العبارات القرآنیة بالدقة المتناهیة المحسوبة، فالقرآن عفیف البیان متین البنیان، وهو فی الوقت نفسه ناطق صریح، وصارم شدید عندالاقتضاء. و لابدّ من الاشارة الی أنَّ العرب منذ ذلک الوقت کانوا قمة فی الفنون دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۴ الادبیة من شعر ونثر وصناعة کلام، ومازالت قصائد من الشعر الجاهلی تعتبر من أرفع الشعر، وکان سوق عکاظ مکاناً یجتمع فیه فطاحل الشعراء کلّ سنة ینشدون فیه اشعارهم ویتنافسون فی أجودها، ویختارون أفضلها طراً ویعلقونها علی جدار الکعبة باعتبارها خیر قصیدة قیلت فی تلک السنة. وعند ظهور الدّعوة الاسلامیة کانت هناک سبع قصائد معلقة علی حائط الکعبة، اطلق علیها اسم «المعلقات السبع». ولکن بعد نزول القرآن لم یبق لتلک المعلقات أی لون ولاطعم، فازیلت الواحدة بعد الاخری وطواها النسیان. ولقد سعی المفسرون جهد طاقاتهم للاشارة الی دقائق الابداع الالهی العجیبة فی القرآن، فیمکن الرجوع الی تلک التفاسیر لمزید من الاطلاع. «۱» إنَّ معرفة القرآن تؤکد أنَّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله لم یبالغ حین قال: «ظاهره أنیق وباطنه عمیق لاتحصی عجائبه ولاتبلی غرائبه». والامام علی أمیرالمؤمنین علیه السلام، تلمیذ مدرسة القرآن العظیم، یقول فی نهج البلاغه واصفاً القرآن: «فیه ربیع القلب، وینابیع العلم، وما للقلب جلاء غیره.» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۵ فکر وأجب ۱- ماهی فلسفة الحروف المقطعة فی القرآن؟ ۲- هل القرآن معجزة من جانب واحد، أم من عدة جهات؟ ۳- لماذا اطلق أعداء النّبی علیه صفة الساحر؟ ۴- ماالفرق بین الفصاحة والبلاغة؟ ۵- متی کانت «المعلقات السبع»؟ وما معناها؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۷

الدّرس ۷ نظرة القرآن الی العالم

قبل کل شیء ینبغی أنْ نتعرف علی البیئة التی نزل فیها القرآن علی الصعیدین الفکری والثقافی. یجمع المؤرخون علی أنَّ أرض الحجاز کانت من أکثر بلدان العالم تخلفا بحیث أنَّهم کانوا یعبرون عن سکانها بأنَّهم متوحشون أو شبه متوحشین. و قد عکفوا علی عبادة الاصنام و تمسکوا بها تمسکاً شدیداً، و کانوا یصنعونها من الحجر والخشب باشکال متنوعة، فکانت تلقی بظلها المشؤوم علی کل ثقافتهم، حتی قیل أنَّهم کانوا یصنعون الاصنام من التمر ویسجدون لها، ولکنهم إذا أحسوا بالجوع أکلوها! و علی الرغم من کرههم الشدید للبنات بحیث أنَّهم کانوا یئدونهن احیاء لکنهم کانوا یقولون: إن الملائکة بناتاللَّه. بحیث یعتبرون اللَّه سبحانه و تعالی انساناً مثلهم. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۸ و کان ینتابهم العجب من التوحید وعبادة إله واحد. وعندما دعاهم نبی الاسلام الی عبادة اللَّه الاحد، قالوا بدهشة: ی أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً وَاحِداً إنَّ هذا لَشَیءٌ عُجَابٌی. «۱» وکانوا یلصقون صفة الجنون بکل من یخالف خرافاتهم واساطیرهم المزیفة ویتعرض لمعتقداتهم الواهیة. و کان النظام القبلی هو السائد علی المجتمع، حیث النزاعات القبلیة کانت علی أشدها، حتی أنَّ نار الحروب لم تخمد یوماً بینهم، وکثیراً ما اصطبغت أرضهم بالدماء، ویفتخرون بالقتل والنهب والسبی. واذا ظهر بینهم من یعرف القراءة والکتابة أصبح ناراً علی علم، وکان من النادر أنَّ تعثر بینهم علی عالم مفکر. هذا هو المحیط الذی بزغ فیه نور انسان امّی لم یدخل مدرسة ولارأی معلماً، ولکنه أتی بکتاب عمیق المحتوی الی درجة أن العلماء والمفسرین مایزالون بعد أربعة عشر قرناً مشغولین باستکناه معانیه واستخراج حقائق جدیدة منه فهو معین لا ینضب ابداً. إنَّ الصورة التی یرسمها القرآن الکریم لعالم الوجود ونظامه صورةً دقیقة مدروسة، فیعرض التوحید بأکمل حالاته، ویعرض أسرار خلق الارض والسماء واللیل والنهار والشمس والقمر والنباتات والاشجار والانسان علی أنَّ کلا منها آیة تدل علی وحدانیة اللَّه الاحد. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۶۹ ویتعمق أحیاناً فی اغوار النفس الانسانیة ویتحدث عن التوحید الفطری، فیقول: ی فَإذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَّما نَجّاهُم الی البَرِّ إذا هُم یُشْرِکُونَی. «۱» وقد یسلک سبیل العقل والمنطق لاثبات التوحید مستنداً الی السیر فی الآفاق وفی الانفس، ومذکّراً بأسرار خلق السموات والارض والحیوانات والجبال والبحار، وهطول الامطار، وهبوب الریاح ودقائق اعضاء الانسان: ی سَنُرِیْهِم آیاتِنا فِی الآفَاقِ وَفِی أنْفُسِهِمی. «۲» و عندما یکون الکلام عن صفات اللَّه یختار أعمقها وأجلبها للنظر، فیقول: ی لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیءٌی. «۳» وفی مواضع اخری یقول: ی هُوَ اللَّهُ الّذی لا إلهَ إلّاهُوَ عالِمُ الغَیْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرّحمنُ الرّحیمُ* هُوَاللَّهُ الّذی لا إلهَ إلّاهُوَ المَلِکُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَیمِنُ العَزِیزُ الجَبارُ المُتَکَبِّرُ سُبحانَ اللَّهِ عَمّا یُشْرِکُونَ* هُوَ اللَّهُ الخالِقُ البارِیءُ المُصَوِّرُ لَهُ الأسْماءُ الحُسنی یُسَبِّحُ لَهُ ما فِی السَّمواتِ وَالارضِ وَهُوَ العَزِیزُ الحَکِیمُی. «۴» ویعبر تعبیراً جمیلًا عن وصف علماللَّه ولامحدودیته، فیقول: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۰ ی وَلَو أنّما فِی الأرْضِ مِنْ شَجَرةٍ أقْلامٌ وَالبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ إنّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌی. «۱» وعن احاطةاللَّه بکل شیء وحضوره فی کل مکان، یقول: ی وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِی. «۲» ی وَهُوَ مَعَکُم أیْنَ ما کُنْتُم وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌی. «۳» وعندما یدور الکلام حول البعث ویوم القیامة، یواجه دهشة المشرکین وانکارهم بقوله: ی قَالَ مَنْ یُحیی العِظَامَ وَهِی رَمِیمٌ* قُلْ یُحییها الّذی أنْشَأهَا أوّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ* الّذی جَعَلَ لَکُم مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ ناراً فَإذا أنْتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ* أوَ لَیْسَ الّذی خَلَقَ السَّمواتِ وَالارْضَ بِقادِرٍ عَلی أنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلی وَهُوَ الخَلّاقُ العَلِیمُ* إنّما أمْرُهُ إذا أرَادَ شَیْئاً أنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُی. «۴» فی تلک الایام التی لم یکن فیها قد تمّ اکتشاف التصویر وتسجیل الاصوات، یقول القرآن الکریم بشأن أعمال الانسان: ی یَومَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبَارَها* بِأنَّ رَبَّکَ أوحی لَهای. «۵» وقد یتحدث عن شهادة أعضاء الانسان فیقول: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۱ ی الیَومَ نَخْتِمُ عَلی أفْواهِهِم وَتُکَلِّمُنا أیْدِیهِم وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُمی. «۱» ی وَقالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَینا قالُوا أنْطَقَنا اللَّهُ الّذی أنْطَقَ کُلَّ شَیءٍی. «۲» إنَّ قیمة العلوم القرآنیة وعظمة محتواها وخلوها من الخرافات لاتتضح إلّا إذا وضعت الی جانب التّوراة والانجیل المحرفتین للمقارنة بینهما، لنری ماتقول التّوراة بشأن خلق آدم وما یقول القرآن الکریم بهذا الشأن. وماذا تقول التّوراة بشأن الانبیاء وما یقوله القرآن المجید. وما تقوله التوراة والانجیل فی وصف اللَّه، ومایقوله القرآن فی ذلک. عندئذ یتبین الفرق واضحاً بینهما. «۳» فکر وأجب ۱- ماذا کانت خصائص المحیط الذی ظهر فیه القرآن؟

۲- ما تأثیر عبادة الأصنام فی افکار الناس؟ ۳- ماالفرق بین التوحید الفطری والاستدلالی؟ ۴- کیف یصف القرآن الکریم اللّه عزّوجلّ ویعرّفه؟ مثّل لذلک. ۵- ماأفضل الطرق لمعرفة محتوی القرآن؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۳

الدّرس ۸ القرآن والاکتشافات العلمیة المعاصرة

اشارة

لا ـ شک أنَّ القرآن لیس کتاباً من کتب العلوم الطّبیعیة أو الطّبیة أو النّفسیة أو الرّیاضیة، بل أن القرآن کتاب هدایة و بناء لروح الانسان. فهو لا یترک شیئاً ضروریاً فی هذا السبیل إلّاوأتی به. لذلک لیس لنا بالطّبع أنْ نری فی القرآن دائرة معارف عامّة، بل أن القرآن عبارة عن نور الایمان والهدایة والتقوی والانسانیة والاخلاق والنظام والقانون، فهو یضم کل هذه الامور. و القرآن و من أجل الوصول الی هذه الاهداف، یشیر أحیاناً الی جانب من العلوم الطبیعیة وأسرار الخلق و عجائب عالم الوجود وخاصة خلال بحوث التوحید والاستدلال بنظام الکون، فیرفع الستار عن بعض أسرار عالم الخلق ویکشف اموراً لم یکن أحد یعرف عنها شیئاً فی ذلک الزمان و فی تلک البیئة، حتی العلماء منهم. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۴ هذه الاسرار تجتمع تحت عنوان "معجزات القرآن العلمیة، "نشیر الی بعض منها فی مایلی:

القرآن وقانون الجاذبیة

لم یکن أحد قبل (نیوتن) یعرف شیئاً عن قانون الجذب العام. و من المعروف أنَّ (نیوتن) هذا کان یوماً جالساً تحت شجرة تفاح، فسقطت تفاحة من الشجرة علی الارض، فاستولی هذا الحدث الصغیر علی کل تفکیره وأمضی سنوات یفکر فی القوة التی جذبت التفاحة إلیها. لماذا لم ترتفع الی السماء؟ وبعد سنوات توصل الی وضع قانون الجذب العام الذی یقول: «تتجاذب الکتلتان بنسبة طردیة مع حاصل ضرب کتلتیهما وعکسیاً مع مربع المسافة بین مرکزی ثقلیهما». علی أثر صیاغة هذا القانون إتضح وضع المنظومة الشمسیة. لماذا تدور هذه الکواکب العظیمة کلّ فی مدار حول الشمس؟ لماذا لا تهرب من هذا المدار و تنطلق فی کل اتجاه؟ لماذا لا تتراکم بعضها فوق بعض؟ ما هذه القوّة التی تمسک هذه الاجرام فی مدارات دقیقة فی هذا الفضاء الشاسع، دون أنْ تتجاوزها حتی بمقدار رأس الابرة؟ اکتشف (نیوتن) أنَّ حرکة الجسم الدائریة تجعله یبتعد عن المرکز، و قانون الجاذبیة یجذبه الی المرکز، فاذا ما تعادلت هاتان القوتان، القوة الدافعة عن المرکز، و القوة الجاذبة نحو المرکز، أی إذا أوجدت «الکتلة» و «المسافة» من القوة «الجاذبة الی الداخل» والقوّة «الدافعة الی الخارج» مقادیر متعادلة، بقی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۵ الجسم یدور فی مداره ولا یتعداه. غیر أنَّ القرآن قبل اکثر من ألف سنة من اکتشاف هذه القوانین قال فی الآیة الثّانیة من سورة الرّعد: ی اللَّهُ الّذی رَفَعَ السَّمواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوی عَلَی العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی یُدَبِّرُ الأَمْرَ یُفَصِّلُ الآیاتِ لَعَلَّکُم بِلِقَاءِ رَبِّکُم تُوقِنُونَی. وقد جاء فی تفسیر هذه الآیة عن الامام علی بن موسی الرّضا علیه السلام قوله: «الیس اللّه یقول بغیر عمد ترونها؟ قلت: بلی. قال: ثَمّ عمد لکن لا ترونها». أهناک تعبیر أوضح وأبسط فی الادب العربی من هذا القول عن قوّة الجاذبیة: أعمدة غیر مرئیة، لیفهمه عامّة الناس؟ وفی حدیث عن الامام علی أمیرالمومنین علیه السلام نقرأ: «هذه النجوم التی فی السّماء مدائن مثل المدائن التی فی الارض مربوطة کل مدینة الی عمود من نور». یقول العلماء المعاصرون أن بین نجوم السماء نجوماً کثیرة تسکنها کائنات حیّة وعاقلة، وإنْ لم یکتشفوا بعد تفاصیلها.

دوران الارض حول نفسها وحول الشمس

یقول التاریخ أنَّ (غالیلیو) الایطالی کان أوّل من اکتشف دوران الارض دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۶ حول نفسها قبل نحو أربعة قرون، بینما کان العلماء قبله یؤمنون بنظریة بطلیموس المصری القائلة أن الارض هی مرکز الکون وأنَّ جمیع الاجرام الاخری تدور حولها. وکان جزاء (غالیلیو) علی اکتشافه العملی هذا أنَّ حکمت الکنیسة بکفره، ولم ینج من الموت إلّاباظهار الندم علی اکتشافه ذاک. غیر ان علماء آخرین تابعوا نظریته واکّدوها بحیث أنها أصبحت الیوم من الامور التی لا یختلف فیها اثنان، بل لقد ثبت بالتجارب الملموسة أنَّ الارض تدور حول نفسها، وخاصّة بعد التحلیقات الفضائیة الاخیرة. وعلیه فقد فقدت الارض مرکزیتها بالنسبة للکون بعد أنْ تبین إنَّنا کنا من قبل ضحیة خطأ حواسنا، فکنا نخلط حرکة الارض بحرکة مجموعة الثوابت والسیارات. إنَّنا نحن الذین نتحرک، وکنا نعتبرها هی التی تتحرک. علی کل حال، لقد سیطرت نظریة بطلیموس نحو ألف و خمسمائة سنة علی عقول العلماء. وعند ظهور القرآن لم یکن أحد یجرؤ علی القول بخلاف ذلک. ولکننا إذا رجعنا الی آیات القرآن نجد أنَّه فی الآیة ۸۸ من سورة «النمل» یتحدث عن حرکة الارض فیقول: ی وَتَری الجِبَالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِی تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَی. هذه الآیة تشیر بوضوح الی حرکة الجبال مع إنَّنا نراها ساکنة جامدة. إنَّ تشبیه حرکتها بحرکة السحاب یفید السرعة مع الهدوء. أمّا التعبیر عن حرکة الارض بحرکة الجبال، فهو لکی یبیّن أهمیة الموضوع، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۷ إذ لا حرکة للجبال بغیر حرکة الارض من تحتها، أی إنَّ حرکتها هی حرکة الارض نفسها، سواء أکان المقصود دورانها حول نفسها، أم حول الشمس، أم کلیهما. تصور الآن عصراً کانت فیه جمیع المحافل العلمیة فی العالم والانسان العادی، یؤمنون بنظریة سکون الارض ودوران الشمس والکواکب الاخری حولها، ألا یکون الإخبار بحرکة الارض بهذا البیان معجزة علمیة؟ خاصّة أنَّ المخبر انسان امّی لم یدخل مدرسة، بل أنَّه نشأ فی محیط متخلف لا مدرسة فیه ولا تعلیم. أفلا یکون هذا دلیلًا علی کون القرآن کتاباً سماویاً؟ فکّر وأجب: ۱- ما المقصود بمعجزات القرآن الکریم العلمیة؟ ۲- من اکتشف قانون الجاذبیة؟ ومتی کان ذلک؟ ۳- فی أیة آیة یخبر القرآن الکریم عن قانون الجاذبیة العام وکیف یعبر عن ذلک؟ ۴- من قال بسکون الارض؟ ومن الذی اکتشف حرکتها، وکم ظلت تلک الفرضیة تسیطر علی العلماء؟ ۵- فی أیة آیة یخبر القرآن الکریم عن حرکة الارض؟ وکیف یعبر عن ذلک؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۷۹

الدّرس ۹ دلیل آخر علی صدق نبوّة نبیّ الاسلام

هناک طریق آخر غیر طلب المعجزة لاـ ثبات صحة دعوی النّبوة أو عدمها، وهو طریق یعتبر بحد ذاته دلیلًا حیاً آخر للوصول الی الهدف المنشود، وذلک هو دراسة القرائن التالیة وتوفر عدد منها فی مدعی النّبوة: ۱- ممیزاته الاخلاقیة وتاریخه الاجتماعی. ۲- الظروف التی تسود البیئة الذی ظهرت فیها الدّعوة. ۳- الظروف الزّمانیة. ۴- محتوی الدّعوة. ۵- خطط الدّعوة التنفیذیة ووسائل الوصول الی الهدف. ۶- مقدار الأثر الذی تترکه الدّعوة فی البیئة. ۷- مقدار ایمان صاحب الدّعوة بهدفه ومدی تضحیته فی سبیله. ۸- عدم التّساوم مع الاعداء لحرفه عن طریقه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۰ ۹- سرعة تأثیر الدّعوة فی الرأی العام. ۱۰- دراسة الذین یؤمنون بالدعوة وطبقتهم الاجتماعیة. علینا أنْ ندرس هذه الامور دراسة دقیقة وأنْ ننظم ملفاً خاصاً بذلک بحیث یسهل علینا معرفة صدق مدعی النّبوة أو کذبه. والآن بعد الاخذ بنظر الاعتبار النقاط السابقة، نباشر باجراء دراسة دقیقة ومکثفة عن شخص نبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله، علی الرغم من أنَّ هذا یتطلب المجلدات الکثیرة: ۱- فیما یتعلق بممیزات نبی الاسلام الاخلاقیة، فإنَّ کتب التاریخ التی کتبها الاصدقاء و الاعداء تؤکد لنا أنَّه کان علی درجة من الطهارة والنقاء والاستقامة بحیث أنَّهم فی ذلک العصر الجاهلی وصفوه بالصادق الامین. یقول التاریخ: عندما إراد الهجرة الی المدینة طلب من علی علیه السلام أنْ یؤدی عنه الامانات الی أصحابها. أمّا شجاعته وثباته وحسن خلقه وسعة صدره وفتوته وتضحیاته فیمکن التعرف علیها من خلال حروبه وفترات سلمه. إنَّ العفو العام الذی أصدره بالنسبة لاهل مکة بعد فتحها واستسلام اعدائه الالداء للمسلمین یعتبر دلیل حی علی خلقه النبیل. ۲- إنَّنا نعلم أنَّ

النـاس العـاديين- بـل حتى النّوابغ منهم- يتـأثرون بالمحيـط الـديني الـذى يعيشون فيه شـاؤوا أم أبوا، وأنْ يكن تـأثرهم على درجـات متفاوتة. تصور، إذن، رجلًا عاش أربعين سنة فى محيط يسوده الجهل و عبادة دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۱۸۱ الاصنام، و تسيطر عليه حالـة من الخرافات والاباطيل، كيف يمكن له أنْ يدعو الى التوحيد الخالص، وأنْ يبادر الى مواجهة مظاهر الشـرك كلها؟ كيف يمكن أنْ يصـدر عن محيط جاهل أعلى التّجليات العلمية التى لاتصدقها الابصار؟ أيمكن أنْ نصدق أن ظاهرة عجيبة كهذه يمكن أن تظهر الى الوجود بغير أنْ تكون مؤيـده من اللّه و من مـا وراء الطبيعـة؟ ۳- علينا أنْ نعرف العصـر الذى ظهر فيه النّبى صـلى الله عليه و آله. إنه عصـر القرون الوسطى عصر الاستبداد و التمييز العنصرى و الامتيازات الظالمة، عصر العنصرية والطبقية. تعال نستمع الى وصف ذاك العصـر عن لسان على بن أبى طالب عليه السلام، اذ يقول: «بعثه والنّاس ضلّال فى حيرة، وحاطبون فى فتنة، قد استهوتهم الاهواء، واستنزلتهم الكبريـاء، واسـتخفتهم الجاهليـة الجهلاء، حيارى فى زلزال من الامر، وبلاء من الجهل ...». «۱» فتصور ديناً شـعاره المساواة بين النـاس والقضـاء على التبعيض العرقى والطبقى: ى إنّمـا المؤمنون إخوة‌ى كيف ينسـجم مع مثل ذلك العصـر؟ ۴- محتوى الدعوة التوحيـد من جميع الجهات، والغاء الامتيازات الظالمـة، و توحيـد عالم الانسانيـة، و مكافحـة الظلم والجور، و اقامـة حكومـة عالميـة، و الـدفاع عن المستضـعفين، واعتبار التقوى والطهارة والامانـة من أهم معايير القيم الانسانية. دروس فى العقائد الاسـلامية، ص: ۱۸۲ ۵- بالنسـبة للخطط التنفيذية لم يُجِز ابداً المقولة القائلة أنَّ الغاية تبرر الوسيلة، و للوصول الى أهدافه المقدّسة. كان يقول: ى وَلا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَومٍ عَلَى أنْ لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا‌ى. «۱» أمّا علو أخلاقه فيتضـح من تعليماته فى التزام المبادىء الاخلاقية فى ميادين الحرب، و عدم الاعتداء على غير المقاتلين و الامتناع عن قطع شـجرة، وعدم تلويث مياه شـرب العدو، ومعاملة الاسرى بكل محبّة، وعشرات اخرى من امثال هذه التعليمات. ۶- مقـدار تأثير دعوته فى ذلك المحيط كان من الشـدّة بحيث أن الاعداء كانوا يخشون الاقتراب منه، خوفاً من أن ينجذبوا إليه و يتأثرون به، فكانوا إذا تكلم يثيرون الجلبة والضوضاء لئلا يسـمع الناس ما يقول فتنجذب اليه قلوبهم العطشـى. ولكى يموهوا على الناس تأثيره المعجز و قد و صفوه بالساحر الذى ينطق بالسحر، وهذا بذاته اعتراف ضمنى بقوّة تأثير دعوته الخارقة للعادة. ۷- أمّا مقـدار تضـحيته فى سبيل دعوته، فلقد كان أشدّ الناس إيماناً بهذا الدين الذى عهده اللّه اليه به. فى بعض الحروب التى فرّ منها المسـلمون الجُدد، وقف هو بثبـات، ولم ينفع معه ترغيب الاعـداء ولاـترهيبهم، بل ظل ثابتاً على دينه، لا يظهر عليه شـى من الضـعف والتردد. ۸- كثيراً مـا سـعوا لاجبـاره على التّسـاوم مع المنحرفين، ولكنه لم يتزحزح قيـد شـعرة عن موقفه، بـل قـال: دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۱۸۳ «واللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته». ۹- لم يكن تأثير دعوته فى الرأى العام عجيباً فحسب، بل كانت سـرعه انتشارها خارقة للعادة أيضاً. إن الذين قرأوا ماكتبه المستشـرقون الغربيون حول الاسـلام لابـدّ أنّهم لاحظوا أنَّ اولئك يبـدون دهشـتهم من سـرعة انتشار الاسـلام. من هؤلاء ثلاثة من الاساتذة الغربيين الذين كتبوا عن تاريخ حضـارة العرب فـاعترفوا بهـذه الحقيقـة دون مواربـة، ويقولون: «على الرّغم من البحوث والـدّراسات التى اجريت لمعرفـة سـبب انتشار الاسـلام السـريع فى العـالم بحيث انه سـيطر على جـانب واسع من العـالم فى أقـل من قرن، فـإنَّ القضـية مازالت غامضـة». نعم، أنَّه لغز غـامض! ترى كيـف اسـتطاع فى ظروفـه تلـك أنْ ينفـذ الى قلـوب ملاـيين النـاس بتلـك السـرعة العجيبـة، و أنْ يهيمـن على مختلف الحضارات ويخلق حضارة جديدة؟! ۱۰- و لنرى أخيراً اعدائه، فقد كانوا من رؤساء الكفر والظالمين المستكبرين والمترفين والانانيين، فى الوقت الذى كان فيه الذين آمنوا به، فى غالبيتهم، المحرومين والعبيد، اناس ما كان لهم من رأسـمال سوى الطهارة وصـفاء النفس والتعطش الى اللّه. من مجموع هذه البحوث- التى يطول شـرحها وتفصـيلها- يمكن أنْ نستنتج دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۱۸۴ أنَّ دعوته دعوة إلهيـة، دعوة انبعثت ممّـا وراء الطّبيعـة، وأنَّه قـد بعثه اللّه لينقـذ الانسـان من الفساد والضـياع والجهل والشـرك والظلم والجور. فكّر وأجب: ۱- هل هناك طريق لمعرفـة صـدق النّبى صـلى الله عليه و آله غير طريق المعجزة؟ ما هو؟ ۲- ماهى القرائن التى يجب علينا جمعها؟ وما النقاط التى يجب أنْ نؤكـد عليها؟ ۳- بين ما تعرفه عن العرب خصوصاً والعالم عموماً فى العصـر الجاهلى. ۴- هـل يمكن معرفـة شـىء من المقارنـة بين حال العرب قبل الاسـلام وبعـده؟ ۵- لمـاذا اتّهم أعـداء الاسـلام النّبى صـلى الله عليه و آله

بالسحر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۵

الدّرس ۱۰ نبیّ الاسلام صلی اللّه علیه و آله خاتم الانبیاء

المعنی الدقیق للخاتمیة

نبیّ الاسلام آخر انبیاء اللّه، فیه اختتمت سلسلة النّبوة، وهذا من «ضروریات الدّین الاسلامی». والضّرورة هنا تعنی أنَّ من یدخل صفوف المسلمین سرعان ما یدرک أنَّ جمیع المسلمین یحملون العقیدة نفسها وهی من الامور الواضحة والمسلّم بها عندهم. فمثلما أنَّ کل شخص له ارتباط مع المسلمین یعلم أنهم یؤکدون مبدأ «التّوحید» یعلم أیضاً أنهم متفقون جمیعاً علی أن نبیّ الاسلام صلی اللّه علیه و آله هو خاتم الانبیاء، ولیس هناک أی مسلم یتوقع مجیء نبیّ جدید من بعده. والواقع أنَّ قافلة البشریة قد طوت خلال مسیرتها نحو التکامل مراحل عدیدة ومختلفة الواحدة بعد الاخری حتی بلغت مرحلة من الرّشد والتّکامل تستطیع معها أنْ تقف علی قدمیها، أی أنَّها تستطیع أنْ تحل جمیع مشکلاتها دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۶ باتباع التّشریعات الاسلامیّة الجامعة. وبعبارة اخری أنَّ الاسلام هو القانون النهائی الشامل فی مرحلة بلوغ البشریة ونضجها، فهو من حیث العقائد بلغ الکمال فی محتواه، حیث یسدُّ حاجات الانسان فی کل عصر وزمان.

الدّلیل علی أنَّ النّبی صلی اللّه علیه و آله خاتم الانبیاء

هناک أدلّة عدیدة لاثبات هذا القول، أهمها مایلی: ۱- ضرورة هذه القضیة: قلنا أنَّ من یتصل بالمسلمین فی أی مکان من العالم یدرک أنَّهم یعتقدون بأنَّ نبیّ الاسلام صلی اللّه علیه و آله هو خاتم الانبیاء، وعلیه فاذا تقبل أحد الاسلام عن طریق الدلیل والمنطق، فلا مندوحة له من أنَّ یقبل بمبدأ خاتمیة النّبوة بنبی الاسلام. وبما أنَّنا فی الدورس السابقة أثبتنا صحّة هذا الدین وصدقه بالأدلة الکافیة، فلابدّ من القبول بأن مبدأ ختم النبوّة بنبوّة رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله من ضروریات هذا الدین. ۲- فی القرآن آیات تؤکد کون النّبی صلی اللّه علیه و آله هو خاتم الانبیاء، منها: ی ما کَانَ مُحَمَّدٌ أبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُم وَلکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِیینَ ی. «۱» وقد نزلت هذه الآیة فی الوقت الذی راج فیه بین العرب تبنّی الابناء، إذ کانوا یتبنون أبناء من أبوین آخرین ویتخذونهم أبناء حقیقیین لهم فیعیشون ضمن أفراد الاسرة، یرثونهم و یصبحون من محارمها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۷ غیر أنَّ الاسلام ألغی هذه العادة الجاهلیة، وقال أنَّ الابن بالتبنی لا یمکن أنْ یکون کالابن الشرعی من حیث الحقوق القانونیة، بما فیهم «زید» الذی کان نبیّ الاسلام صلی اللّه علیه و آله قد تبناه، فجاءت الآیة تقول للمسلمین أنَّکم بدلًا من أنْ تصفوا النّبی بکونه أباً لاحد، صفوه بصفتیه الحقیقیتین: کونه رسول اللّه، وکونه خاتم النبیین. وهذا یدل علی أنَّ هاتین الصفتین کانتا من الامور المسلم بهما بین المسلمین. السؤال الوحید الذی یُثارُ هنا هو ما المعنی الحقیقی للخاتمیة؟ «الخاتم من مادة» ختم «التی تعنی بلوغ نهایة الشیء، مثل الختم الذی کان یوضع فی نهایة الرسالة المکتوبة. ومن هنا وضعت کلمة «الخاتم» علی ما یلبس فی الاصابع، لأنَّ فص الخواتم کان ینقش علیه اسم أو رسم و یستعمل لختم المکاتبات فی ذلک الزمان، وکل ختم کان یخص شخصاً بعینه. جاء فی الرّوایات الاسلامیة: عندما أراد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله انْ یکتب الرسائل لملوک و رؤساء بلدان ذلک العصر یدعوهم الی الاسلام، قیل له أنَّ من عادة ملوک العجم أنَّهم لا یقبلون کتاباً مالم یکن فیه ختم صاحبه. وذلک لأنَّ رسائل النّبی حتی ذلک الحین کانت خالیة من کل ختم. فامر أنْ یحفروا «لا إلهَ إلّااللّهُ محمّد رسول اللّه» علی فص خاتم، وأخذ یختم به رسائله منذ ذلک الوقت. وعلیه، فإنَّ المعنی الاصلی للخاتم هو وضع النهایة و الختام. ۳- هنالک احادیث کثیرة تبیّن کون النّبی صلی اللّه علیه و آله کان آخر الانبیاء وخاتمهم، منها الحدیث المعتبر المروی عن جابر بن عبداللّه الانصاری عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أنَّه قال: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۸ «مثلی بین

الانبیاء کمثل من بنی داراً کاملة لا تنقصها إلّا آجرة واحدة، فمن دخلها أعجب بجمالها ولکن یعیبها هذا النقص. فانا تلک الآجرة الناقصة والانبیاء ختموا بی». وقد قال الامام صادق علیه السلام: «حلال محمد حلال أبداً الی یوم القیامة وحرامه حرام أبداً الی یوم القیامة». «۱» وثمة حدیث یذکره الشیعة والسنة أنّه قال لعلی علیه السلام «أنت منّی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنَّه لا نبیّ بعدی». ثمة تساؤلات تبرز فی موضوع ختم النّبوة لابدّ من الاشارة الیها: ۱- یقول بعضهم أنَّ ارسال الانبیاء فیض الهی عظیم، فلماذا حرم اناس هذا الزمان من هذا الفیض؟ لماذا لا یکون لاهل هذا الزمان هاد وقائد جدید یهدیهم ویقودهم؟ إنَّ الذین یقولون هذا قد غفلوا فی الحقیقة عن نقطة مهمة، وهی أنَّ حرمان عصرنا لم یکن لعدم جدارتهم، بل لأنَّ قافلة البشریة فی هذا العصر قد بلغت فی مسیرتها الفکریة وفی وعیها مرحلة تمکنها من إدامة مسیرتها باتباع الشریعة. ولنضرب هنا مثلًا: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۸۹ أولو العزم من الانبیاء الذین جاءوا بدین جدید وبکتاب من السماء، وهم خمسة (نوح و ابراهیم وموسی وعیسی ومحمد علیهم السلام). وقد ظهر هؤلاء کل فی فترة معینة من الزمان، وسعوا لهدایة البشر ووضعهم علی طریق التکامل، فاوصل کل منهم القافلة البشریة من مرحلة الی المرحلة التی تلیها وسلمها الی النّبی الذی یلیه من أولی العزم، الی أنْ بلغت القافلة فی مسیرتها الی الطریق النهائی، کما بلغت القدرة التی تمکنها من مواصلة مسیرتها وحدها نهایتها، مثلها مثل التلمیذ الذی یطوی مراحل الدراسة الخمس حتی یتخرج من الکلیة (وبالطبع لا یعنی هذا أنَّه انتهی من التعلم، بل یعنی أهلیته للاستمرار بمفرده دونما حاجة الی معلم أو مدرسة). وهذه المراحل هی: المرحلة الابتدائیة، المرحلة المتوسطة، المرحلة الاعدادیة، المرحلة الجامعیة، وأخیراً مرحلة الحصول علی الدّکتوراه. فاذا لم یواصل الدکتور الدراسة فی الجامعة، فلا یعنی هذا أنَّه لیس جدیراً بالدّراسة، بل یعنی أنَّ لدیه من المعلومات ما یمکنه من حل مشکلاته العلمیة عند الاستعانة بها، ومن الاستمرار فی مطالعاته ومواصلة تقدمه. ۲- لما کان المجتمع البشری دائم التّغیر، کیف یمکن أنْ تکون التشریعات الاسلامیة الثابتة قادرة علی مواجهة تلک التغیرات؟ فی الجواب نقول: فی الاسلام نوعان من التّشریعات: نوع هو أشبه ما یکون بصفات الانسان الثابتة، فهو أیضاً ثابت لا یتغیر، مثل لزوم الاعتقاد بالتوحید، وتطبیق العدالة، ومکافحة کل أنواع الظلم والتعسف والعدوان وأمثالها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۰ أمّا النوع الآخر من التشریعات فیتألف من مجموعة من القواعد الکلیة العامة التی تتخذ اشکالًا جدیدة بحسب تغیر مواضیعها بحیث أنَّها تسد الحاجة فی کل عصر وزمان. فمثلًا هنالک مبدأ عام فی الاسلام یقول: «أوفوابالعقود» لاشک أنْ تعاقب الازمان یخلق أنواعاً جدیدة من العقود الاجتماعیة والتجاریة والسیاسیة المفیدة التی یستطیع الانسان أنْ یعقدها مع أخذ المبدأ الاصلی بنظر الاعتبار. هنالک قاعدة کلیة اخری هی «قاعدة لاضرر» التی تعنی أنَّ کل حکم أو قانون یسبب الضرر للفرد أو المجتمع یجب أنْ یتحدد بحدود. لاحظ کیف أنَّ هذه القاعدة الاسلامیة العامة تمنع الاضرار بالآخرین وتحل المشکلات. إنَّ فی الاسلام الکثیر من أمثال هذه المبادیء الکلیة العامّة التی نتمکن من خلال تطبیقها حل أعقد المشکلات التی قد تبرز فی الحیاة الاجتماعیة. ۳- لا شک إنَّنا فی المسائل الاسلامیة بحاجة الی القائد وعند عدم وجود النبی وغیاب وصیه تتوقف قضیة القیادة، کما أنَّ اختتام النّبوة بنبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله لایکون معه إنتظار لنبیّ آخر، أفلا یعنی هذا خسارة للمجتمع الاسلامی؟ فی الجواب نقول: هذه الحالة أیضاً قد تمّ الاعداد لها من جانب الاسلام، فعن طریق «ولایة الفقیه» یمنح الفقیه الجامع للشرائط من علم وتقوی ورؤیة سیاسیة علی مستویات عالیة حق القیادة. کما أنَّ اسلوب معرفة مثل هذا القائد قد بیّنه الاسلام فی قوانینه. وعلیه فلیس هناک ما یدعوا الی القلق من هذه النّاحیة. وبناء علی ذلک فإنَّ مبدا «ولایة الفقیه» یعتبر إستمرار لخط الانبیاء دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۱ واوصیائهم علیهم السلام. و إنَّ قیادة الولی الفقیه الجامع للشرائط دلیل علی أنَّ المجتمع الاسلامی لم یترک بدون رعایة وهدایة. «۱» فکّر وأجب: ۱- ما المعنی الدّقیق لکلمة «خاتم»؟ ۲- کیف نستدل من آیات القرآن علی أن النّبی صلی الله علیه و آله خاتم الانبیاء؟ ۳- لماذا حُرِم الناس فی عصرنا هذا من ظهور الانبیاء بینهم؟ ۴- ما أنواع القوانین الاسلامیة؟ وکیف تسد حاجات کل زمان؟ ۵- هل یمکن للمجتمع الاسلامی أنَّ یبقی بدون قائد؟ کیف حلت مسألة القیادة الاسلامیة فی عصرنا؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۳

الفصل الرّابع معرفة الامامة

الدّرس ۱ متی بدأ البحث فی الامامة؟

اشارة

بعد رحلة نبی الاسلام إنقسم المسلمون الی فریقین: فریق قال: إنَّ النّبی صلی الله علیه و آله لم یعین خلیفة بعده، وأنَّه أوکل ذلک الی الامة کی تختار بنفسها قائداً لها. هذا الفریق هم «أهل السّنة». الفریق الآخر قال: إنَّ خلیفة الرسول صلی الله علیه و آله یجب أنْ یکون مثله معصوماً من الخطأ والاثم، عالماً، قادراً علی قیادة الامة قیادة معنویة ومادیة، والحفاظ علی مبادیء الاسلام الأصیلة و ادامتها. یقول هؤلاء أنَّ مثل هذا الخلیفة یجب أن یعیّنه اللَّه عن طریق رسوله، وأنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قد فعل ذلک، وعین علیاً علیه السلام خلیفة له. وهؤلاء هم «الامامیة» أو «الشّیعة». إنَّ هدفنا من هذه البحوث المختصرة هو أنْ نتابع هذه القضیة علی ضوء الادلة العقلیة والتاریخیة والآیات القرآنیة والسنة النبویة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۶ ولکن قبل الدخول فی الموضوع لابدّ من الاشارة الی بضع نقاط:

۱- هل البحث فی هذا الموضوع یثیر الخلاف؟

بعض الناس ما أنْ یطرق سمعهم الکلام حول الامامة حتی ینبرون فوراً قائلین إنَّ الظرف الیوم لا یسمح بذلک. فالیوم هو یوم وحدة المسلمین، و الکلام عن خلیفة الرسول الاکرم صلی الله علیه و آله سیکون سبباً للتفرقة و تشتت الکلمة، أو أنَّ لنا الیوم أعداء مشترکین یجب أنْ نوجه اهتمامنا الیهم: و هم الصهیونیة والاستعمار الغربی والشرقی. وعلیه یجب أنْ نتجنب المسائل الخلافیة التعصبیة. غیر أنَّ هذا الطّراز من التفکیر یعتبر خطأ محض، للاسباب التالیة: أوّلًا: إنَّ ما یسبب الخلاف والتشتت یدخل ضمن البحوث غیر المنطقیة المثیرة للاحقاد. أمّا البحث المنطقی الاستدلالی البعید عن التعصب و العناد و الخصام، والذی یجری فی جو من الود و الصداقة، فإنَّه فضلًا عن کونه لا یسبب التفرقة فإنَّه یقلل مسافة الانفصال ویقوی نقاط الالتقاء المشترکة. إنّنی فی سفراتی المتکررة لزیارة بیت اللَّه الحرام بمکة، و من خلال مناظراتی مع علماء أهل السنة، کنت أحس، کما کانوا هم أیضاً یحسون، بأنَّ هذه المناظرات فضلًا عن کونها لیس لها أی أثر سیء علی علاقاتنا، فانَّها أرست أسس التفاهم وحسن الظن، و التقارب و أزالت ماقد یکون فی بعض الصدور من ضغینة. المهم أنَّ هذه البحوث توضح الکثیر من نقاط الالتقاء فیما بیننا، ممّا یمکن لنا دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۷ أنْ نستند الیها فی مواجهة أعداءنا المشترکین. ینقسم أهل السّنة أنفسهم الی أربعة مذاهب: الحنفیة والحنابلة، والشافعیة، والمالکیة، ومع ذلک فان هذا الانقسام لم یتسبب فی تفرقتهم، وإذا ما اعتبروا فقه الشّیعة، علی الاقل مذهباً فقهیاً خامساً، فإنَّ الکثیر من العقد والتشتت تزول من الوجود، کما حدث فعلًا بعد أنْ خطا مفتی أهل السنة الکبیر شیخ الازهر الشیخ شلتوت، تلک الخطوة المهمّة باعلانه المذهب الشیعی مذهباً اسلامیاً رسمیاً، فکان بذلک عوناً کبیراً ومؤثراً فی عملیة التفاهم الاسلامی، وانعقدت بینه وبین المرحوم آیة اللَّه البروجردی، مرجع عالم التشیع الکبیر، أواصر الاخوة و الصداقة. ثانیاً: إنَّنا نعتقد أنَّ الاسلام قد تبلور فی المذهب الشیعی أکثر من أی مذهب آخر. وفی الوقت الذی یحترم مذهب الشیعة المذاهب الاسلامیة، الأخری فإنَّنا نعتقد أنَّ المذهب الشیعی أقدر علی طرح الاسلام الواقعی بجمیع أبعاده، وعلی حلّ القضایا المتعلقة بالحکومة الاسلامیة. فلماذا لا نعلّم أبناءنا هذا المذهب والمنطق؟ بل إنَّنا إنْ لم نفعل فقد ارتکبنا خیانة فی حقّهم! إنَّنا علی یقین تام بأنَّ النّبی صلی الله علیه و آله قد عیّن خلیفته من بعده، فما الذی یحول دون تتبع هذا الموضوع علی هدی الاستدلال والمنطق؟ ونحن ملزمون فی امثال هذه البحوث أنْ نحذر کی لا نجرح مشاعر الآخرین المذهبیة. ثالثاً: إنَّ أعداء الاسلام، و من أجل أن یوقعوا بین المسلمین ویفکوا وحدتهم لم یألوا جهداً فی تشویه سمعة مذهب الشیعة

فی نظر أهل السنة من دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۸ خلال اتهامهم بشتی التهم والافتراءات، کما أنَّهم لم یألوا جهداً فی إتهام أهل السنة و تشویه سمعتهم عند الشیعة کذلک، بحیث أنَّهم استطاعوا فی بعض البلدان أنْ یحققوا القطیعة بینهم. إنَّنا عندما نعرض موضوع «الامامة» بالاسلوب الذی سبق ذکره، نوضح النقاط التی یستند علیها الشیعة لتوثیق رأیهم، مع أدلة من الکتاب والسنة، یتبین تماماً أنَّ کل تلک الدعاوی کانت کاذبة، وأنَّ أعداءنا المشترکین هم الذین بثوا تلک السموم. و کمثال علی ذلک، لا أنسی إنَّنی فی إحدی زیاراتی لمکة المکرمة التقیت أحد کبار رجال الدین السعودیین وجرت بیننا مناظرات، فکان یقول أنَّه سمع أنَّ للشیعة قرآناً یختلف عن قرآنهم. فاستولی علی العجب، ولکنی قلت له: أخی، إنَّ التحقق من هذا الامر سهل للغایة. إنَّنی أدعوک شخصیاً أو من یمثلک أنْ تأتی معی، بعد انتهاء العمرة، الی ایران دون اخبار أحد. هناک ستجد فی کل شارع وزقاق مسجداً، وفی کل، مسجد ستجد عدداً من المصاحف الشریفة، کما أنَّ القرآن موجود فی بیوت جمیع المسلمین. وسوف نزور أی مسجد شئت، أو نطرق باب أی منزل أردت ونطلب منهم أنْ نری القرآن الذی یتلونه، وعندئذ یتبین أنْ کان هناک أی اختلاف، حتی فی کلمة واحدة أو فی حرف واحد بین ماعندنا وما عندکم من کتاب اللَّه، بل أنَّ الکثیر من نسخ المصحف الشریف المتداولة عندنا هی من طبع الحجاز أو مصر أو سائر البلاد الاسلامیة. لا شک إنَّ هذا الکلام الاخوی الصادق المنطقی تماما قد ازال من ذهن أحد دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۱۹۹ الرجالات المعروفین تلک السموم العجیبة. وعلیه، فإنَّ الحدیث فیما یتعلق بالامامة- بالاسلوب الذی ذکرناه- یقوی وحدة المسلمین ویساعد علی تسلیط الضوء علی الامور ویضیق من شقة التباعد و الخلاف.

۲- ما هی الامامة؟

«الامام» کما هو واضح من الکلمة، هو الذی یقتدی به فی الاسلام ویتقدم المسلمین ویقودهم. وفی عقائد الشیعة یطلق «الامام المعصوم» علی من یکون خلیفة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی کل شیء، سوی أنَّ النّبی هو مؤسس الاسلام، والامام حافظه وحامیه، والنبی ینزل علیه الوحی، والامام لایأتیه الوحی، بل یأخذ تعلیماته من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ویمتاز بعلم غزیر خارق للعادة. الامام المعصوم، عند الشیعة، لا یعنی رأس الحکومة الاسلامیة فحسب، بل هو القائد «المعنوی» و «المادی» و «الظاهری» و «الباطنی» وقائد کل جوانب المجتمع الاسلامی أیضاً. وعلیه تقع علی عاتقه مسؤولیة حمایة العقائد والاحکام الاسلامیة بدون أی خطأ أو انحراف، وهو عبد اختاره اللَّه من بین عبیده. إلّا أنَّ أهل السنة لا یفسرون الامامة هکذا، و إنَّما یروّن فی رئیس حکومة أی بلد اسلامی هو الامام. و بعبارة اخری أنَّهم یعتبرون الحکام فی کل عصر وزمان خلفاء رسول اللَّه وائمة المسلمین! ولسوف نثبت فی بحوثنا القادمة وجوب أنْ یکون فی کل عصر وزمان ممثل دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۰۰ إلهی نبیّ أو امام معصوم- علی هذه الارض، لکی یحرس هذا الدین الحق، ویهدی السائرین الی اللَّه. وإذا ما غاب عن الانظار لسبب من الاسباب، عهد الی آخرین بتمثیله فی تبلیغ الاحکام وتشکیل الحکومة. فکّر وأجب: ۱- ما منطق الذین یزعمون أنَّ الوقت لیس وقت الخوض فی بحث الامامة؟ ۲- ما هو عدد الاجوبة الاستدلالیة لاثبات ضرورة القیام بهذا البحث فی مواجهة منطق اولئک؟ ۳- کیف أوقع أعداء الاسلام الفرقة بین المسلمین؟ وکیف یمکن ردم الهوة بینهم؟ ۴- هل تتذکر أمثلة علی ماقام به الاعداء لتفریق المسلمین؟ ۵- ما معنی «الامامة» عند الشیعة وعند أهل السنة؟

الدّرس ۲ فلسفة وجود الامام

اشارة

إنَّ البحوث التی أثبتنا بها ضرورة بعثة الانبیاء تبین کذلک الی حد کبیر ضرورة وجود الامام بعد النبی، لأنَّ الموضوعین یشترکان فی

جانب مهم من المناهج، إلّاأنَّ موضوع الامامة يتطلب مزيداً من البحث:

۱- التكامل المعنوى الى جانب وجود القادة الالهيين

قبل كل شيء نتوجه الى الهدف من خلق الانسان، فهو أساس عالم الخليقة: إنَّ الانسان يطوى طريقاً طويلًا كثير المنعطفات والعثرات فى سيره نحو اللَّه، و نحو الكمال المطلق، و التكامل المعنوى بجميع أبعاده. و من البديهى أنَّه لا يستطيع أنْ يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم، ولا أنْ يطويه بغير معلم سماوى، لأنَّه طريق محفوف بالظلمات وبمخاطر الضلال. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۰۲ صحيح أنَّ اللَّه قد وهب الانسان العقل والحكمة، ومنحه وجداناً قوياً مثمراً، وأرسل إليه كتباً سماوية، ولكن هذا الانسان، مع كل هذه الوسائل التّكوينية والتّشريعية، قد يخطىء فى تمييز خط سيره، لذلك فإنَّ وجود دليل معصوم يأخذ بيده يقلل كثيراً من احتمالات الانحراف والضياع. فبناء على ذلك: «إنَّ وجود الامام يكمل الهدف من خلق الانسان». وهذا هو ما يطلق عليه فى كتب العقائد اسم «قاعدة اللطف»، ويقصدون بها أنَّ اللَّه الحكيم يمدّ الانسان بجميع الامور اللازمة لكى يصل الى هدف الخلق، ومن هنا فان بعثة الانبياء وتعيين الائمّة المعصومين، وإلّا فإنَّ ذلك يؤدى الى (نقض الغرض) فتأمل!

۲- الحفاظ على الشرائع السماوية

إنَّ الاديان الالهية عند أوّل نزولها على قلوب الانبياء تكون أشبه بقطرات المطر النقية الشفافة الصافية التى تمنح الحياة وتربى الرّوح. ولكنها عندما تدخل المحيط الملوث والادمغة الضعيفة غير النظيفة تتلوث بالتدريج، وتضاف اليها الخرافات والاوهام، بحيث أنَّها تفقد شفافيتها ولطافتها الاولى، وعندئذ لا يبقى لها شيء من جاذبيتها، و تفقد الكثير من تأثيرها التربوى، فلا هى تروى عطش العطاشى، ولا هى تنبت برعماً لفضيلة. و من هنا تتضح ضرورة وجود القائد المعصوم بصفته أنَّه هو الذى يحافظ على أصالة الدين، وخلوص المناهج الدينية، ويحول دون كل اعوجاج دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۰۳ وانحراف وفكر وافد ونظرة سقيمة غريبة، وكل الخرافات والاساطير، اذ لو بقى الدين بدون وجود مثل هذا القائد والحامى لفقد فى فترة قصيرة أصالته ونقاءه. ولهذا نجد الامام علياً عليه السلام يقول فى احدى خطبه: «اللّهم بلى، لاتخلو الارض من قائم للَّهبحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج اللَّه وبيِّناته». «۱» و فى الواقع إنَّ قلب الامام، من هذه الناحية، أشبه بالخزانة الكبيرة التى تحفظ فيها الوثائق والمستندات المهمة، لكى تبقى مصونة من أيدى اللصوص والعابثين والحوادث. وهذا وجه آخر من وجوه الحكمة من وجود الامام.

۳- قيادة الامَّة سياسياً واجتماعيا

لاشك أنَّ أى جماعة من الناس إذا لم يكن لها نظام اجتماعى يتزعّمه قائد قادر، لاتكون قادرة على الاستمرار فى حياتها. ولهذا نجد الاقوام و الأمم منذ أقدم العصور و حتى الآن قد اختاروا لانفسهم زعيماً وقائداً. وهذا القائد قد يكون صالحاً، ولكنه كثيراً ما لايكون. ولطالما استطاع كثير من طلاب الجاه والسلطة استغلال حاجة الناس الى المرشد والقائد لفرض أنفسهم بالقوّة و و الجبروت على الناس، فاستحوذوا على أزمة الامور. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ولكى يتمكن الانسان من الوصول الى هدفه المعنوى، يجب عليه أنْ لا ينفرد فى مسيرته، بل عليه أنْ ينضم الى المجتمع دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۰۴ فى مسيرة عظمى، لأنَّ طاقات الفرد الفكرية والجسمية والمادية والمعنوية ليست شيئاً يذكر بازاء طاقات المجتمع الجبارة. ولكن المجتمع المطلوب هو الذى يسوده نظام سليم، و تتضح فيه مواهب الانسان، ويقف بوجه الانحرافات، ويحافظ فيه على حقوق جميع الافراد، ويضع الخطط والمناهج للوصول الى اهدافه الكبرى، ويعبىء الدافع المحرك فى المجتمع ضمن اطار من الحرية يشمل المجتمع كله. ولما كان الانسان العادى المعرض للخطأ غير قادر على حمل مثل هذه الرسالة العظيمة، بدليل ما نراه بأُم أعيننا من انحراف قادة العالم السياسيين عن جادة

الصواب، کان لابـدّ أنْ یختار اللّه قائداً معصوما یضـطلع بمهمة الاشـراف علی تحقیق هذه الرسالة، بالاعتماد علی طاقات البشـر الکامنة وأفکار العلماء، فی الوقت الـذی یقف بوجه الانحرافات بحزم. وهذا وجه آخر من أوجه الغرض من وجود الامام المعصوم، وفرع آخر من فروع «قاعـدة اللطف». ونکرر هنـا قولنـا أنَّه عنـد غیـاب الامام المعصوم بعلـة من العلل وفی ظرف اسـتثنائی، فان ما ینبغی أنْ یفعله الناس واضح أیضاً، ولسوف نتناول هذا- إنْ شاء اللّه- فی البحوث الخاصّة بالحکومة الاسلامیة بالشرح والتفصیل.

۴- ضرورة اتمام الحجة

إنَّ وجود الامام لا یقتصـر علی إنارة القلوب المسـتعدة للهدایـة والسـیر فی طریق التکامل، بل یعتبر إتماماً للحجـة علی الذین ینحرفون متعمـدین عن دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۲۰۵ الطریق السوی، وذلـک کی لاـ یکون عقابهم یوم القیامـة دون سـبب ولکی لا یعترض معترض منهم، أنَّهم لو أخذ بأیدیهم مرشد الهی لیقودهم الی طریق الرشاد، لما ساروا فی طریق الانحراف. أی إنَّ وجود الامام یقطع الطریق علی کل عذر وحجَّة بوساطة بیان الادلة الکافیة، والتوعیة اللازمة لغیر الواعین، وتطمین الواعین وتقویة إرادتهم.

۵- الامام واسطة الفیض الالهی

کثیر من العلماء، اسـتناداً الی الاحادیث الاسـلامیة، یشبهون وجود النبی والامام فی المجتمع الانسانی، أو فی کل عالم الوجود، بالقلب بالنسـبة لجسم الانسـان. فـالقلب یرسـل الـدّم الی جمیع العروق، ویغـذی جمیع الخلایـا فی الجسم. ولما کان الامام المعصوم، باعتباره انساناً کاملًا وطلیعـة قافلـة الانسانیـة، وسـبب نزول الفیوضات الالهیة التی ینهل منها کل فرد علی قدر ارتباطه بالنّبی أو الامام، فلابدّ أن نقول إنَّه مثلما کان القلب ضـروریاً لحیاة الانسان، کـذلک وجود واسـطة نزول الفیض الالهی ضـروریاً فی جسد عالم البشـریة، فتأمل! وینبغی ألّا یغرب عن البال أنَّ النّبی والامام لایملکان شـیئاً من نفسـیهما لیمنحاه للآخرین، فکل ما عندهما هو من عند اللّه، ولکن مثلما کـان القلب واسـطة ایصـال الفیض الالـهی لسائر انحاء الجسم، کان النّبی أو الامام واسـطة ایصال الفیوضات الالهیـة لسائر أبناء البشـر. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۰۶ فکّر وأجب: ۱- مـا دور الامام فی تکامل الانسان تکاملًا معنویاً؟ ۲- ما دور الامام فی الحفاظ علی الشـریعة الاسلامیة؟ ۳- مـا دور الامـام فی مسألـة قیادة الحکومـة ونظام المجتمع؟ ۴- مـا معنی اتمـام الحجّـة؟ وما دور الامام فی ذلک؟ ۵- ما هی واسطة الفیض؟ وماهو أفضل تشبیه للنبی والامام بهذا الشأن؟

الدّرس ۳ شروط الامام الخاصّة وصفاته

اشارة

قبل کل شـیء ینبغی أنْ نلتفت الی نقطـة مهمـة فی هذا البحث: یسـتفاد من القرآن المجید بوضوح أنَّ مقام «الامامة» أرفع مقام یمکن أنْ یصـل إلیه انسان، أرفع حتی من مقام «النّبوة» و «الرّسالـة» فنحن فی حکایـة النّبی ابراهیم علیه السـلام، محطم الأصـنام، نقرأ: ی وإذِ ابْتَلی إبْرَاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمـاتٍ فَـأتَمَّهُنَّ قَـالَ إنّی جاعِلُـکَ لِلنَّاسِ إماماً قَالَ وَ مِنْ ذِرِّیَّتِی قَالَ لا یَنَالُ عَهْـدِی الظَّالِمِینَ ی «۱». أی أنَّ إبراهیم علیه السـلام، بعـد أنْ طوی مرحلـة النّبوة والرسالـة واجتاز بنجاح مختلف ما امتحنه به اللّه تعالی ارتقی الی هذه المرحلة الرفیعة، مرحلة مقام الامامة الظاهریة والباطنیة والمادیة والمعنویة فی قیادة الناس. دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۲۰۸ نبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله کان، بالاضافـة الی مقام النّبوة والرسالـة، فی مقام امامـة الخلق وقیادتهم. وهناک عـدد آخر من الانبیاء بلغوا هـذه المرحلـة الرفیعة أیضـاً، هـذا مـن جهـة. ومن جهـة اخری إنَّنـا نعلم إنَّ الشـروط والصـفات اللازمـة لتحمـل مسؤولیـة منصب من المنـاصب تتنـاسب مع الواجبـات والمسؤولیـات الـتی ینبغی علی المرء تنفیـذها وتحملهـا، وکلمـا کـان المنصب أرفع ومسؤولیـاته أصـعب، کـانت الشـروط

والصفات اللازم توفرها فی المنتخب لذلک المقام أهم وأثقل. فمثلًا یشترط الاسلام فیمن یتسنم منصب القضاء، وحتی الشاهد وإمام الجماعة، أنْ یکون عادلًا، فإذا کان الشّاهد، أو من یؤم صلاة الجماعة یجب أن تتوفر فیه العدالة، فما بالک بالشّروط اللازمة لبلوغ مقام الامامة الخطیر الرفیع! إنَّ الشروط الضروریة التی ینبغی توفّرها فی الامام هی:

۱- العصمة من الخطأ والإثم

الامام، کالنّبی، یجب أنْ یکون معصوماً، أی أنْ یکون مصوناً من کل «خطأ» و «إثم»، وإلّا لم یسعه أنْ یکون قائداً ونموذجاً وقدوة وأسوة للناس یعتمدونه ویتبعونه. لابدّ للامام من أنْ یستحوذ علی قلوب الناس، فیأتمرون بأمره دون اعتراض. فمن کان ملوثاً بالإثم لایمکن أبداً أنْ یبلغ هذا المبلغ فی القلوب ولایکون موضع ثقة الناس واطمئنانهم. ومن کان فی أعماله الیومیة عرضة للأخطاء والهفوات، کیف یمکن أنْ یوثق دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۰۹ به فی إدارة أعمال المجتمع ویطمأن الی آرائه وتنفیذها بدون أی اعتراض؟ إذن، لاشک فی أنَّ النّبی یجب أن یکون معصوماً، وهذا الشرط لازم فی الإمام أیضاً، کما ذکرنا. هذه المقولة یمکن اثباتها من طریق آخر أیضاً، وهی طریق «قاعدة اللطف» نفسها التی یستند الیها لزوم وجود النّبی والإمام، وذلک لأنَّ الهدف من وجود النبی والإمام لایتحقق بدون هذه العصمة فیهما، وما ذکرناه فی الدرس السابق عن الحکمة فی وجودهما یظل ناقصاً.

۲- العلم الغزیر

الامام، کالنّبی، هو الملجأ و الملاذ العلمی للناس، فلابدّ أنْ یکون عارفاً بجمیع اصول الدین وفروعه، وبظاهر القرآن وباطنه، وبسنة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وبکل ماله علاقة بالاسلام معرفة تامة، وذلک لأنَّه حافظ الشریعة وحامیها، کماهو قائد الناس ومرشدهم. من ذلک نعرف أنَّ من یرتبک عند مواجهة مشکلة معقدة، أو الذین یرجعون الی الآخرین یطلبون منهم الحلول، لأنَّ ما عندهم من علم یقصر عن الاجابة علی اسئلة المجتمع المسلم، لیس لهم أنْ یتحملوا مسؤولیة إمامة الامّة وقیادتها. الخلاصة هی أنَّ الامام یجب أنْ یکون أعلم الناس وأوعاهم لدین اللَّه، وأنْ یملأ الفراغ الذی یترکه النّبی بأسرع مایمکن لکی یستمر الاسلام الصحیح الخالی من کل انحراف فی مسیرته.

۳- الشّجاعة

الامام یجب أنْ یکون أشجع أفراد المجتمع، إذ أنَّ القیادة بغیر شجاعة غیر ممکنة، الشّجاعة عند مواجهة الحوادث الصعبة المرّة، الشجاعة عند الوقوف بوجه الاقویاء الغلاظ الظالمین، الشجاعة فی صد الاعداء الدّاخلیین والخارجیین.

۴- الزّهد والتّحرر

من المعلوم أنَّ الذین یمیلون الی مباهج الدنیا وزخرفها سرعان ماینخدعون ویسهل اغراؤهم بالانحراف عن طریق الحق والعدالة بواسطة الترغیب أحیاناً والترهیب اخری وشخص هذا شأنه یکون فی الواقع «أسیراً» للدنیا، بینما الإمام یجب أنْ یکون متحرراً من أسر أهواء النفس ومنطلقاً من قیود الثروة والجاه، لکیلا یستطیع أحد إغراءه، ویؤثر فیه ویحمله علی الاستسلام والمساومة.

۵- الجاذبیة الاخلاقیة

یقول القرآن الکریم فی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ی فبما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم وَلَو کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَولِکَی. «۱» إنَّ النّبی الذی هو إمام وقائد معاً یجب أنْ یملک ذلک الخلق الرفیع الذی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۱۱

یجذب إلیه الناس کما یجذب المغناطیس الحدید. و لاشک أنَّ کل خشونة وسوء خلق ممّا یثیر النفور والتباعد فی الناس ویعتبر من العیوب الکبیرة فی النبی أو الإمام، لذلک فان الانبیاء والائمة منزهون عن هذا العیب، وإلّا کان الوجود عبثاً لاطائل تحته. هذه هی أهم الشروط التی ذکر ها کبار العلماء للإمام. بدیهی أنَّ هناک صفات اخری غیر هذه الصفات الخمس یجب توفرها أیضاً فی الإمام، إلّاأنَّ هذه أهمها. فکّر وأجب: ۱- ما الدّلیل علی أنَّ الإمامة، أرفع مقام یمکن أنْ یبلغه انسان؟ ۲- هل کان نبینا وسائر الانبیاء أولی العزم أئمّة أیضاً؟ ۳- إذا لم یکن الامام معصوماً، فما المشکلات التی تحدث جراء ذلک؟ ۴- لماذا یجب أنْ یکون الامام ذا علم غزیر؟ ۵- لماذا یجب أنْ یکون الامام أشجع الناس وأزهدهم وأشدهم تحرراً وأحسنهم اخلاقاً وجاذبیة؟

الدّرس ۴ من المسؤول عن تعیین الإمام؟

اشارة

یعتقد بعض المسلمین من أهل السنة أنَّ النّبی الاکرم صلی الله علیه و آله قد رحل عن هذه الدنیا دون أن ینصب خلیفة من بعده، ویعتقدون أن هذه المهمة تقع علی عاتق المسلمین أنفسهم، فهم الذین علیهم اختیار قائدهم بطریق «إجماع المسلمین» باعتباره أحد الأدلة الشرعیة. ویضیفون الی ذلک قولهم إنَّ ذلک قد حصل فعلًا واختیر الخلیفة الأول بإجماع الأمة. ثمّ اختار الخلیفة الاوّل الخلیفة الثّانی. وعیّن الخلیفة الثانی شوری مؤلفة من ستة اشخاص لیختاروا أحدهم. وکانت هذه الشوری تتألف من علی علیه السلام، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبیر، وسعد بن أبی وقاص. و کان الخلیفة الثانی قد اشترط أنَّه إذا انقسمت الشوری کل ثلاثة فی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۱۴ طرف، فإنَّ الطرف الذی فیهم عبدالرحمن بن عوف (صهر عثمان) هو الذی یختار الخلیفة. وهذا ماحصل، إذ الاکثریة المؤلفة من سعد بی أبی وقاص وعبدالرحمن بن عوف وطلحة اختاروا عثمان. وفی أواخر عهد عثمان ثار الناس لاسباب مختلفة ضده، وکان أنْ قتل قبل أنْ یستطیع تعیین أحد أو شوری. وعلی أثر ذلک أقبل الناس برمتهم نحو الامام علی علیه السلام، وبایعوه خلیفة لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، باستثناء معاویة الذی کان عامل عثمان علی الشام، لأنَّه کان واثقاً أن علیاً علیه السلام لن یبقیه فی منصبه. فرفع رایة المعارضة، فکان مصدر حوادث مشؤومة ودمویة فی التاریخ أدتْ الی إراقة دماء الکثیر من الابریاء. و هنا تبرز أسئلة کثیرة لابدّ منها لالقاء الضوء علی البحوث العلمیة والتاریخیة، سنورد بعضا منها:

۱- هل بامکان الأمة أنْ تختار خلیفة لرسول اللَّه؟

لیس من الصعب الجواب علی هذا السّؤال، فنحن إذا اعتبرنا الإمامة بمعنی الحکم الظاهری علی جماعة المسلمین، فإنَّ اختیار الحاکم بالرجوع الی آراء الناس أمر متداول. ولکن إذا کانت الإمامة بالمعنی الذی شرحناه من قبل والذی استقیناه من القرآن الکریم، فلاشک فی أنَّه لیس لأحد الحق فی تعیین خلیفة النّبی سوی اللَّه ورسوله (وبأمر من اللَّه) إذ أن شرط الإمامة بحسب هذا التفسیر هو العلم الوافر بجمیع اصول الدین وفروعه، ذلک العلم الذی ینبع من مصدر سماوی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۱۵ ویستند الی علم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، لکی یستطیع الحفاظ علی الشریعة الاسلامیة. الشّرط الآخر هو عصمة الإمام، أی أنْ یکون مصوناً صیانة إلهیة عن کل خطأ وإثم لکی یستطیع أنْ یتحمل مسؤولیة مقام الإمامة وقیادة الأمة قیادة معنویة ومادیة وظاهریة وباطنیة، کما یجب أنْ یکون متمتعا بالزّهد و الحریة و التقوی و الشجاعة، ممّا هو لازم لمن یتصدی للاضطلاع بمهمات هذا المنصب المهم. إنَّ تمییز هذه الصفات فی شخص مالیست مستطاعة إلّابواسطة اللَّه ورسوله، فهو الذی یعلم فی من وضع صفة العصمة، وهو الذی یعلم فی من یتوفر حدّ النصاب من العلم والزهد والتحرر والشجاعة والجرأة اللازمة لمقام الإمامة. أنَّ الذین عهدوا باختیار الإمام والخلیفة الی الناس قد غیروا فی الحقیقة المفهوم القرآنی للامامة، وقصروا هذا المفهوم علی الحکم العادی وادارة شؤون الناس الدنیویة، وإلّا فان

شروط الإمامة بمعناها الجامع الكامل لا تعرف إلّا عن طريق اللّه تعالى لأنّه هو العالم بهذه الصفات. إن هذه القضية أشبه بانتخاب النّبى، فالنّبى لايمكن أنْ ينتخبه الناس بالتصويت، بل إنَّ اللّه تعالى هوالذى يختاره، ويتعرف عليه الناس عن طريق معجزاته، لأنَّ الصفات اللازم توفرها فى النّبى لايعرفها إلّااللّه عزّوجلّ.

۲- ألم يعيّن النّبى أحداً لخلافته؟

لاشك فى أنَّ الدين الاسلامى دين «عالمى» و «خالد» ولا يقتصر على زمان ولامكان معينين، كما صرح القرآن الكريم بذلك. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۱۶ ولا شك أيضاً فى أنَّ الدين الاسلامى لم يكن قد تجاوز شبه الجزيرة العربية عند وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله. ومن جهة اخرى نجد أنَّ النّبى أمضى ثلاث عشرة سنة من عمره الشريف فى مكة يحارب الشرك وعبادة الاصنام، والسنوات العشر التالية التى بدأت بالهجرة واستغرقت فترة إزدهار الاسلام، أمضاها رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى الغزوات والحروب التى فرضها على المسلمين أعداؤهم. وعلى الرغم من أنَّ الرسول لم يترك لحظة من عمره الشريف دون أنْ يستغلها لنشر الدعوة والتعاليم الاسلامية، والسعى لتعريف الاسلام الفتى بجميع ابعاده. ولكن الذى لاشك فيه أن تحليل كثير من المسائل الاسلامية كان يتطلب زماناً أطول، فكان لابدّ لشخص مثل النّبى صلى الله عليه و آله أنْ يضطلع بهذه المهمة بعده. وفضلًا عن ذلك، فإنَّ التنبؤ بمستقبل الأمة، واعداد المقدّمات للاستمرار فى إدامة مدرسة الاسلام، كان من أهم الأمور التى لابدَّ أنَّ يفكر فيها كل قائد. ولا يمكن أبداً أنْ يسمح لهذه المسألة المهمّة أنْ يلفها النسيان. وإذا تجاوزنا كل ذلك، نلاحظ أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله احياناً يصدر تعليمات خاصة فى كثير من الامور البسيطة العادية فى الحياة اليومية، فكيف يمكن أنْ يهمل قضية مهمة كقضية الخلافة والزعامة والإمامة ولا يضع لها منهاجاً خاصاً؟ من خلال ما تقدم نستدل على أنَّ النبى الكريم صلى الله عليه و آله لايمكن أنْ يهمل تعيين الخليفة من بعده. ولسوف نذكر إنْ شاء اللّه روايات إسلاميه مؤكدة تلقى مزيداً دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۱۷ من الضوء على هذا الموضوع، وتثبت أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لم يغفل طوال حياته عن هذه المسألة المصيرية، على الرغم من المساعى السياسية التى جرت بعد الرسول التى حاولت ايهام الناس أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لم يعين خليفة من بعده. هل يصدق أحد أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله الذى لم يترك المدينة لبضعة أيّام (عند ذهابه الى غزوة تبوك) إلّابعد أنْ عيّن من يقوم مقامه فيها، لايعين أحداً ليخلفه بعد مغادرة الدنيا نهائياً، بل يترك الامة نهب الاختلافات والاضطرابات والحيرة، دون أنْ يضمن للاسلام استمراريته على يد هاد ومرشد يعتمد عليه؟ لايشك أحد أنَّ عدم تعيين خليفة ينطوى على أخطار كبيرة على الاسلام اليافع، حيث أنَّ العقل والمنطق يحكمان بأنَّ أمراً كهذا يستحيل صدوره من نبىّ الاسلام. إنَّ الذين يقولون أنه عهد بذلك الى الأمة، عليهم أنْ يبينوا أدلتهم ويثبتوا أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد صرح بذلك علانية، ولكن ليس ثمّة دليل من هذا القبيل.

۳- الاجماع والشورى

لنفرض أنَّ رسول الاسلام غض النظر عن هذا الأمر الحيوى، وأنَّ المطلوب من المسلمين أنفسهم أنْ يختاروا خليفة رسول اللّه عن طريق الاجماع. ولكننا نعلم أنَّ «الاجماع» يعنىّ اتفاق المسلمين، ونعلم أيضاً أنَّ اجماعاً كهذا لم يحصل عند انتخاب الخليفة الاول، اللّهم إلّاما حصل عند اجتماع عدد من الصحابة الذين كانوا فى المدينة، حيث أتخذوا قرارهم، مع أنَّ سائر المسلمين فى دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۲۱۸ سائر بلاد الاسلام لم يشاركوا مطلقاً فى هذا الاجتماع ولا فى الإدلاء بآرائهم، بل أنَّ فى المدينة نفسها لم يحضر كثيرون، كالامام على عليه السلام وبنى هاشم، ذلك الاجتماع، وعليه فإنَّ إجماعاً كهذا لايمكن قبوله. ثمّ إذا كان هذا الاسلوب هو الاسلوب الصحيح الذى يجب اتباعه، فلماذا لم يتبعه الخليفة الاول فى انتخاب خليفته؟ لماذا عين بنفسه خليفته؟ و إذا كان يجوز للفرد أنْ يعيّن خليفة، فقد كان النبى صلى الله عليه و آله. اولى بذلك من أى فرد آخر، واذا كانت البيعة العامة التى تلى

الانتخاب تحل المشکلة، فان ذلک وارد أیضاً بالنسبة للنبی، و من باب أولی. وفضلًا عن ذلک تبرز المشکلة الثّالثة بالنّسبة للخلیفة الثالث، وهی لماذا خالف الخلیفة الثانی الاسلوب الذی اتبعه الخلیفة الاول فی انتخاب الخلیفة الثانی نفسه، وکسر السنّة التی اتت به الی الخلافة، أی أنَّه لم یلتزم الاجماع ولا التعیین الفردی، بل جاء بمجلس الشوری لیقوم بذلک؟ إذا کانت «الشوری» صحیحة، فلماذا تقتصر علی أشخاص ستة یعینهم هو بنفسه، و أنْ یکتفی برأی ثلاثة من هؤلاء الستة؟ هذه أسئلة لابدّ أنْ تخطر ببال کل باحث ومحقق یتعامل مع التاریخ الاسلامی، وبقاؤها دون جواب یدلّ علی أنَّ تلک الاسالیب لم تکن هی الطریق الأمثل لنصب الامام.

۴- الامام علی علیه السلام ألیق الجمیع

لنفرض أنَّ نبیّ الاسلام صلی الله علیه و آله لم یعین أحداً یخلفه من بعده، ولنفرض أنَ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۱۹ اختیار الخلیفة کان علی عاتق الأمة، فهل یجوز عند الانتخاب أنْ نتجاوز الأعلم والأتقی و الأکثر فضلًا من الآخرین و من جمیع الوجوه، لنبحث عن شخص أقل شأناً منه؟ لقد صرح کثیر من علماء المسلمین، بما فیهم علماء أهل السنة، بأنَّ علیاً کان أعلم الناس بالدین الاسلامی، کما أنَّ آثاره الباقیة منه تؤکد هذا القول. یقول التاریخ أنَّه کان ملجأ الامَّة فی کل مشکلة علمیة، وأنَّ الخلفاء کانوا یرجعون الیه إذا ما واجهتهم معضلة دینیة معقدة. وکان فی الشجاعة والجرأه والتقوی والزهد والصفات البارزة الاخری أسمی منزلة من غیره. وعلیه، إذا فرضنا أنَّ انتخاب الخلیفة کان موکولًا الی الناس أنفسهم، فإنَّ علیاً علیه السلام کان الیق الموجودین وأجدرهم بالخلافة (هنالک بالطبع الکثیر من الادلة والاسانید الاخری بهذا الشأن ممّا لامجال لذکرها فی هذا الموجز). فکّر وأجب: ۱- لماذا لم یعط الحق للناس أنْ یختاروا الامام وخلیفة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ ۲- هل یؤید العقل والمنطق أنَّ النّبی الکریم صلی الله علیه و آله قد عیّن خلیفة من بعده، أم لا؟ ۳- کیف تمّ اختیار الخلفاء الثلاثة الأول؟ ۴- هل کانت اسالیب انتخابهم مطابقة للموازین العلمیة الاسلامیة؟ ۵- کیف کان علی علیه السلام أجدر من الجمیع للخلافة؟

الدّرس ۵ القرآن والامامة

اشارة

القرآن هذا الکتاب السّماوی، خیر مرشد وهاد فی کل أمر، وفی الإمامة أیضاً، فهو یبحثها من مختلف الجوانب:

۱- القرآن یری أن الإمامة اختیاراً الهیا

سبق أنْ قرأنا حکایة النبی ابراهیم علیه السلام محطّم الاصنام فی البحوث السابقة وعرفنا أنَّ القرآن الکریم یری أنَّ ابراهیم علیه السلام لم یحز مرتبة الامامة الّا بعد نیله مرتبة النّبوة والرّسالة وأداء امتحانات کبری، ففی الآیة ۱۲۴ من سورة البقرة یقول: ی وإذِ ابْتَلی إبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأتَمَّهُنَّ قَالَ إنّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إماماًی. هنالک قرائن قرآنیة وتاریخیة مختلفة تؤکد أنَّه نال مرتبة الإمامة بعد أنْ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۲ حارب عبدة الاصنام فی بابل، وبعد هجرته الی الشام، وبنائه الکعبة، وأخذ إبنه اسماعیل لیذبحه قرباناً للَّه. فاذا کانت النّبوة والرسالة من جانب اللَّه، فمن الأولی أنْ یکون تعیین مقام الامامة- الذی یعتبر أعلی مراحل التکامل فی قیادة الامة- من جانب اللَّه أیضاً فهو لیس من الأمور التی یمکن أنْ یوکل اختیارها الی الناس. ولذلک فإنَّ اللَّه یقول مخاطباً ابراهیم علیه السلام: ی إنّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إماماًی. کذلک یقول القرآن فی الآیة ۷۳ من سورة الانبیاء وهو یتحدث عن جمع من الانبیاء العظام: ابراهیم ولوط واسحاق ویعقوب علیهم السلام: ی وَجَعَلْناهُم أئِمَّةً یَهْدُونَ بِأمْرِناای. وفی القرآن آیات اخری شبیهة بهذه تدلّ کلها علی أنَّ هذا المنصب الهی وأنَّ اللَّه هو الذی یعین من یشاء لهذا المقام. کما إنَّنا فی الآیة نفسها التی ینال فیها ابراهیم مقام الإمامة، نقرأ أنَّ

ابراهیم علیه السلام طلب هذا المنصب لذریته، ولکن جواب اللّه کان ی لا یَنَالَ عَهْدِی الظّالِمینَ‌ی، أی أنْ طلبک قد اجیب إلّافیما یخص الظالمین من ذریّتک، فانّهم لن یصلوا الی هذا المقام الرفیع. فاذا أخذنا بنظر الاعتبار أن مفردة «ظالم» فی اللغة عموماً وفی لغة القرآن تشمل مساحة واسعة من المعانی، بما فیها الذنوب کالشرک الظاهر والخفی وکل ظلم للنفس وللآخرین، واذا أخذنا أیضاً بنظر الاعتبار أن معرفة هذه الحالات دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۳ معرفة تامّة لا تتأتی لاحد سوی اللّه، لأنّه هو وحده العالم ببواطن الناس ونیاتهم، یتبین لنا جلیّاً أنْ تعیین الإمام لمقام الإمامة لا یکون إلّابأمر من اللّه.

۲- التّبلیغ

نقرأ فی الایة ۶۷ من سورة المائدة مایلی: ی یا أیُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَیکَ مِنْ رَبِّکَ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ إنَّ اللّهَ لایَهْدِی القَومَ الکَافِرِینَ‌ی. تدلّ لهجة هذه الآیة علی أنَّ الکلام یدور حول مهمة خطیرة موضوعة علی عاتق رسول اللّه صلی الله علیه و آله، وأنها مهمّة تثیر القلق، وقد تواجه معارضة بعض الناس، ولذلک تطمئن الآیة خاطر الرسول بقولها «واللّه یعصمک من الناس» مع التوکید علی ضرورة أداء المهمّة. و لاشک أنَّ هذه المسألة المهمة لم تکن تتعلق بقضایا التوحید والشرک ومحاربة الاعداء من الیهود والمنافقین وغیر ذلک، لأنَّ هذه المسائل کانت کلها قد انجزت قبل نزول هذه الآیة من سورة المائدة. ثم إنَّ ابلاغ أحکام الاسلام للناس لم یکن یوماً مصحوباً بمثل هذا القلق والتوجس، بینما یتبین من الآیة أنَّ المهمّة کانت علی قدر من الأهمیة بحیث أنَّها لاتقل وزنا عن أداء الرسالة برمتها، بحیث لو أنَّه لم یؤد تلک المهمة فکأنَّه لم یؤد الرسالة نفسها. فهل هناک شیء ذا أهمیة غیر مسألة تعیین خلیفة رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم؟ خاصة وأنَّ الآیة قد نزلت فی أواخر عمر النّبی صلی الله علیه و آله، أی فی الوقت دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۴ المناسب لتعیین من یخلف النّبی من بعده، للاطمئنان علی استمرار النّبوة والرسالة. ثم أنَّ هناک روایات کثیرة وردت عن فریق کبیر من أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله، منهم «زید بن أرقم» و «أبوسعید الخدری» و «ابن عباس» و «جابر بن عبداللّه الانصاری» و «أبوهریرة» و «حذیفة» و «ابن مسعود»، وبعض هذه الروایات قد وصل الینا عن احد عشر طریقاً، نقلها کثیر من علماء أهل السنة من المفسرین والمحدثین والمؤرخین، وکلها تقول أنَّ هذه الآیة نزلت بحق الامام علی علیه السلام یوم الغدیر. «۱» وسوف نشرح حکایة «الغدیر» إنْ شاء اللّه فی بحث الروایات والسنة، ونکتفی بالقول هنا بأنَّ هذه الآیة تکشف أن اللّه تعالی أمر نبیّه صلی الله علیه و آله اثناء عودته من حجّة الوداع، أی آخر حجّة له فی عمره، أنْ یعلن عن تنصیب علیه السلام خلیفة له من بعده بصورة رسمیة وعلی ملأ من المسلمین.

۳- آیة إطاعة اولی الأمر

فی الآیة ۵۹ من سورة النساء نقرأ: ی ی ا أیّها الّذینَ آمَنُوا أطِیعُوا اللّهَ واطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الأمْرِ مِنْکُم‌ی. هنا نلاحظ إنَّ إطاعة أولی الأمر قد جاءت الی جانب إطاعة اللّه ورسوله بدون أی قید أو شرط. فهل المقصود من أولی الأمر هم الحکام فی کل عصر دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۵ وفی کل مجتمع؟ و هل علی المسلمین فی هذا العصر مثلًا وفی مختلف البلدان أنَّ یطیعوا حکّامهم بدون قید ولاشرط؟ (کما یقول بعض مفسری أهل السنة.). إنَّ هذا التفسیر لا ینسجم مع أی منطق، إذ أنَّ أکثر الحکّام فی مختلف العصور کانوا حکاماً منحرفین ملوثین بالاثم ویتبعون الظلم والظالمین. فهل المقصود اذن إطاعة الحکام علی شرط أنْ لایکون حکمهم مخالفاً لاحکام الاسلام؟ هذا أیضاً لا ینسجم مع اطلاق الآیة. فهل المقصود هم صحابة الرسول صلی الله علیه و آله؟ هذا المفهوم أیضاً لایتلاءم مع المفهوم العام الذی تنطوی علیه الآیة والشامل لمختلف العصور. بناء علی ذلک یتبین لنا بوضوح ان المقصود هوالقائد المعصوم الموجود فی کل عصر وزمان، فهو الذی تجب اطاعته بدون قید ولاشرط، وأمره کأمر اللّه ورسوله، واجب التنفیذ. إنَّ الاحادیث الکثیرة الواصلة الینا من مصادر اسلامیة متعددة بهذا الشأن والتی تفسر «أولی الأمر» بالامام علی علیه السلام

والأئمّة المعصومین علیهم السلام، دلیل آخر یؤید هذا الادعاء. «۱»

۴- آیة الولایة

نقرأ فی الآیة ۵۵ من سورة المائدة: ی إنّما وَلِیُّکُم اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذینَ آمَنُوا الّذینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَیُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَهُم رَاکِعُونَی. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۶ باستعمال «إنَّما» الدالة علی الحصر، یحصر القرآن ولایة المسلمین ورعایتهم بثلاثة: اللَّه، والرسول، والذین آمنوا ویعطون الزکاة اثناء رکوعهم. لاشک أوّلًا أنَّ «الولایة» هنا لا تعنی المحبّة بین المسلمین، لإنَّ تبادل المحبّة بین عامة المسلمین لا یستوجب هذه القیود والشروط، فالمسلمون اخوة یحب بعضهم بعضاً، وإنْ لم یدفعوا زکاة اثناء الرّکوع. وبناء علی ذلک، فالولایة هنا تعنی القیادة والإمامة المادیة والمعنویة، خاصّة أنَّها جاءت فی مصاف «ولایة اللَّه» و «ولایة الرسول». کما أنَّه من الواضح أیضاً أنَّ هذه الآیة بالأوصاف التی وردت فیها تشیر الی شخص معین بذاته، وهو الذی کان راکعاً عندما أعطی الزکاة، وإلّا فلیس هناک مایدعو الانسان الی أنْ یعطی زکاته عندما یصلی وعند الرکوع من صلاته. وهذا فی الواقع علامة، ولیس صفه عامة. مجموع هذه القرائن یدل علی أنَّ هذه الآیة اشارة عمیقة المعنی الی حکایة الامام علی علیه السلام وهی أنَّه کان راکعاً فی صلاته فسمع فقیراً یطلب الصدقة من المصلین، إلّاأنَّ أحداً لم یسعفه بشیء، فمد یده الیمنی أثناء رکوعه الی ذلک الفقیر مشیراً الیه أنْ یأخذ خاتماً کان فی إصبعه، فاخذه الفقیر وانصرف، وکان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قد لحظ ما جری بطرف عینه. وعند انتهاء الصلاة رفع راسه الی السماء وقال: «اللّهم إنَّ أخی موسی سألک فقال: ی ربّ اشرح لی صدری ویسرلی أمری واحلل عقدة من لسانی یفقهوا قولی واجعل لی وزیرا من أهلی هارون أخی اشدد به دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۷ ازری وأشرکه فی أمری فانزلت علیه قرآناً ناطقاً، ی سنشد عضدک بأخیک ونجعل لکما سلطانا فلا یصلون الیکمای. اللّهم وأنا محمّد نبیک وصفیک اللّهم فاشرح لی صدری ویسرلی أمری واجعل لی وزیراً من أهلی علیاً أشدد به ظهری ...». لم یکد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ینتهی من دعائه حتی نزل جبرئیل بالآیة المذکورة. وانه ممّا یلفت النظر أنَّ کثیرین من کبار مفسری أهل السنة ومحدثیهم ومؤرخیهم یؤیدون کون الآیة قد نزلت فی علی علیه السلام. وهناک جماعة من اصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی نحو عشرة أشخاص نقلوا هذا الحدیث عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مباشرة. إنَّ الآیات النازلة فی الولایة کثیرة، اکتفینا بایراد أربع منها فی هذا الدرس. فکّر وأجب: ۱- من الذی له أن یعین الامام وینصبه، فی نظر القرآن؟ ۲- ما هی الظروف التی احاطت بنزول آیة التبلیغ، وما محتواها؟ ۳- من هم الذین یرضی العقل باطاعتهم دون قید ولاشرط؟ ۴- کیف نستدل بآیة ی إنّما ولیکم اللَّهی علی القیادة والإمامة؟ ۵- ما الذی یمکن أنْ نستنتجه من مجموع الآیات الخاصة بالولایة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۲۹

الدّرس ۶ الامامة فی السّنة

اشارة

عند مطالعة کتب الأحادیث الاسلامیة، وعلی الاخص مصادر الحدیث المعتبرة عند اخواننا اهل السنة، یواجه المرء کماً هائلًا من الاحادیث النبویة التی تثبت امامة الامام علی علیه السلام و خلافته بوضوح لامثیل له. وإنَّ المرء لیأخذه العجب من کثرة هذه الاحادیث التی لاتدع مجالًا للشک فی هذه المسألة، فیتسائل: کیف حاول البعض أنْ یختار طریقاً غیر طریق أهل البیت علیهم السلام! إنَّ هذه الأحادیث المعزز بعضها بمئات الأسانید (مثل حدیث الغدیر) و الآخر بعشرات الأسانید، وهی واردة فی عشرات الکتب الاسلامیة المشهورة، من الوضوح بحیث إنَّنا لو تغاضینا عن أقاویل هذا وذاک، وأهملنا التقالید، تکون القضیة علی درجة من الجلاء لانحتاج معها الی أی دلیل آخر. إنَّنا نذکر فیما یلی نماذج لعدد من الاحادیث المعروفة من بین الوافر الکثیر دروس فی العقائد

الاسلامیة، ص: ۲۳۰ منها، طالبین من الذین یریدون الاطلاع أکثر علی هذا الموضوع أنْ یرجعوا الی المصادر التی سنذکرها لهم. «۱»

حدیث الغدیر

یقول الکثیر من المؤرخین إنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أدی فریضة الحج فی آخر سنة من سنوات عمره الشریف، وبعد الانتهاء من الحج، رجع ومعه جموع غفیرة من أصحابه القدامی والجدد والمسلمین المولعین به الذین کانوا قد اجتمعوا من مختلف نقاط الحجاز لیلحقوا برسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی أداء فریضة الحج. وعند وصولهم الی مکان بین مکة والمدینة اسمه (الجحفة)، تقدمهم نحو (غدیر خم) حیث کان مفترق طرق یتفرق، عنده الناس کل الی وجهته. ولکن قبل أنْ یتفرق الناس من هناک الی انحاء الحجاز، أمر الرسول الناس بالتوقف ودعا الذین سبقوه الی الرجوع، وانتظر حتی لحق به الذین کانوا فی الخلف. کان الجو حاراً جداً ومحرقاً، ولم یکن فی تلک الصحراء المترامیة ما یستظل به. أدی المسلمون صلاة الظهر مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. وعندما أراد الناس الانصراف الی خیامهم فراراً من حرارة الجو، أخبر النّبی صلی الله علیه و آله إنَّ علیهم أنْ یستمعوا الی بلاغ مهم جدید من جانب اللَّه فی احدی خطبه المسهبة. أقیم لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله منبر من أحداج الإبل، فارتقاه، وبعد أنْ حمد اللَّه وأثنی علیه، وقال من جملة ماقال: ... أما بعد أیّها الناس اسمعوا منی أبیّن لکم فإنِّی لا أدری دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۱ لعلی لا ألقاکم بعد عامی هذا. أنا مسؤول وأنتم مسؤولون. تری کیف تشهدون لی؟ فرفع الناس اصواتهم قائلین: نشهد أنَّک قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاک اللَّه خیراً. فقال النّبی صلی الله علیه و آله: «أتشهدون بأنْ لا إله إلّااللَّه، وأن محمّداً رسول اللَّه، وأن اللَّه سیبعث من فی القبور یوم القیامة؟» فقالوا جمیعا: نعم نشهد بذلک. فقال: اللّهم اشهد! ثم سألهم: أیّها الناس، أتسمعون صوتی؟ قالوا: نعم. وساد الجمع صمت لم یسمع خلاله شی سوی صوت هبوب الریح وأخیراً قال النّبی صلی الله علیه و آله: «أنبئونی ما تفعلون بعدی بهذین الثقلین العظیمین اللذین سأترکهما بین ظهرانیکم؟» فقام رجل من بین الجمع وقال: أی ثقلین تعنی یا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «الثقل الاوّل هو الثّقل الأکبر، کتاب اللَّه، القرآن، ما أنْ أخذتم به لن تضلوا. والثقل الثّانی هو عترتی، آلی بیتی. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۲ ولقد أخبرنی اللطیف الخبیر بانّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض، إنْ سبقتموهما هلکتم، وإنْ تخلفتم عنهما هلکتم». ثمّ نظر النّبی صلی الله علیه و آله الی أطرافه کأنَّه یبحث عن شخص، فلما وقع بصره علی علی علیه السلام انحنی وأمسک بیده ورفعها حتی بان بیاض إبطیهما، فرآه الناس وعرفوه. وارتفع صوت النبی صلی الله علیه و آله وهو یقول: أیّها الناس، من أولی الناس بالمؤمنین من أنفسهم؟ فقالوا: اللَّه ورسوله أعلم. فقال صلی الله علیه و آله: إنَّ اللَّه مولای، وأنا مولی المؤمنین، أولی بهم من أنفسهم. فمن کنت مولاه فعلی مولاه. وکرر هذا القول ثلاث مرات. وقال بعض الرواة أنه کرره أربع مرات ثم رفع رأسه الشریف الی السماء وقال: «اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حیث دار.» ثم قال صلی الله علیه و آله: ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۳ قال صلی الله علیه و آله: فلیبلغ الشاهد الغائب. وقبل أنْ یتفرق الجمع نزل جبرئیل الأمین بالآیة التالیة علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ی الیَومَ أَکْمَلْتُ لَکُم دِینَکُم وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُم نِعْمَتِی ... ی فقال النبی صلی الله علیه و آله: «اللَّه أکبر، اللَّه أکبر، علی إکمال الدین، وإتمام النعمة، ورضی الرّب برسالتی والولایة لعلی من بعدی.» فحصل هرج ومرج بین الناس وراحوا یتزاحمون لتهنئة علی علیه السلام بالولایة. وکان منهم أبوبکر وعمر، اللذان تقدما الی علی علیه السلام یقولان: بخ بخ لک یا ابن أبی طالب، أصبحت وأمسیت مولای ومولی کل مؤمن ومؤمنة! هذا الحدیث اورده عدد کبیر من علماء الاسلام فی کتبهم، بعض بصورة مسهبة وبعض باختصار شدید، وبشیء من الاختلاف فی بعض الالفاظ. ویعتبر من الاحادیث المتواترة التی لا یمکن لاحد أنْ یشک فی صدوره عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، الی درجة ان العلّامة (الامینی قدس سره) فی کتابه «الغدیر» یذکر اسم مئة وعشرة من اصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ممن ذکروا هذا الحدیث، وثلاثمائة وستین عالماً وکتاباً ورد فیه هذا الحدیث أیضاً، ومنها کتب الأخوة اهل السنة

فی التفسیر والتاریخ والحدیث. بل أنَّ جمعاً کبیراً من علماء الاسلام ألفوا الکتب الخاصة بهذا الحدیث، منها کتاب العلّامة الامینی قدس سره «الغدیر» المتعمق والنادر المثال، فإنَّه یشیر فیه الی ستة وعشرین عالماً من علماء الاسلام ممن ألفوا الکتب الخاصة بحدیث الغدیر. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۴ ولقد سعی بعضهم ممن لم یستطیعوا بث الشکوک حول صحة أسانید هذا الحدیث، الی القاء الشکوک فی دلالته علی الإمامة والخلافة، واعتبار کلمة «مولی» تعنی «الصدیق» مع إنَّ التّدقیق فی مضمون الحدیث والظروف الزمانیة والمکانیة التی احاطت بالحدیث وقرائن اخری تدل بحق علی أنَّ الهدف لم یکن سوی الإمامة والولایة التی تعنی القیادة بکل ما فیها من معان: أ) إنَّ آیة التبلیغ التی سبق أنْ ذکرناها، والتی نزلت قبل حادثة الغدیر، تدل بلهجتها الحادة وما فیها من القرائن علی أنَّ الکلام لم یکن بشأن الصداقة العادیة، إذ أنَّ هذا لم یکن مما یستوجب کل تلک الأهمیة والتوکید. کما أنَّ الآیة الخاصّة باکمال الدین التی نزلت بعد آیة التبلیغ تدل دلالة قاطعة علی أنَّ الموضوع کان علی درجة عظیمة من الاهمیة، کموضوع القیادة والخلافة بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. ب) الطریقة التی وصفت بها الحدیث، بکل ظروفه والصحراء المحرقة التی ألقیت فیها تلک الخطبة المسهبة، واخذ الاقرار من الناس فی ذلک الجو وذلک المکان، کلها تدل علی صحة مانذهب الیه. ج) التهانی والتبریکات التی قدمت لعلی علیه السلام من جانب مختلف طبقات الحاضرین، والقصائد الشعریة التی قیلت بالمناسبة فی ذلک الیوم وبعده، تدل علی أنَّ الحدث واقعی وأنَّه یخص تنصیب علی علیه السلام فی مقام الولایة والإمامة، ولا شیء غیر ذلک. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۵ فکّر وأجب: ۱- اشرح حکایة الغدیر. ۲- کم عدد أسانید حدیث الغدیر عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وفی کم کتابا من الکتب الاسلامیة المشهورة ورد هذا الحدیث؟ ۳- لماذا لفظة «المولی» فی حدیث الغدیر تعنی القیادة والإمامة، لا الصداقة؟ ۴- ما الدعاء الذی دعا به رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بحق علی علیه السلام بعد حادثة الغدیر؟ ۵- أین تقع «الجحفة» و «الغدیر»؟

الدّرس ۷ حدیث «المنزلة» وحدیث «یوم الدّار»

اشارة

یورد کثیر من کبار مفسری أهل السنة والشیعة حدیث «المنزلة» عند تفسیر الآیة ۱۴۲ من سورة الأعراف، والتی تتعلق بذهاب موسی علیه السلام اربعین لیلة الی میعاد اللَّه وخلافة هارون له. مضمون الحدیث کما یلی: تحرک رسول اللَّه صلی الله علیه و آله نحو تبوک (وهی تقع فی شمال جزیرة العرب علی مقربة من امبراطوریة الروم). کان النبی صلی الله علیه و آله قد أخبر بأنَّ امبراطور الرّوم قد جاء بجیش عظیم یرید به أنْ یهاجم الحجاز ومکة والمدینة، لکی یقضی علی الثورة الاسلامیة فی مهدها قبل أنْ یصل برنامجها الانسانی والتحرری الی تلک المنطقة. فتحرک النّبی صلی الله علیه و آله الی تبوک، تارکاً علیاً فی المدینة فقال علی علیه السلام: «أتترکنی بین النساء والاطفال، ولا تسمح لی بالاشتراک فی الجهاد معک؟» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۸ فقال له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «ألا ترضی أنْ تکون منی بمنزلة هارون من موسی إلّا أنَّه لا نبیّ بعدی؟». هذه العبارة مذکورة فی اشهر کتب الحدیث عند أهل السنة، مثل صحیح البخاری وصحیح مسلم، إنَّما الاختلاف بینهما هو أنَّ صحیح البخاری یورد الحدیث کله، بینما صحیح مسلم یورد الحدیث کله مرة، ویورد عبارة «أنت منی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنَّه لانبیّ بعدی» مرّة اخری کتعبیر عام وکلی. «۱» کما جاء هذا الحدیث فی عدد کبیر من کتب اهل السنة، منها «سنن ابن ماجة» و «سنن الترمذی» و «مسند احمد» وغیرها. والذین یروون الحدیث عن الصحابة یزید عددهم علی العشرین، منهم (جابر بن عبداللَّه الانصاری) و (أبوسعید الخدری) و (عبداللَّه بن مسعود) و (معاویة). ینقل (أبوبکر البغدادی) صاحب «تاریخ بغداد» عن «عمر بن الخطاب»: إنَّه رای رجلًا یشتم علیاً علیه السلام، فقال له عمر: لا أراک إلّامن المنافقین، فقد سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «إنّما علی منّی بمنزلة هارون من موسی، إلّاأنَّه لا نبیّ بعدی». «۲» دروس

فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۳۹ وممّا یلفت النظر فی أشهر کتب الحدیث المعتبرة أنَّ هذا الکلام لم یقله رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بمناسبة غزوة (تبوک) فقط، بل أنَّه کرره سبع مرات فی سبع مناسبات مختلفة، مما یدل علی مفهومه العام ومن تلک المناسبات: ۱- «یوم المؤاخاة» الأولی فی مکة، أی فی الیوم الذی عقد فیه عهد الأخوة بین اصحابه، واختار علیاً علیه السلام لاخوّته، و ذکر هذه العبارة نفسها. ۲- «یوم المؤاخاة» الثانیة بین المهاجرین والانصار بالمدینة، حیث تکررت الحالة وکرر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تلک العبارة. ۳- فی الیوم الذی أمر فیه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بغلق أبواب البیوت التی کانت تفتح علی مسجد الرسول، واستثنی باب بیت علی علیه السلام، مکرراً هذه العبارة نفسها. ۴- فی غزوة تبوک، کما سبق. وفی ثلاث مناسبات اخری تذکرها کتب أهل السنة أیضاً. وبناء علی ذلک، لایبقی مجال للشک فی صحة ورود حدیث المنزلة لا فی أسانیده، ولافی مفهومه العام.

محتوی حدیث المنزلة

إذا نظرنا الی الحدیث المذکور نظرة حیادیة و وضعنا أحکامنا السابقة جانباً، أمکننا أن نستنتج أن جمیع المناصب التی کانت لهارون فی بنی اسرائیل من جانب موسی، باستثناء النّبوة، کانت لعلی علیه السلام مثلها، وذلک لانَّه لیس فی الحدیث أی قید ولا شرط. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۰ وعلیه یمکن أنْ نصل الی النّتائج التّالیة: ۱- کان علی علیه السلام أفضل الامّة بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، مثلما کان هارون فی بنی اسرائیل. ۲- کان علی علیه السلام وزیر لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله و معاونه الخاص، وشریکه فی قیادته الامة، إذ أنَّ القرآن الکریم أثبت هذه المناصب لهارون (سورة طه، الآیات ۲۹- ۳۲). ۳- کان علی علیه السلام خلیفة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حتی فی حیاته، ولم یکن أی شخص آخر قادراً علی الاضطلاع بتلک المهمة، وهکذا کان مقام هارون بالنسبة لموسی علیهما السلام.

حدیث یوم الدّار

جاء فی کتب التاریخ الاسلامی أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قد أمر باعلان دعوته السّریة فی السنة الثالثة من البعثة، کما جاء فی الآیة ۲۱۴ من سورة الشعراء: ی وَأَنْذِرْ عَشَیرَتَکَ الأَقْرَبِینَ ی. فدعا الرّسول صلی الله علیه و آله أقرباءه الی بیت عمّه أبی طالب. وبعد تناول الطّعام، قال: «یا بنی عبدالمطلب إِنّی أنا النّذیر إلیکم من اللَّه عزّوجلّ والبشیر فاسلموا وأطیعونی تهتدوا». ثمّ قال: «من یؤاخینی ویؤازرنی ویکون ولیی ووصیی بعدی وخلیفتی فی أهلی ویقضی دینی؟» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۱ فسکت القوم، فأعادها ثلاثا. کل ذلک یسکت القوم، ویقول علی: أنا. فقال فی المرّة الثالثة: «أنت». فقام القوم وهم یقولون لأبی طالب: أطع ابنک فقد أمّره علیک. وروی عن أبی رافع: أنَّه جمعهم فی الشعب فصنع لهم رجل شاة فأکلوا حتی تضلعوا (أی شبعوا) وسقاهم عسّاً فشربوا کلهم حتی رووا. ثم قال: إنَّ اللَّه أمرنی أنْ أنذر عشیرتک الاقربین وأنتم عشیرتی ورهطی وأنَّ اللَّه لم یبعث نبیّاً إلّاجعل له من أهله أخا ووزیراً ووارثاً ووصیاً وخلیفة فی أهلی، فأیّکم یقوم فیبایعنی علی أنَّه أخی ووارثی ووزیری ووصیی ویکون منّی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنَّه لا نبیّ بعدی؟ فسکت القوم. فقال: لیقومن قائمکم أو لیکونن من غیرکم ثم لتندمن. ثم أعاد الکلام ثلاث مرّات. فقام علی علیه السلام فبایعه فأجابه، ثم قال: ادن منّی. فدنا منه ففتح فاه ومج فی فیه من ریقه وتفل بین کتفیه وثدییه، فقال أبولهب: بئس ما حبوت به إبن عمّک إن أجابک فملأت فاه ووجهه بزاقاً. فقال النّبی صلی الله علیه و آله ملأته حکماً وعلماً». هذا الحدیث یعرف باسم «حدیث الدّار»، وهو واضح فی دلالته بما یکفی. أمّا من حیث أسانید الحدیث، فقد ذکره کثیرون من علماء اهل السنة، مثل «ابن أبی جریر» و «ابن أبی حاتم» و «ابن مردویه» و «أبی نعیم» و «البیهقی» و دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۲ «الثعلبی» و «الطبری» و «ابن الأثیر» و «أبی الفداء» وغیرهم. «۱» ولو إنَّنا نظرنا الی هذا الحدیث نظرة عابرة أیضاً لتبینت لنا حقائق ولایة علی علیه السلام وخلافته، لانَّه صریح فی هذا الموضوع. فکّر وأجب: ۱- ما «حدیث المنزلة»؟ وکم مرّة قیل؟ ۲- ما المقامات التی یثبتها حدیث المنزلة

للامام علی علیه السلام؟ ۳- ما المنزلة التی کانت لهارون بالنسبة لموسی، بموجب القرآن؟ ۴- مَنْ مِن العلماء نقلوا حدیث المنزلة؟ ۵- أعد ذکر حدیث یوم الدار ومحتواه وسنده والنتائج المستنتجة منه.

الدّرس ۸ حدیث الثّقلین وسفینة نوح أسناد حدیث الثّقلین

اشارة

من الأحادیث المشهورة والمعروفة بین علماء السّنة والشّیعة هو «حدیث الثّقلین». هذا الحدیث ینقله عدد کبیر من الصّحابة عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله مباشرة، ویقول بعض کبار العلماء أنَّ رواة هذا الحدیث لایقلّون عن ثلاثین من أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله. «۱» کما أورده عدد کبیر من المفسرین والمحدثین فی کتبهم، بحیث لایمکن الشک فی کونه من الاحادیث المتواترة. یشیر العالم الکبیر السّید هاشم البحرانی فی کتابه «غایة المرام» الی هذا الحدیث ویسنده الی ۳۹ سنداً من علماء أهل السنة، و ۸۰ سنداً من علماء دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۴ الشیعة. أمّا (میر حامد حسین) العالم الهندی الکبیر، فقد تعمق فی تتبع هذا الحدیث، فوجده مذکوراً عند مئتی عالم من علماء أهل السنة، وقد جمع بحوثه حول هذا الحدیث فی ستة مجلدات کبیرة! ومن بین الصحابة المشهورین الذین ذکروا هذا الحدیث: «أبو سعید الخدری» و «أبوذرالغفاری» و «زیدبن أرقم» و «زید بن ثابت» و «أبو رافع» و «جبیر بن مطعم» و «حذیفة» و «ضمرة الأسلمی» و «جابربن عبداللّه الأنصاری» و «أم سلمة» و غیرهم. أصل الحدیث کما یرویه أبوذر الغفاری، هو: «لما صدر النّبی صلی الله علیه و آله من حجّة الوداع قال علی المنبر: یا أیّها الناس إنّی مسؤول وإنکم مسؤولون ... إنِّی تارک فیکم الثقلین: کتاب اللّه وعترتی، وإنَّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض». «۱» هذا الحدیث روته مصادر أهل السنة المعتبرة، مثل «صحیح الترمذی» و «النسائی» و «مسند احمد» و «کنز العمال» و «مستدرک الحاکم» وغیرهم. جاء فی بعض الرّوایات تعبیر «الثّقلین» وجاء فی روایات اخری تعبیر «الخلیفتین»، ولیس بین هذین من حیث المفهوم فرق کبیر. واللافت للنظر فی هذا أنَّ الکثیر من الاحادیث الاسلامیة المختلفة تقول أنَّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد کرر هذا الکلام علی الناس مرّات عدیدة: ففی روایة «جابر بن عبداللّه الأنصاری» نقرأ أنَّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قاله فی یوم عرفة فی أیّام الحج. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۵ والراوی «عبداللّه بن حنطب» یقول أنَّه قاله فی «الجحفة» وهو مکان بین مکة والمدینة حیث یحرم الحجاج منه. وتقول (أم سلمة) إنَّه قاله فی غدیر خم. وجاء فی روایات اخری إنّه قاله فی اواخر أیّامه المبارکة وهو علی فراش المرض. وفی روایة اخری إنَّه قاله علی المنبر فی المدینة. «۱» ونقرأ فی «الصواعق المحرقة» للعالم السّنی الکبیر «ابن حجر»: أنَّ النّبی صلی الله علیه و آله أخذ بید علی ورفعها وقال: «علی مع القرآن والقرآن مع علی ولن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض». «۲» وهکذا یتبین أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد أکد هذا المفهوم مرّات عدیدة باعتباره مبدأ اساساً، إذ کان ینتهز کلّ فرصة مواتیة لبیان هذه الحقیقة المصیریة البناءة لکیلا یطویها النسیان.

محتوی حدیث الثقلین

هنا لابدّ من ملاحظة عدّة نقاط: ۱- الاشارة الی القرآن والعترة کثقلین أو کخلیفتین، تدل علی أنَّ الواجب علی المسلمین التمسّک بهما دائماً، وخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار ماجاء فی الحدیث الشریف: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۴۶ نص الحدیث: ما أنَّ تمسکتم بهما فلن تضلوا بعدی أبداً. فإنَّ الأمر یزداد توکیداً وثبوتاً. ۲- قرن «القرآن الکریم» ب «العترة الاطهار» متجاورین دلیل علی أنَّه مثلما أنَّ القرآن لن تناله ید التحریف أبداً ویبقی مصوناً من کل إنحراف و تحریف، کذلک تکون عترة رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی مقام العصمة. ۳- جاء فی بعض الروایات إن اللّه یوم القیامة یحاسب الناس علی ارتباطهم بهذین الترکتین العظیمتین. ۴-

لاشک إنّنا مهما یکن تفسیرنا للعترة وأهل البیت علیهم السلام، فإنَّ علیاً علیه السلام یکون من أبرز مصادیقها، إذ أنَّ کثیراً من الرّوایات تقول إنَّه لم یفترق عن القرآن، ولا ـ القرآن افترق عنه. وهنالک روایات اخری تقول إنَّه عند نزول آیة المباهلة، دعا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علیاً وفاطمة والحسن والحسین علیهما السلام، قائلا: هؤلاء أهل بیتی. «۱» ۵- علی الرّغم من أنَّ المسائل الخاصة بیوم القیامة لیست واضحة لنا نحن الذین نعیش محصورین بین جدران هذا العالم، إلّاأنَّ مایستفاد من الروایات ینبیء بأن «حوض الکوثر» نهر خاص فی الجنة ذو مییزات کثیرة ویختص بالمؤمنین الصادقین وبالرسول الکریم صلی الله علیه و آله وأئمة اهل البیت علیهم السلام وأتباعهم. یتضح من کل ما قلناه ان مرجع الأمة وقائدها بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هو علی علیه السلام، والأئمّة من بعده من أهل هذا البیت علیهم السلام.

حدیث سفینة نوح

من التعبیرات اللافتة للانتباه والواردة فی کتب أهل السنة والشیعة عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هو حدیث «سفینة نوح» المعروف. فی هذا الحدیث یقول أبوذر: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «ألا إنَّ مثل أهل بیتی فیکم مَثل سفینة نوح، من رکبها نجا ومن تخلف عنها غرق». «۱» هذا الحدیث من الاحادیث المشهورة التی توجب علی الناس اتباع علی علیه السلام وأهل بیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بعده. فاذا عرفنا أنَّ سفینة نوح کانت ملجأ ووسیلة النجاة من ذلک الطوفان العظیم الذی شمل العالم، برمته اتضحت لنا هذه الحقیقة، وهی أنَّه إذا هبت الاعاصیر والطوفانات بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فما علی الامّة الّا أنْ تتمسک بأذیال الولاء لاهل البیت علیهم السلام، اذ لا سبیل لها الی النجاة بغیرهم. فکّر وأجب: ۱- ما ما هو نص حدیث الثّقلین؟ وما الامتیازات التی یمنحها لأهل البیت علیهم السلام؟ ۲- من هم الذین نقلوا حدیث الثقلین؟ ۳- ما معنی «الثقلین» وهل جاء فی الاحادیث تعبیر غیره؟ ۴- ما المناسبات التی ذکر فیها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذا الحدیث؟ ۵- أذکر أسانید حدیث سفینة نوح و محتواه؟

الدّرس ۹ الأئمّة الاثناعشر

روایات الأئمّة الاثنی عشر

بعد إثبات الإمامة والخلافة المباشرة للامام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، یأتی دور الکلام عن إمامة سائر الأئمة. إنَّ البحث المکثف حول هذا الموضوع یکون کما یلی: أوّلًا: فی متناول أیدینا الیوم کتب عدیدة لأهل السنة والشیعة تنقل الروایات التی تتحدث صراحة عن خلافة «الاثنی عشر إماماً وخلیفة بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله». هذه الاحادیث مرویة فی أهم کتب اهل السنة، مثل «صحیح البخاری» و «صحیح الترمذی» و «صحیح مسلم» و «صحیح أبی داود» و «مستند أحمد» وأمثالها. فی کتاب «منتخب الأثر» مئتان وواحد وسبعون حدیثاً بهذا الشأن، معظمها دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۰ منقول من کتب أهل السنة وسائر المصادر الشیعیة. وکمثال علی ذلک نقرأ فی «صحیح البخاری» وهو من أشهر کتب أهل السنة، مایلی: یقول جابر بن سمرة: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول «یکون اثنا عشر أمیراً» ثم قال کلمة لم اسمعها. فقال أبی أنَّه قال: «کلّهم من قریش». «۱» و قد ورد هذا الحدیث فی «صحیح مسلم» هکذا: قال جابر سمعت رسول‌اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «لَایَزالُ الْاِسْلامُ عَزِیزاً الی اثنَی عَشَر خلیفَة» ثم قال کلمة لم أفهمها، فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: «کلّهم من قریش». «۲» وفی «مسند أحمد» عن عبداللَّه بن مسعود، الصحابی المعروف، أنَّه قال: سئل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بشأن الخلفاء، فقال: «إثنا عشر کعدة نقباء بنی اسرئیل». «۳»

محتوی هذه الأحادیث

هـذه الأحاديث- التی یری بعضـها أنَّ (عزة الاسـلام) منوطـة (بالاثنی عشـر خلیفـة) ویری بعضـها الآخر أنَّ حیاة الـدین وبقاءه الی یوم القیامـة موکولان بهم، وأنَّهم کلهم من قریش، وفی بعضـها کلهم من بنی هاشم- لاتنطبق علی أی دروس فی العقائـد الاسـلامیة، ص: ۲۵۱ مـذهب سوی المـذهب الشـیعی، و ذلک لانها تنطبق بوضوح و بساطـة علی معتقـدات مـذهب التشـیع، فی الوقت الذی یصل فیه علماء أهل السـنة فی تطبیقها علی مـذاهبهم الی طریق مسـدود. هل المقصود هم الخلفاء الاربعـة الاول اضافة الی خلفاء بنی أمیة وبنی العباس؟ نحن نعلم، بالطبع، أنَّه لا الخلفاء الاول کانوا اثنی عشـر، ولا بانضمام خلفاء بنی امیّة وبنی العباس الیهم بلغوا هذا العدد. إذ إنَّ العـدد اثنی عشـر لاـینطبق علی أی منهم. ثم إنَّ من بنی امیّـة خلفـاء مثل «یزیـد» ومن بنی العباس مثل «المنصور الـدّوانیقی» و «هارون الرشید»، ممن لایشک أحد فیما ارتکبوه من جرائم وظلم وطغیان، فلا یمکن بأی حال من الأحوال اعتبارهم خلفاء للنبی صلی الله علیه و آله و لا تتجسد فیهم أی رفعه أو عزة للاسـلام ولو تساهلنا فی تبسیط الموازین. واذا تجاوزنا عن کل ذلک، فاننا لن نجد العدد اثنی عشـر یتمثل فی أی مجموعـة منهم سوی فی ائمّـة الشـیعة الاثنی عشـر. و یحسن بنا هنا أنْ نترک الکلام لأحـد علماء السـنة المعروفین لیشـرح لنـا الموضوع. یقول سـلیمان بن ابراهیم القنـدوزی الحنفی فی کتـابه «ینابیع المودة»: «قال بعض المحققین أنَّ الاحادیث الـدالة علی کون الخلفاء بعده صلی الله علیه و آله اثنی عشر قد اشتهرت من طرق کثیرة، فبشرح الزمان وتعریف الکون والمکان علم أن مراد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من حدیثه هذه الائمة الاثنا عشر من اهل بیته دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۲ وعترته اذ لایمکن ان یحمل هـذا الحـدیث علی الخلفاء بعده من أصـحابه لقلتهم عن اثنی عشـر، ولایمکن أن یحمله علی ملوک الدولة الامویة لزیادتهم علی اثنی عشـر ولظلمهم الفـاحش إلّاعمر بن عبـدالعزیز، ولکونهم من غیر بنی هاشم لانّ النّبی صـلی الله علیه و آله قال کلهم من بنی هـاشم فی روایـة عبـدالملک عن جـابر واخفاء صوته صـلی الله علیه و آله فی هـذا القول یرجـح هـذه الروایـة لأنَّهم لایحسـنون خلافة بنی‌هاشم ولایمکن أنْ یحمله علی الملوک الدولـة العباسـیة لزیادتهم علی العـدد المـذکور ولقلـة رعایتهم الآیة ی قُلْ لا أَسأَلُکُم عِلَیهِ أَجْرَاً إِلَّاالمَودَّةَ فِی القُربی‌ی و حـدیث الکساء فلابـدّ من أنْ یحمل هذا الحدیث علی الائمّة الاثنی عشـر من أهل بیته وعترته صـلی الله علیه و آله لأنهم کانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم و أعلاهم نسـباً وأفضـهلم حسباً وأکرمهم عنداللَّه و کانت علومهم عن آبائهم متصـلةبجدّهم صـلی الله علیه و آله وبالوراثـة واللدنیـة، کذا عرفهم أهل العلم والتحقیق وأهل الکشف والتوفیق، ویؤید هذا المعنی أی أنَّ مراد النّبی صـلی الله علیه و آله الائمّة الاثنا عشـر من أهل بیته علیهم السلام ویشهده ویرجحه حدیث الثّقلین والاحادیث المتکررة المـذکورة فی هـذا الکتاب وغیرها». «۱» و من الجـدیر بالـذکر إنِّنی فی زیـاراتی للحجاز وفی أحادیثی مع علمائها، سـمعت منهم تفسیراً آخر لهذا الحدیث یبین کیفیة وصولهم الی طریق مسدود فی هذه المسألة. قال الرجل: «ربّما یکون المقصود بالاثنی عشر خلیفـة، الخلفاء الاربعة الاول فی صدر الاسـلام، والباقی سوف یظهرون فی المسـتقبل»! دروس فی العقائد الاسـلامیة، ص: ۲۵۳ وعلی هذا فإنَّهم یغفلون التوالی بین هؤلاء الخلفاء الاثنی عشر، والمفهوم من حدیث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. نقول: ما الذی یدعو الی أنْ نهمل التفسیر الواضح البیّن للحدیث، کالتفسیر المنسجم فی توالی أئمّة الشیعة الاثنی عشر، ونلقی بانفسنا فی متاهات لامخرج لها؟

تعیین الأئمّة بالاسم

ممّا یلفت النظر أنَّ بعض الروایات المرویـة عن رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله والتی وصـلتنا من علماء أهل السـنة، تذکر الائمة الاثنی عشـر بالاـسم الصـریح وتبین صـفاتهم وفضـائلهم. یقول الشـیخ سـلیمان القنـدوزی، العالم السـنی المعروف فی کتابه المـذکور «ینابیع المودة»: جاء رجل یهودی یدعی نعثلًا الی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله، وکان من بین الاسـئلة التی القاها علیه أنَّه سأله عن أوصیائه وخلفائه من بعده، فقال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: «إنَّ وصیی علی بن أبی طالب، وبعده سبطای الحسن والحسین یتلوه تسعة ائمّة من صـلب الحسین. اذا مضـی الحسـین فـابنه علی، فاذا مضـی علی فابنه محمـد، فاذا مضـی محمـد فابنه جعفر، فاذا مضـی جعفر فابنه موسـی، فاذا مضـی موسـی فابنه علی، فاذا مضی علی فابنه محمد، فاذا مضی محمد فابنه علی، فادا مضی علی فابنه الحسن، فاذا مضی

الحسن فابنه الحجة محمد المهدی، فهؤلاء اثنا عشر». «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۴ وفی الکتاب نفسه، نقلا عن کتاب «المناقب»، حدیث آخر جاء فیه ذکر الائمة الاثنی عشر بالاسم واللقب، ویشیر الی غیبة الامام المهدی (عج) إلی نهضته وأنَّه یملأ الارض عدلًا وقسطا بعد ما ملئت جوراً وظلماً. «۱» أمّا الأحادیث الواردة بهذا الخصوص عن طرق الشیعة فکثیرة تفوق حد التواتر، فتأمل!

من مات ولم یعرف إمامه ...

نقرأ فی کتب أهل السنة حدیثا عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنَّه قال: «من مات بغیر امام زمانه مات میتة جاهلیة» «۲» هذا الحدیث نفسه ورد فی کتب الشیعة بهذه الصورة: «من مات ولایعرف امامه مات میتة جاهلیة». «۳» یدلّ هذا الحدیث دلالة بیّنة علی ان الامام المعصوم موجود فی کل عصر وزمان ومن الواجب معرفته، وإنَّ عدم معرفته علی درجة من الضرر بحیث أنَّه یضع الانسان عند تخوم الکفر والجاهلیة. فهل المعنیون بالائمّة فی هذا الحدیث هم القائمون علی رأس الحکم، من امثال جنکیزخان وهارون الرشید والحکام العملاء؟ لاشک أنَّ الجواب یکون بالنفی، وذلک لأن الغالبیة العظمی من هؤلاء اناس دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۵ منحرفون وظالمون واحیاناً یکونون عملاء للغرب أو الشرق وینفذون سیاساتهم الاستکباریة، فلا شک فی أنَّ معرفتهم وقبول إمامتهم یرسلان الانسان الی «دار البوار» فی جهنم. و یتضح من ذلک أن هناک فی کل عصر إماماً معصوماً، وأنَّه یجب البحث عنه ومعرفته وقبوله کقائد وهاد. إن اثبات إمامة کل امام تتم- بالأضافة الی الطریق المذکور- بطریق النصوص والروایات الواردة عن کل إمام سابق بالنسبة للامام اللاحق، وکذلک عن طریق معجزاتهم. فکّر وأجب: ۱- ماهی الکتب التی وردت فیها الروایات الخاصّة بالأئمّة الاثنی عشر؟ ۲- ما محتوی هذه الروایات؟ ۳- کیف تفسَّر هذه الأحادیث تفسیرات غیر مناسبة؟ ۴- هل جاء فی أحادیث أهل السنة أسماء الائمة الاثنی عشر کلّهم؟ ۵- ما الطرق الاخری لاثبات الأئمّة الاثنی عشر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۷

الدّرس ۱۰ الامام المهدی (عج) الإمام الثّانی‌عشر والمصلح‌العالمی العظیم

۱- نهایة اللّیلة الظّلماء

عندما نلقی نظرة علی أوضاعنا الحاضرة و نلاحظ إرتفاع نسبة الجرائم وحوادث القتل والحروب وإراقة الدّماء و الاعتداءات و المنازعات الدولیة واتساع نطاق المفاسد الاخلاقیة باستمرار، یبرز فی ذهننا هذا السؤال: هل سیستمر الوضع علی هذه الحال؟ وهل یزداد انتشار هذه الجرائم والمفاسد حتی تجر البشریة الی حرب دائمیة تهلک الحرث والنسل، أم أنَّ الانحرافات العقائدیة والمفاسد الاخلاقیة، کمستنقع عفن، سیبتلع الانسانیة ابتلاعاً ... أم أنَّ هناک بصیص ضوء من أمل فی النجاة والاصلاح؟ الجواب الأول هو الذی یقول به المتشائمون والمادیون، وهو أنَّ مستقبل العالم مظلم، ولایخلو کل زمان من احتمال الخطر. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۸ أمّا الذین یؤمنون بمبادیء الأدیان السماویة، وخاصة المسلمون، والشیعة منهم علی الاخص، فیجیبون بجواب آخر عن هذا السؤال، فیقولون: إنَّ وراء هذه اللیلة الحالکة السواد صبح أمل مشرق، وإن هذه السحب الدّکن، وهذه الأعاصیر المهلکة والسیول المدمرة سوف تزول فی النهایة، وتسطع الشمس فی سماء صافیة وجو صحو. إنَّ هذه الدّوامات المخوفة لاتبقی فی طریقنا دائماً، وإنَّ فی الأفق القریب دلائل علی وجود ساحل النجاة یطالع الناظرین. إنَّ العالم ینتظر مصلحاً عظیماً یغیر بثورته وجه العالم لصالح الحق والعدالة. وبالطبع یطلق اتباع کل دین إسما خاصاً علی هذا المصلح المنتظر، مصداقاً لقول الشاعر: عباراتنا شتی وحُسنک واحد وکُل الی ذاک الجمال یُشیر

۲- الفطرة وظهور المصلح العظیم

إنَّ الالهامات الباطنیة، التی تکون أمواجها أقوی أحیاناً من أحکام العقل، لا تقتصر علی هدایتنا الی اللّه فقط، بل هی قادرة علی أنْ تکون دلیلنا فی جمیع معتقداتنا الدّینیة بما فیها هذه المسألة أیضاً. ودلائل ذلک هی أوّلًا: الرغبة العامّة فی العدالة العالمیة، فالناس فی العالم کلّه، علی ما موجود بینهم من اختلاف یحبّون بلا استثناء، السلام والعدالة. إنَّنا جمیعاً ننادی بهذا ونجاهد فی سبیله ونطلب العدالة والسلام العالمیین بکل وجودنا. و لیس هناک دلیل أفضل من انتظار ظهور هذا المصلح العظیم إنَّما هو دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۵۹ فطری، وذلک لأنَّ أی مطلب یریده الناس کافة دلیل علی فطریته، فتأمل! کل حبّ أصیل وفطری یحکی عن وجود محبوب خارجی وجذاب، وإلّا کیف یمکن أنْ یخلق اللّه هذا التعطش فی داخل الانسان دون أنْ یخلق فی خارجه الینبوع الذی یصبو نحوه لیرتوی منه؟ لهذا نقول إنَّ فطرة الانسآن وطبیعته التی تبحث عن العدالة تصرخ بأعلی صوتها إنَّ الاسلام والعدالة سوف یسودان العالم کله فی نهایة المطاف، وإنَّ مظاهر الظلم والجور والانانیة سوف تزول، وإنَّ البشریة ستتوحد فی دولة واحدة وتعیش تحت رایة واحدة فی جو من التفاهم والطهارة. ثانیاً: إنَّ الادیان والمذاهب عموماً تنتظر مصلحاً عالمیاً کبیراً. إنّک تکاد تجد فی جمیع الادیان فصلًا یحدثک عن هذا الأمر إذ إنَّ الاعتقاد بظهور منج عظیم، یکون بلسماً لجراح البشریة المؤلمة، لایقتصر علی المسلمین، بل إنَّ هناک مستندات وأدلة تؤکد کونه اعتقاداً عاماً وقدیماً آمنت به الأقوام والأدیان فی الشرق وفی الغرب، إلّاأنَّ الاسلام، لکونه الدین الکامل، یؤکد هذا الأمر توکیداً أکبر. ففی کتاب «زند» من کتب الزرادشتیین المعروفة، یرد ذکر الصراع الدائم بین اتباع اللّه واتباع الشیطان، ثم یقول: «بعد ذلک ینتصر إلالهیون علی الشیطانیین الذین ینقرضون ... وإنَّ عالم الوجود ینال سعادته الأصلیة ویجلس ابن آدم علی کرسی حسن الحظ ...» وفی کتاب «جاماسب نامه» لزرادشت تقرأ مایلی: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۰ «یخرج رجل من أرض التازیین (العرب)، عظیم الرأس، عظیم الجسد، عظیم الساق، علی دین جدّه، فی جیش کثیر ... ویملأ الارض عدلًا». وجاء فی کتاب «وشن جوک» من کتب الهنود الصینیین: «وأخیراً ترجع الدنیا الی رجل یحب اللّه وهو من عباده المخلصین». ونقرأ فی کتاب للهنود اسمه «باسک»: «دول العالم ینتهی الی ملک عادل فی آخر الزمان، یکون رائداً للملائکة والجن وبنی آدم، ویکون الحق معه، ویکون بیده کل کنوز البحار والأرضین والجبال، یخبر عمّا فی السماء والارض، ولا تری الارض رجلًا أعظم منه». وفی «مزامیر» داود من کتاب «العهد القدیم» (التوراة و ما ألحق به) نقرأ: «یقطع دابر الأشرار، أمّا المتوکلون علی اللّه فسوف یرثون الارض». «والصدیقون یرثون الارض ویسکنونها دائماً». وهناک کلام یشبه هذا فی کتاب «اشعیا النبی» من کتب التوراة. وفی الفصل ۲۴ من انجیل متی نقرأ: «کالبرق یخرج من المشرق ویکون ظاهراً حتی المغرب. ابن الانسان سیکون کذلک أیضاً». دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۱ وفی الفصل ۱۲ من انجیل لوقا نقرأ: «شدوا احزمتکم، واشعلوا مصابیحکم، وکونوا کمن ینتظر سیده، حتی إذا ما جاء فی أی وقت وطرق الباب تسرعون لفتحه»! جاء فی کتاب «علائم الظهور»: «فی کتب الصینیین القدامی، وفی معتقدات الهنود، وعند الاهالی الاسکندنافیین، وحتی عند المصریین القدامی وأهالی المکسیک وأمثالهم، یسود الاعتقاد بظهور مصلح عالمی».

۳- الأدلة العقلیة

اشارة

أ) نستخلص من نظام الخلق أنَّ البشر یجب فی النهایة أنْ یخضعوا لقانون العدالة ویستسلموا للنظم العادلة المصلحة الثابتة و ذلک لأنَّ عالم الوجود، بالقدر الذی نلاحظه، عبارة عن مجموعة من النظم. و أنَّ وجود هذه القوانین المنظمة التی تحکم العالم بأسره لدلیل علی وحدة هذا النظام وترابطه. وتعتبر قضیة النظام والقانون والمنهج والتخطیط من أهم مسائل هذا العالم الرئیسیة والجادة. فابتداء من المنظومات الشمسیة العظیمة حتی الذّرة التی یمکن أنْ توضع ملایین منها علی رأس أبرة، کلها تخضع لنظام دقیق. إنَّ مختلف أجهزة جسم الانسان، ابتداء من بناء الخلیة العجیب حتی طریقة عمل الدماغ، وشبکة الاعصاب، والقلب والرئتین، کلها تتبع نظاما دقیقاً وتعمل

أشبه بأجهزة الساعة الدقيقة، كما يعبر عن ذلك أحد العلماء، بحيث أنَ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۲ أدق الحاسبات الالكترونية لاتكون شيئاً مذكوراً بجانبها. فهل فی هذا العالم الدقيق يمكن للانسان- الذی هو جزء من كل- أنْ يظهر بمظهر الرقعة المخالفة فی اللون وفی التنظيم ليعيش فيه فی حياة كلّها حرب واراقة دماء وظلم؟ هل يمكن لحالة الظلم والفساد الاخلاقی والاجتماعی، التی تعتبر ضرباً من الفوضی وانعدام النظام، أنْ تسود المجتمع البشری حتی الأبد؟ النّتيجة هی أنَّ مشاهدة نظام الوجود تلفت نظرنا الی أنَّ المجتمع البشری لابدّ له فی النهاية أن يطأطیء رأسه امام النظام والعدالة، وأنْ يعود مرّة اخری الی المسير الاصلی الذی خلق للسير فيه. ب) مسيرة المجمعات التكاملية. وهذه دليل آخر علی مستقبل البشرية الواضح، إذ إنَّنا لايمكن أنْ ننكر أنَّ المجتمع البشری، منذ أنْ ظهر للوجود، لم يتوقف فی مرحلة معينة، بل كان دائم السير والتحرك الی الامام. فمن حيث الجوانب المادية، المسكن و الملبس و الغذاء، و طرق النقل والمواصلات، والافكار التوحيدية، كان الانسان فی وقت مايعيش فی أبسط ظروفها. ولكنه الآن بلغ مرحلة تحير العقول وتعشی العيون، ولاشك أنَّ هذا سوف يواصل حركته الصعودية. أمَّا من حيث العلوم والثقافات فقد كان الانسان يسير سيراً تصاعدياً أيضاً فهو فی كل يوم يكتشف شيئاً جديداً ويفتح فتحاً جديداً. إنَّ هذا «القانون التكاملی» سيشمل فی النهاية الجوانب المعنوية والاخلاقية والاجتماعية أيضاً، ويتقدم بالانسان نحو قانون عادل وسلام عادل ثابت، دروس فی العقائد الاسلامية، ص: ۲۶۳ وفضائل اخلاقية ومعنوية. إنَّ ما نراه اليوم من تفشی المفاسد الاخلاقية وتفاقمها، إنَّما هو وسيلة تمهد الطريق لانضاج ثورة تكاملية شاملة. و لا نقول طبعاً إنَّ علينا تشجيع الفساد، ولكننا نقول إنَّ الفساد إذا جاوز الحد أدی الی ثورة أخلاقية. فعندما يصل الانسان الی طرق مسدودة ويجد عواقب غير محمودة ناشئة من آثامه، وعندما يرتطم رأسه بالجبل، و تبلغ روحه التراقی عندئذ يكون فی الاقل علی أهبة الاستعداد لتقبل المبادیء التی يعرضها عليه القائد الالهی.

القرآن وظهور المهدی علیه السلام

فی كتابنا السماوی العظيم آيات كثيرة تبشر بهذا الظهور العظيم، نكتفی بواحدة منها فقط. فی الآية ۵۵ من سورة «النور» نقرأ: ی وَعَدَ اللَّهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِی الارْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمی. تبين هذه الآية بجلاء أنَّ الحكم علی الارض سيخرج فی النهاية من أيدی الجبارين والظالمين، وسيكون الحكم بيد المؤمنين الصالحين. وفی اثر الآية المذكورة والوعد الذی فيها، يعد اللَّه ثلاثة وعود اخری ی وَلُيمَكِّنَنَّ لَهُم دِيْنَهُم الّذی ارتَضَی لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمَناً يَعْبُدُونَنِی لايُشْرِكُونَ بِی شَيْئاًی. فی تفسير هذه الآية قال الامام علی بن الحسين عليه السلام: دروس فی العقائد الاسلامية، ص: ۲۶۴ «هم واللَّه شيعتنا يفعل اللَّه ذلك بهم علی يدی رجل منّا وهو مهدی هذه الأُمّة». «۱»

المهدی فی كتب الحديث

إنَّ الأحاديث التی تشير الی الحكومة العالمية القائمة علی أساس السلام والعدل، والتی يؤسسها أحد أهل بيت رسول اللَّه صلی الله عليه و آله اسمه «المهدی» أحاديث كثيرة وردت فی كتب الشيعة والسنة، وهی من الكثرة بحيث تعدت حدود التواتر أيضاً. أمّا الكلام علی أنَّه هو الامام الثّانی عشر، وخليفة رسول اللَّه صلی الله عليه و آله والتاسع من أولاد الامام الحسين عليه السلام، وأنَّه ابن الامام الحسن العسكری عليه السلام فهو كثير فی المصادر الشيعية. فمن حيث القسم الاول، أی التواتر الوارد فی كتب أهل السنة فی أحاديث ظهور المهدی، يكفی أنْ نقول أنَّ علماء أهل السنة يشيرون لذلك صراحة الی الحد الذی نقرأ فی الرسالة التی اصدرتها موخراً «رابطة العالم الاسلامی»- وهو أكبر مركز دينی فی الحجاز- مايلی: «أنّه آخر الخلفاء الراشدين الاثنی عشر الذين أخبر عنهم النبی صلی الله عليه و آله فی أحاديث صحاح، والاحاديث عن المهدی نقلت عن كثير من الصحابة عن رسول اللَّه صلی الله عليه و آله».

دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۵ و بعد ذکر اسماء عشرین من الصحابة الذین نقلوا أحادیث النبی صلی الله علیه و آله عن المهدی، تستطرد الرسالة قائلة: «وهناک آخرون کثیرون نقلوا هذه الاحادیث وبعض علماء أهل السنة ألفوا الکتب الخاصة فی الاخبار الواردة عن المهدی، منهم ابونعیم الاصفهانی، وابن حجر الهیثمی، والشوکانی، وادریس المغربی، وأبوالعباس بن عبدالمؤمن». ثم یضیف بعد ذلک: «جمع من علماء أهل السنة القدامی والمحدثین یصرحون بأنّ الاخبار عن المهدی متواترة». وبعد ذکر أسماء عدد من هؤلاء تختتم الرسالة کلامها بالقول، «أعلن فریق من الحفاظ والمحدثین أنَّ أخبار المهدی فیها الصحیح وفیها الحسن، وهی فی المجموع من المتواتر قطعاً، وأنَّ الاعتقاد بقیام المهدی صحیح وواجب، وهذا من عقائد أهل السنة والجماعة المسلم بها، ولاینکره إلّا کل جاهل وصاحب بدعة».

أمَّا أحادیث الشیعة

یکفی هنا أنْ نعلم أنَّ هناک المئات من الاحادیث بهذا الشأن عن رواة مختلفین، عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وعن الأئمة علیهم السلام بما یتجاوز حد التواتر، وهو عند الشیعة من ضروریات الدین، بحیث أنَّه لایمکن لاحد أنْ یعتنق المذهب دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۶ الشیعی دون أن یطلع علی عقیدتهم بظهور المهدی علیه السلام وخصائص ذلک وعلائم الظهور وکیفیة حکومته ومناهجها المختلفة. لقد أکبّ کبار علماء الشیعة منذ القرون الاولی حتی الیوم علی کتابة الکتب العدیدة بهذا الخصوص جمعوا فیها الأحادیث المتعلقة بالمهدی (عج). إنَّنا هنا نکتفی بذکر بعض الاحادیث من باب المثال، تارکین لمن یرید الاستزادة أنْ یرجع الی کثیر من الکتب المهمة التی ألفت فی هذا الموضوع، منها کتاب «المهدی» تالیف العالم الکبیر السید صدر الدین الصدر. قال رسول الاسلام صلی الله علیه و آله: «لو لم یبق من الدهر إلّایوم لطوّل اللَّه ذلک الیوم حتی یبعث رجلًا من أهل بیتی یملؤها قسطاً وعدلًا کما ملئت ظلماً وجوراً». «۱» وفی حدیث آخر عن الامام الصادق علیه السلام قال: «إذا قام القائم حکم بالعدل وارتفع الجور فی أیّامه وأمنت به السُبل وأخرجت الارض برکاتها ورد کل حق الی أهله ... وحکم بین الناس بحکم داود وحکم محمد صلی الله علیه و آله فحینئذ تظهر الارض کنوزها وتبدی برکاتها ولا یجد الرجل منکم یومئذ موضعا لصدقته ولبره لشمول الغنی جمیع المؤمنین»! «۲» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۷ ملاحظة: نعلم أنَّه فی زمان غیبة امام العصر (أرواحنا فداه) یستمر خط الامامة والولایة متمثلا فی نواب الامام علیه السلام. وقد جاء بحث ذلک فی کتاب «حکومت اسلامی» تحت عنوان «ولایت فقیه». فکّر وأجب: ۱- ما الاختلاف فی نظرة الذین یعبدون اللَّه والمادیین بالنسبة لمستقبل العالم؟ ۲- هل یمکن أنْ نستدل علی ظهور المهدی علیه السلام بالفطرة؟ کیف؟ ۳- هل هناک دلیل عقلی علی الظهور؟ ماهو؟ ۴- ماذا یقول القرآن بهذا الشأن؟ ۵- ما هی عقیدة السنة فی هذا الموضوع؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۶۹

الفصل الخامس معرفة المعاد

الدّرس ۱ سؤال مهم: هل الموت نهایة أم بدایة؟

معظم الناس یخافون الموت، لماذا؟

ینظر الکثیر الی الموت و کأنه صورة مخوفة و مرعبة، مجرد التفکیر فیها یحیل طعم الحیاة النهائی الی مرارة لاتطاق و لا تحتمل. فلا یخافون من اسم الموت فحسب بل ان ذکر القبر و المقبرة یدخل الرعب علی قلوبهم فیسعون الی زخرفة و تزیین القبور لکی تخرج من هذا الاطار المخیف. و بالرجوع الی عادات و تقالید مختلف شعوب العالم نجد آثار هذا الخوف من الموت بادیة للعیان، فیوصف بعفریت الهلاک، أو بمخلب الموت، أو بضربة الأجل، و أمثال ذلک. وإذا أرادوا ذکر اسم میت، سعوا الی تخفیف الموقف علی

السامع بتعبیرات مثل «أبعدنا اللّه عن ذلک» أو «اطال اللّه عمرک» وغیر ذلک. فلابدّ أنْ نعرف إذن ما الذی یدعو الناس الی أنْ یخافوا دائماً من الموت. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۲ ثم لماذا نجد، بخلاف ذلک، أناساً فضلًا عن کونهم لایخافون الموت، فإنَّهم یستقبلونه بالابتسامة ویفخرون بمقدمه؟ یحدثنا التاریخ عن أناس کانوا یبحثون عن ماء الحیاة واکسیر الشباب، وعن أناس آخرین کانوا یهرعون الی جبهات الجهاد بشغف، یواجهون الموت بترحاب و شوق، و قد یشکون من طول أعمارهم، لأنَّهم کانوا متلهفین للقاء الحبیب ورؤیة اللّه. و هذا ما شاهدناه فی جبهات الحق ضد الباطل، وکیف أنَّ مفاتلینا الابطال کانوا یسارعون الی سوح الشهادة و قد وضعوا ارواحهم علی اکفهم.

لماذا الخوف؟

اشارة

بالفحص والتمعن نستنتج أنَّ سبب الخوف من الموت أمران:

۱- تفسیر الموت بالفناء

إنَّ الانسان بطبیعته یهرب من العدم، فهو یهرب من المرض الذی یعنی انعدام الصحة، ویهرب من الظلام الذی یعنی انعدام النور، ویهرب من الفقر الذی یعنی انعدام الغنی، بل أنَّه یهرب احیاناً حتی من الدار الخالیة، ومن الانفراد فی الصحراء، لانعدام الرفیق فیهما. والعجیب أنَّه یرهب المیت نفسه، فهو یرفض مثلا أن یبیت مع جسد میت فی غرفة واحدة، مع أنَّه لم یکن یخاف هذا المیت قبل أنْ یموت! فما السبب یاتری فی خوف الانسان من العدم وهروبه منه؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۳ إنَّ السبب واضح، فالوجود معقود بالوجود ویألفه، ولایمکن أنْ یتآلف الوجود والعدم یوماً، لذلک فمن الطبیعی أنْ نکون غرباء علی العدم ونشعر بالخوف منه. فاذا نحن قلنا بأنَّ الموت هو نهایة کل شیء، وأنَّ بالموت یبلغ کل شیء خاتمته، عندئذ یحق لنا أنْ نخشاه وأنَّ نهرب حتی من اسمه ومظهره، لأنَّ الموت یسلبنا کل شیء. أمّا إذا اعتبرنا الموت بدایة حیاة جدیدة، حیاة خالدة، ونراه نافذة تفتح لنا علی العالم العظیم، عندئذ یکون من الطبیعی ألّا نخاف الموت، بل إنَّنا نهنیء الاطهار الذین یخطون نحوه بثبات مرفوعی الرأس!

۲- الصحائف السوداء

إنَّنا نعرف أناساً لایرون فی الموت معنی الفناء والعدم، لأنَّهم لاینکرون الحیاة بعد الموت، ولکنهم مع ذلک یخافون الموت وذلک لأنَّ صحائف أعمالهم قد اسودت الی درجة أنَّهم إنَّما یخافون العقوبات الألیمة التی یتوقعونها بعد الموت. إنَّ لهؤلاء الحق فی أنْ یخافوا الموت. إنَّهم أشبه بالمجرمین الخطرین الذین حُکم علیهم بالاعدام فهم یخافون الخروج من السّجن لتنفیذ الحکم علیهم، لأنَّهم یعلمون أنَّ خروجهم من السّجن یعنی تعلیقهم علی خشبة الاعدام، فهم، لذلک، یودون البقاء خلف قضبان السّجن، لالکرههم الحریة، إنَّما هم یکرهون الحریة التی تقودهم الی المشنقة. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۴ هکذا حال المسیئین، فهم یرون انعتاق أرواحهم من هذا السجن الضیق مقدمة لتحمل أنواع العذاب القاسی بسبب ما إرتکبوه من أعمال قبیحة ومن ظلم وجور وفساد، ولذلک فهم یخافون الموت. أمَّا الذین لایرون فی الموت «فناء»، و لایرون صحف أعمالهم سوداء، فما الذی یحملهم علی الخوف من الموت؟ إنَّهم، بالطبع، یریدون هذه الحیاة بکل شوق و یرغبون فیها، لکی یجعلونها فی خدمة حیاتهم الجدیدة بعد الموت، ویعدوا أنفسهم لاستقبال الموت الذی یکون فیه رضا اللّه، و هذا الهدف هو مدعاة یجعلونها فی خدمة للافتخار والاعتزاز.

نظرتان مختلفتان

قلنا إنَّ النّاس فریقان: فریق، وهم الأکثریة، یخافون الموت ویهربون منه. وفریق آخر یستقبلون الموت، الذی یکون فی سبیل هدف عظیم، کالشهادة فی سبیل اللّه، بقلوب رحبة، أو أنَّهم، علی الأقل، إذا أحسوا بدنو الموت لایداخلهم همّ ولاغمّ أبداً. والسبب هو أنَّ کلًا منهما یختلفان فی النظرة. الفریق الاوّل: إمّا أنَّ یکونوا من الذین لایؤمنون بوجود عالم بعد الموت، وإمّا أنَّهم لایصدقون بوجوده کل التصدیق، ولذلک ینظرون الی لحظة الموت وکأنَّها لحظة فراقهم لکل شیء. إنَّ مفارقة کل شیء والخروج من النور الی الظلام المطلق أمر صعب الیم، کحال من یخرجونه من السجن لیقدموه دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۵ للمحاکمة عن جریمه ثابتة علیه، فهی حالة رهیبة من الخوف. أمّا الفریق الثّانی: فیری الموت ولادة جدیدة وخروجاً من الحیاة الدنیا و محیطها الضیق المظلم، ودخولًا الی عالم وسیع نیّر. إنَّ التحرر من قفص ضیق صغیر، والتحلیق فی السّماء الفسیحة، والخروج من ذلک المحیط الملیء بالخصام والنزاع وضیق النظر والعلم والحقد والحروب، والدخول الی عالم قد تطهر من کل هذا التلوث، لاشک یجعل الموت أمراً مرغوباً فیه عند هذا الفریق الثّانی، فلا یخافون منه أبداً. یقول الامام علی علیه السلام: «واللّه لابن أبی طالب آنس بالموت من الطفل بثدی أُمّه». أو کما قال الشّاعر الفارسی: مرگ گر مرد است گو نزد من آی تا در آغوش بگیرم تنگ تنگ!! من ز او جانی ستانم جاودان او زمن دلقی ستاند رنگ رنگ!! قل للموت اذا کان شجاعاً فلیدنو منی کی أضمه الی صدری و احتضنه بحضنی و لیأخذ منی ردائی الذی حلا لونه و یهبنی الخلود و راحة نفسی إذن لیس من المستغرب أنْ نصادف فی التاریخ رجالًا مثل الامام الحسین علیه السلام ومثل أصحابه المضحین، کلما ازدادت لحظة الشهادة قرباً منهم، ازدادت فرحتهم واشتد شوقهم الی لقاء الحبیب وتلألأت وجوههم لقرب اللقیا. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۶ وهذا هو نفسه الذی نقرأه فی تاریخ حیاة الامام علی علیه السلام العظیمة، فعند ما أهوی ذلک المجرم الاثیم، بالسیف علی رأسه الشریف، صاح قائلًا: «فزت ورب الکعبة!». بدیهی أنْ لایعنی هذا الکلام حثّ الناس علی إلقاء أنفسهم فی التهلکة و الزهد فی هبة الحیاة العظیمة التی وهبها اللّه لهم، فلا یستثمرونها للوصول الی اهدافهم الکبری. بل المقصود هو حمل الانسان علی استغلال الحیاة استغلالًا سلیماً، دون أنْ یعتریهم الخوف من انتهائها، وخصوصاً إذا کانت الغایة هدفاً عظیماً وسامیاً. فکّر وأجب: ۱- لماذا یخاف الناس من الموت؟ أذکر الأسباب. ۲- لماذا یستقبل بعض الناس الموت مبتسمین ویعشقون الشهادة فی سبیل اللّه؟ ۳- بم یمکن تشبیه لحظة الموت؟ ما شعور المؤمنین المخلصین فی تلک اللحظة، وما شعور المسیئین عدیمی الایمان؟ ۴- هل إتفق لک أنْ رأیت بنفسک أشخاصاً لایرهبون الموت؟ ماهی انطباعاتک عنهم؟ ۵- ما الذی قاله علی علیه السلام بشأن الموت؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۷

الدّرس ۲ المعاد و مفهوم الحیاة

اشارة

إذا تصورنا الحیاة الدنیا بدون عالم الآخرة، لظهر لنا ان الدنیا لاتمثل شیئاً و لا معنی لها علی الاطلاق، و یشابه ذلک تصور دورة حیاة الجنین فی بطن أمه دون أن یخرج من تلک الحیاة الی الحیاة الدنیا. إنَّ الجنین الذی یعیش فی رحم امّه، ویقضی فی هذا السجن الضیق والمظلم شهوراً عدة، لیأخذه العجب حقّاً لو أنَّه اوتی عقلًا و حکمة لیفکر بهما فی أمره و تلک المرحلة التی قضاها فی سجنه ذاک: لماذا أنا حبیس فی هذا السجن المظلم؟ لماذا قُضّی علی أنْ أخوض فی هذه المیاه والدماء؟ مانتیجة ذلک؟ من الذی أرسلنی؟ ولماذا؟ أما إذا قیل له: إنَّک تقضی هنا فترة مؤقتة، تتشکل فیها اعضاؤک، فتقوی، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۸ وتصبح قادراً علی الحرکة والسعی فی عالم کبیر آخر، وإنَّ قرار خروجک من هذا السجن سوف یصدر بعد انقضاء تسعة أشهر، فتضع قدمک فی دنیا فیها شمس ساطعة، وقمر منیر، واشجار خضر، ومیاه جاریة، وکثیر من النعم الاخری عندئذ سیتنفس الجنین الصعداء ویقول:

الآن أدرکت الحکمة من وجودی فی هذا السجن! فهذه الدّنیا مقدّمة، أنّها منصة القفز، أنّها المدرسة التی تعدّ المرء لدخول الجامعة الکبیرة. أما إذا قطعت علاقة حیاة الجنین بالحیاة فی هذه الدنیا، لغرق کل شیء فی الظلام ولم یعدله أی معنی، ولکان السجن رهیباً ومستقبل السّجین ألیما. کذلک هی العلاقة بین الحیاة فی هذه الدنیا والحیاة بعد الموت. ما الداعی الذی یدعونا أنْ نظل نتقلب فی هذه الدنیا سبعین عاماً، أو أقل أو أکثر، متحملین العذاب والعناء، نقضی فترة اخری ندرس و نتعلم، وما أنْ تنتهی مرحلة النضج والتعلم حتی نجد ثلوج الکهولة قد سقطت علی رؤوسنا! ثم ما الهدف من کل هذا؟ هل اننا وجدنا لکی نأکل ونلبس وننام، ثم لکی نکرر هذا عشرات السنین؟ هل أن هذه السماء الشاسعة. وهذه الارض الواسعة، وکل هذه المقدمات والدرس واختزان المعلومات والتجارب، وکل هؤلاء الاساتذة والمربین، لم یکونوا إلّاللأکل والشرب واللبس فی هذه الحیاة المنحطة الرتیبة؟ هنا تتأکد عبثیة هذه الحیاة وفراغها عند اولئک الذین لایؤمنون بالمعاد، لأنّهم لایمکن أن یتصوروا هذه الأمور التافهة هی الهدف والغایة من الحیاة، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۷۹ وهم فی الوقت نفسه لایعتقدون بوجود حیاة بعد الموت حتی تکون هی الغایة. لذلک نجد أنَّ کثیراً من هؤلاء یلجأون الی الانتحار للخلاص من حیاة عدیمة المعنی والهدف. أمّا إذا صدّقنا أنَّ الحیاة «مزرعة» الآخرة، وأنَّ علینا أنْ نباشر بالبذر هنا حتی نحصد الغلة فی حیاة أبدیة خالدة. وإذا علمنا أنَّ الدّنیا «جامعة» علینا أنْ نکتسب منها المعرفة لنعد أنفسنا للعیش فی دنیا خالدة، وأنَّ هذه الدنیا لیست سوی «جسر» للعبور. عندئذ لاتکون هذه الدنیا فارغة ولاعبثاً لامعنی له، بل سوف نراها فترة تمهیدیة اعدادیة لحیاة خالدة وأبدیة تستحق منّا أکثر من کل هذا الذی نبذله من أجلها. نعم، إنَّ الایمان بالمعاد یمنح الحیاة معنی ومفهوماً، ویخلصها من «الاضطراب» و «القلق» و «العبثیة».

الایمان بالمعاد عامل تربوی

إنَّ للاعتقاد بوجود محکمة العدل العظمی فی الآخرة تأثیراً کثیراً فی الحیاة، بالاضافة الی ما سبق قوله. أفرض أنَّهم أعلنوا فی البلاد أنَّه إذا ارتکب الناس أی جرم فی الیوم الفلانی من السنة فلن یعاقبوا ولن یذکر ذلک فی صحیفة أعمالهم، وأنَّ لهم أنْ یقضوا یومهم بکل اطمئنان، لأنَّ رجال الشرطة سوف یکونون فی اجازة، وسوف تتعطل المحاکم، وعندما تعود الحیاة العادیة الی مجراها الطبیعی فی الیوم التالی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۰ فإنَّ جرائم الیوم السابق سوف تنسی. لکم أنْ تتصوروا کیف سیکون حال المجتمع فی ذلک الیوم! إنَّ الایمان بیوم القیامة هو الایمان بدار عدالة عظیمة لایمکن مقارنتها بمحاکم هذه الدنیا. أمَّا خصائص محکمة العدل الإلهیة فهی: ۱- إنَّها محکمة لاتتأثر بالوساطات، ولا بالمحسوبیات ولا المنسوبیات و لا ینخدع قضاتها بالأدلة المزیفة. ۲- إنَّها محکمة لاتحتاج الی المراسیم والتشریفات السائدة فی محاکم الدنیا، ولذلک فلیس فیها تأجیلات وتأخیرات، بل تنظر فی القضایا بسرعة البرق وتصدر احکامها بمنتهی الدّقة. ۳- إنَّها محکمة لاتستند إلّاالی أعمال الشخص نفسه، أی إنَّ الاعمال تحضر هناک وتثبت علاقتها بفاعلها بحیث لایمکن انکارها. ۴- إنَّها محکمة، الشهود فیها أعضاء المتهم: یده ورجله واذنه وعینه ولسانه وجلده، وحتی أرض الدار وأبوابها وجدرانها حیث ارتکب معصیة أوأدی فروض الطاعة، وهم شهود لایمکن انکارهم کآثار أعمال الانسان الطبیعیة. ۵- إنَّها محکمة قاضیها هو اللَّه العلیم بکل شیء، والغنی عن کل شیء، والعادل الذی لایضاهی عدله عادل. ۶- وأخیراً، الجزاء فی هذه المحکمة لیس محدداً من قبل، بل أکثر ماتحدده أعمالنا نفسها، إذ أنَّها تتشکل وتستقر الی جانبنا، فتعذبنا أوترفه عنا وتغرقنا فی نعم اللَّه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۱ إنَّ الایمان بوجود محکمة کهذه یؤدی بالانسان الی أنْ یردد ماقاله الامام علی علیه السلام: «واللَّه لأنْ أبیت علی حسک السعدان مسهداً، أوأجر فی الاغلال مصفداً، أحبّ الیَّ من أنْ ألقی اللَّه ورسوله یوم القیامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشیء، من الحطام ...» «۱» إنَّ الایمان بهذه المحکمة هو الذی یحمل علیاً علیه السلام لأن یقرب حدیدة محماة الی ید أخیه الذی کان یرغب بالمحاباة فی بیت المال وعندما یرتفع صراخ الاخ یوجه الیه النصیحة قائلا: «ثکلتک الثواکل یاعقیل! أتئن من حدیدة احماها انسانها للعبه، وتجرنی الی نار سجرها جبارها لغضبه ...» أیمکن أنَّ ینخدع انسان له

مثل هـذا الایمان؟ أیمکن بالرشوة ابتیاع ضـمیر انسان کهـذا؟ أیمکن بالوعد والوعید حرف مسیرته من طریق الحق الی طریق الباطل؟ یقول القرآن المجیـد: ی وَوُضِعَ الکِتَابُ فَتَری الُمجْرِمِیْنَ مُشْـفِقِیْنَ مِمّا فِیهِ وَیَقُولُونَ یا وَیلَتَنا مالِ هَـذَا الکِتَابِ لایُغادِرُ صَـغِیرَةً وَلا کَبِیْرَةً إلّاأحْصَاها ... ی «۲» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۲ وهکـذا تنبعث فی روح الانسان موجة قویة من الاحساس بالمسؤولیة ازاء کل عمل من أعماله تحول بینه وبین الضـیاع و الانحراف نحو الظلم والعـدوان. فکّر وأجب: ۱- لو لم یکن هناک عالم آخر بعـد هذه الحیاة الدنیویة المحددة والموقتة، فما الذی کان سیحدث؟ ۲- لماذا یسعی بعض الذین ینکرون المبدأ والمعاد إلی التخلص من الحیاة بالانتحار؟ ۳- ما هی الاختلافات بین محکمـة یوم القیامـة والمحاکم فی هذه الدنیا؟ ۴- مـا تأثیر الایمان بالمعاد علی أعمال الانسان؟ ۵- ما الـذی قاله أمیرالمؤمنین علیه السـلام لاخیه عقیل؟ ماذا کان یریـد عقیل من الامام علی علیه السـلام؟ ماذا کان جوابه له؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۳

الدّرس ۳ محکمة الضمیر مثال لمحکمة یوم القیامة

لما کانت قضـیة الحیاة بعد الموت ومحکمة یوم القیامة العظیمة تعتبر قضیة جدیدة علی انسان یعیش فی هذه الدنیا الضیقة المحدودة، فإنَّ اللّه أوجد لنا مثلًا مصغراً لتلک المحکمة فی هذه الدنیا و هی محکمة الضمیر، إلّاأنَّها کما قلنا صورة مصغرة لها. دعونا نوضح هذا الموضوع: یحـاکم الانسـان علی الأعمـال التی یقوم بهـا فی عـدد من المحـاکم. أوّلهـا هی المحاکم البشـریة العادیـة، بکل ما فیها من ضعف ونقص وانحرافات. وعلی الرّغم من إنَّ لهذه المحاکم بعض التأثیر فی تخفیف نسبة ارتکاب الجرائم، إلّاأنَّ الاسس التی أقیمت علیها هـذه المحاکم لا تتکفل تحقیق العدالـة کاملـة، ولا یمکن أنْ ینتظر منها ذلک. فالقوانین الموضوعـة والقضاة الفاسـدون وتفشـی الرشوة والمحسوبیـات والمنسوبیات والمناورات السیاسـیة وآلاف الأُمور دروس فی العقائـد الاسـلامیة، ص: ۲۸۴ الأخـری تؤدی کلها الی إضـعافها الی درجـة یمکن القول معهـا بـأنَّ عـدمها خیر من وجودهـا، وذلـک لأنَّ وجودها یساعـد علی تنفیـذ مآرب المتنفـذین المشؤومـة. وحـتی لـو کـانت قوانینهـا عادلـة. وقضاتهـا متقیـن وواعین، فـإنَّ هنـاک الکـثیر من المجرمین القـادرین علی اخفـاء معـالم جرائمهم، أو الماهرین الذین یسـتطیعون تزییف المستندات والأدلة بحیث لایجد القاضی طریقه بوضوح، فیجردون القوانین بذلک من محتواها. المحکمة الثانیة التی یحاکم فیها الانسان هی محکمة «جزاء الاعمال». إنَّ لأعمالنا آثاراً ونتائج تصـیبنا علی المدی القریب أو البعیـد. وإذا لم یکن هـذا حکمـاً عاماً، فإنَّه یصـدق فی الاقل بالنسـبة لکثیر من الناس. لقـد رأینا حکومات شـیدت حکمها علی الظلم والجور والاعتـداء ولم تـأبی من ارتکاب أی جریمـة شاءت، ولکنها فی النهایـة وقعت فی فخاخ نصـبتها بنفسـها لنفسـها و سـقطت فی شبـاک نسـجت خیوطها بیـدها، فحاقت بها ردود افعالها، فانهارت وتلاشت حتی لم یبق لها أثر. ولما کانت نتائـج الاعمال هی العلاقة بین العلـة والمعلول والعلائق الخارجیـة، فقلما اسـتطاع أحـد أنْ ینجو من مخالبها بالتزویر والتزییف، کما یفعلون فی المحاکم العادیـة. ولکن کل ما فی الأمر إن هـذه المحاکم لیست عامّـة وشاملـة، ولهـذا فهی لیست قادرة علی جعلنا فی غنی عن محکمة یوم القیامة. أمّا المحکمـة الثالثـة، وهی أدق وأقسـی من محـاکم النوع الثـانی، فهی محکمـة الضـمیر. وفی الواقع، کما أنَّ المنظومـة الشمسـیة بنظامها العجیب قد تمثلت مصغرة جداً دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۵ فی قلب الذّرة، کذلک یمکن القول بأنَّ محکمة یوم القیامة قد تمثلت بشـکل مصـغر فی داخلنا. إنَّ فی أعماق الانسان قوة غامضة یطلق علیها الفلاسـفة اسم «العقل العملی»، ویسـمیها القرآن «النفس اللوّامـة»، ویصـطلح علیها المعاصـرون باسم «الضـمیر» أو «الوجـدان». فما أنْ یقوم الانسان بعمل ما، خیراً کان أم شـراً، حتی تعقـد هذه المحکمة جلسة بدون ضوضاء ولاتشریفات، ولکن بکل جد ووفق الاصول، وتبدأ المحاکمة، ویصدر الحکم، ثواباً أوعقاباً، یتم تنفیذه بهیئة آثار نفسـیة. قد یکون عقاب المجرمین أحیانا من الشدة والقسوة بحیث یتمنی المجرم الموت ویستقبله بکل ترحاب ویفضله علی الحیاة، ویکتب فی وصـیته: انتحرت تخلصا من عـذاب الضـمیر! واحیانا یکون الثواب علی عمل الخیر کبیراً یشـیع الفرحة والسـرور فی نفس فاعله ویضـفی علیه حالة من الاطمئنان والهدوءالنفسـی مما یصـعب وصف مافیه من العذوبة واللذة. إنَّ لهذه المحکمة خصائص

معینة: ۱- فی هذه المحکمة قاضیها وشاهدها ومنفذ أحکامها والمتفرج فیها واحد، وهو الضمیر الذی یشهد ویقضی ویصدر الحکم ثم یشمر عن ساعد الجد وینفذ الحکم. ۲- فی هذه المحکمة بخلاف ما یجری فی المحاکم العادیة التی یکثر فیها الضوضاء والمظاهر، وقد تطول فیها محاکمة قضیة واحدة سنوات طویلة- دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۶ تجری المحاکمة بسرعة البرق فی أکثر الحالات إلّاإذا اکتنف القضیة بعض الغموض مما یتطلب بعض الوقت لفحص أدلة القضیة وإزاحة حجب الغفلة عن نظر القلب، ولکن بعد التأکد یکون صدور الحکم قطعیاً. ۳- الحکم فی هذه المحکمة یتم فی مرحلة واحدة، فلا استئناف ولا تمییز، بل هو حکم نهائی و قاطع. ۴- هذه المحکمة لاتصدر أحکام العقوبات فقط، بل هی تحکم بالجزاء و الاثابة. أی إنَّها محکمة تنظر فی قضایا المجرمین والمحسنین معا، فتعاقب المسیء وتثیب المحسن. ۵- عقوبات هذه المحکمة لاتشبه عقوبات المحاکم العادیة، أذ لیس فیها سجون حقیقیة، ولا سیاط للجلد، ولا أعواد للشنق، ولا محرقة للحرق، ولکن عقابها یکون احیاناً حارقاً وسجنها قاسیاً بحیث إنَّ الدنیا علی سعتها تضیق بالانسان، کما یضیق به سجن انفرادی فی سجن رهیب. وعلیه، فان هذه المحکمة لا تشبه أیا من المحاکم العادیة، بل هی من نوع محکمة یوم القیامة. و هذه المحکمة من العظمة بحیث إنَّ القرآن یقسم بها کما یقسم بمحکمة المعاد، فیقول: ی لا أُقْسِمُ بِیَومِ القِیَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ أیَحْسَبُ الانْسَانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَی قادِرینَ عَلَی أنْ نُسَوِّیَ بَنَانَهُی «۱» بدیهی إن هذه المحکمة، لکونها دنیویة علی کل حال، فیها من النقائص ما دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۷ لایجعلنا نستغنی عن محکمة یوم القیامة، وذلک: ۱- لأنَّ نطاقها ضیق لایستوعب کل شیء، بل تتناسب مع نطاق تفکیر الانسان نفسه وإدراکه. ۲- هنالک أشخاص علی درجة من المکر والدهاء بحیث إنَّهم یستطیعون أنْ یخدعوا حتی ضمائرهم ویحرفوها. ۳- قد یکون نداء الضمیر فی بعض المجرمین من الضعف بحیث إنَّه لایصل الی مسامعهم. وهکذا یتبین لنا أنَّ وجود المحکمة الرابعة، محکمة یوم القیامة، أمر لابدّ منه. فکّر وأجب: ۱- کم محکمة یحاکم فیها الانسان فی الواقع؟ ۲- ماهی خصائص المحکمة الاولی، وما اسمها؟ ۳- ماهی ممیزات المحکمة الثانیة؟ ۴- ماهی خصائص المحکمة الثالثة؟ ۵- عدد نقاط ضعف محکمة الضمیر ومیزاتها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۸۹

الدّرس ۴ المعاد فی تجلیات الفطرة

اشارة

یقولون إنَّ معرفة النفس تنبع من الفطرة وجبلة الانسان. وإذا استطلعنا ضمیر الانسان الواعی وغیر الواعی لتبین لنا إیمانه وتعلقه بمبدأ ما وراء الطبیعة فیری أن الذی خلق هذا العالم و هو الخلاق العلیم خلقة بحکمة، و وفق برنامج، ومن أجل هدف معین. إلّا أنَّ هذا لا یقتصر علی «التوحید ومعرفة اللّه»، فجمیع أصول الدین وفروعه یجب أنْ تکون فی الفطرة أیضاً، وإلّا فإنَّ الانسجام بین اجهزة «التشریع» و «التکوین» لا یتحقق (فتأمل!). ولکننا إذا ألقینا نظرة فاحصة فی قلوبنا واستطلعنا أعماق أرواحنا، لسمعنا بأذن أرواحنا تمتمة تقول: إنَّ الحیاة لاتنتهی بالموت، لأنَّ الموت نافذة علی عالم البقاء! ولکی تتجلی لنا هذه الحقیقة لابدّ لنا من الانتباه الی النقاط التالیة:

۱- حبّ البقاء

إذا کان الانسان قد خلق لکی یموت ویفنی، فلابدّ أن یحب الفناء وأنْ یستمتع بلذه الموت فی نهایة عمره. ولکننا نشهد أنَّ ملامح الموت (بمعنی العدم) لم تکن فی یوم من الایّام شیء یثیر البهجة فی قلب الانسان، بل إنَّه بخلاف ذلک، یهرب من رؤیة الموت بکل ما أوتی من قوّة. هذه الحقیقة تؤکدها جهود الانسان التی یبذلها لاطالة عمره، وللبحث عن اکسیر الشباب، وللعثور علی ماء الحیاة. إنَّ هذا التعلق بأذیال الحیاة لدلیل علی إنَّنا قد خلقنا للبقاء، لا للموت إذ لو کنا قد خلقنا للفناء لما أحببنا الحیاة الی هذا الحد. إنَّ جمیع

أنواع الحبّ البناءة الكامنة فی اعماقنا تعمل علی ایصالنا الی الكمال والتكامل، ومن ذلك حبّ البقاء، فهو یكمل وجودنا. و لاتنسوا أنّنا نتابع بحث «المعاد» بعد قبولنا بوجود اله حكیم علیم. إننا نؤمن بأنّ كل ما أودعه اللّه فی داخلنا كان لحكمة وحساب. ومن هنا لابدّ أنّ تكون هناك حكمة فی هذا الحب الذی نشعر به للبقاء، وما هذه الحكمة سوی وجود عالم یكون بعد هذا العالم.

۲- یوم القیامة عند الماضین

إنّ التاریخ الذی یشهد بوجود الادیان علی اختلافها عند الأقوام الماضیة منذ أقدم الأزمنة، یشهد كذلك بأنّ الانسان القدیم كان یؤمن أیضاً «بالحیاة بعد الموت». دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۱ إنّ الآثار الباقیة من الانسان القدیم، وخاصة من انسان ما قبل التاریخ، فیما یتعلق بطراز تشیید القبور، وطریقة دفن الاموات، تدل جمیعها علی حقیقة اعتقادهم بالحیاة بعد الموت. وعلیه لایمكن اعتبار هذه العقیدة العمیقة الجذور فی تاریخ البشر عقیدة بسیطة، ولاكونها عادة لقنت لهم تلقینا. إنّنا كلما صادفنا فی تاریخ الانسان عقیدة ذات جذور عمیقة ومستمرة علی امتداد العصور، أدركنا أنّها عقیدة فطریة، إذ إنّ الفطرة وحدها هی التی تستطیع أن تقاوم التغییرات و التحولات مرور الزمان الاجتماعیة والفكریة المختلفة، وتبقی ثابتة. أمّا العادات والرسوم الخارجیة فما أسرع ما تتبدل أو یلفها النسیان بمرور الزمان. إنّك اذ تلبس النوع الفلانی من الملابس إنّما أنت تساير العادات أو الرسوم المتبعة، وهذا سرعان ما یعتریه التغییر و التبدل بمرور الزمان و عوامل أُخری كثیرة. أمّا حبّ الأُم لطفلها فانّه غریزة متمكنة جبلت علیها طبیعتها، لذلك لاینتابه أی تبدل مهما تغیرت الظروف والأحوال، بل تظل شعلته ملتهبة، لا یخفف منه تعاقب الایّام، ولا یحول لونه غبار النسیان، وكل جاذبیة نابعة من داخل الانسان فهی من الفطرة الكامنة فیه. عندما یقول العلماء: «لقد أثبتت الدّراسات الدقیقة أن الاقوام الأولی البدائیة من البشر كانت تؤمن بنوع من الأدیان وذلك دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۲ لأنهم كانوا یدفنون موتاهم بطریقة خاصة، ویدفنون معهم أدوات عملهم، وبهذا یمكن إثبات أنهم كانوا یعتقدون بوجود العالم الآخر». «۱» ندرك أنّ تلك الأقوام قد تقبلوا فكرة وجود عالم آخر بعد الموت، وإنّ اخطأوا السبیل الیه، ظناً منهم أنّه لایختلف بشی عن عالمهم الاول، وأنّ الأدوات التی كانوا یستعملونها فی الدنیا تنفعهم فی العالم الآخر أیضاً.

۳- محكمة (الضّمیر) دلیل آخر علی فطریة المعاد

سبق أنّ قلنا إننا نشعر بكل وضوح أنّ هناك فی داخلنا محكمة تنظر فی اعمالنا واقوالنا، تثیبنا علی الحسنة منها، فنحسّ علی أثر ذلك بالراحة والاطمئنان والهدوء النفسی والفرح والنشاط ممّا لایتاتی لقلم أنْ یصفه. كما أنّها تعاقبنا علی السیئة منها، وعلی الأخص الذنوب الكبیرة، فعقابها علیها یكون من الشدة والقسوة بحیث تحیل الحیاة كالعلقم مرارة. كثیراً ما لوحظ أن مجرمین بعد أنْ یرتكبوا جریمة كبری، كالقتل، ویفلتون من قبضة العدالة، یعودون ویسلمون أنفسهم الی المحكمة، ویصعدون المشانق طوعاً، قائلین إنّهم یریدون الخلاص من عذاب الضمیر. عندما یمعن المرء فكره فی هذه المحكمة الباطنیة ینتابه العجب: كیف یمكن أنْ یوجد فی داخلی مثل هذه المحكمة، وأنا هذا الكائن الصغیر، و لا توجد فی عالم الخلیقة العظیم محكمة تتناسب معه؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۳ وبناء علی ما تقدم نستطیع أنّ نثبت بثلاثة طرق فطریة المعاد وبوجود عالم آخر بعد هذا العالم: طریق حبّ البقاء. طریق التّاریخ الذی یؤكد إیمان البشر بهذه الفكرة منذ الأزمنة السحیقة. طریق المثال المصغر الموجود فی باطن الانسان. فكّر وأجب: ۱- كیف یمكن تمییز الأمور الفطریة عن غیر الفطریة؟ ۲- لماذا یحبّ الانسان البقاء؟ وكیف یعتبر هذا دلیلًا علی أنّ المعاد من الأمور الفطریة؟ ۳- هل آمنت الاقوام القدیمة بالمعاد؟ كیف؟ ۴- كیف تقوم محكمة الضمیر بمكافأتنا أو بمعاقبتنا؟ اذكر نماذج لذلك. ۵- ما العلاقة بین محكمة الضمیر والمحكمة الكبری یوم القیامة؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۵

الدّرس ۵ البعث فی میزان العدالة

اشارة

إذا أمعنا النظر فی نظام عالم الوجود وسنن الخلق نجد أنَّ ثمة قانوناً یحکمها جمیعاً ویضع کل شیء فی مکانه المناسب. ففی جسم الانسان نری هذا النظام العادل قد رکبّ فیه بدرجة من الدقة المتناهیة بحیث إنَّ أقل اختلال فی توازنه یؤدی به الی الأصابة بالمرض، أو الموت. خذ مثلًا، ترکیب القلب، أو العین، أو الدّماغ، تجد أنَّ کلّ جزء فیها قد وُضع فی مکانه المناسب بکل دقة وبالقدر اللازم. إنَّ هذا التنظیم المناسب العادل لایقتصر وجوده علی جسم الانسان، بل هو سائد فی کلّ أجزاء عالم الخلیقة، أذ: «بالعدل قامت السموات والأرض». إنَّ حجم الذّرة من الدقة والصغر بحیث أنک تستطیع أنْ تضع ملایین منها دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۶ علی رأس إبره، فتأمل کیف یجب أنْ یکون ترکیبها من الدقة والتنظیم بحیث یمکن لها أنْ تدیم حیاتها ملایین السنین. إنَّ هذا ناشیء من العدالة فی الحسابات الدقیقة لنظام الالکترونات والبروتونات، وما من جهاز صغیر أو کبیر یخرج عن دائرة هذا النظام العجیب. فهل الانسان حقّاً کائن استثنائی؟ وإنَّه قطعة سوداء فی جسد هذا العالم الکبیر الأبیض؟ وانَّه لهذا السبب یجب أنْ یسرح ویمرح حراً، لایلتزم بأی نظام و یرتکب مایشاء من ظلم واعتداء؟ أم إنَّ هناک سراً فی هذا الأمر؟

حریة الارادة والاختیار

الحقیقة هی إنَّ الانسان یختلف إختلافاً أساسیاً عن سائر الکائنات فی عالم الوجود، و ذلک لانه یملک حریة الارادة والاختیار. لماذا خلقه اللَّه حراً، وأوکل الیه اتخاذ القرارات والقیام بما یشاء من أعمال؟ السبب هو إنَّه لو لم یکن حراً لما استطاع أنْ یحقق تکامله، فهذا الامتیاز الکبیر هو الذی یضمن تکامله الأخلاقی والمعنوی. لو أنَّ شخصاً أجبر بالقوة علی إعانة المستضعفین والقیام بأعمال أُخری تفید المجتمع، فإنَّ هذه الاعمال قد تسیر فی طریقها، ولکنها لن تکون دافعاً لهذا الشخص علی التکامل الاخلاقی والانسانی أبداً. أما إذا قام بعشر تلک الاعمال الخیرة بمحض ارادته یکون قد تقدم بالنسبة نفسها علی طریق التکامل المعنوی والاخلاقی. بناء علی ذلک، فإنَّ أوّل شرط من شروط التکامل المعنوی والاخلاقی هو دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۷ امتلاک حریة الارادة والاختیار حتی یقوم الانسان بالسیر فی هذا الطریق بمحض رغبته وارادته، لابالجبر والاکراه، کما هی حال عناصر الطبیعة الاخری فاللَّه سبحانه وتعالی لم یهب الانسان هذه الهبة العظیمة إلّالهذا الغرض السامی. بید أنَّ هذه النعمة الکبری أشبه بالورد الذی یحیط به الشوک، وهو سوء استغلال الناس لهذه الحریة والتلوث بالظلم والفساد والذنوب. بدیهی إنَّ اللَّه تعالی لم یکن یمنعه شیء من أنْ یعاقب کل ظالم فوراً بعقاب یجعله یمتنع عن التفکیر بتکرار ذلک، کأنَّ یشل یده، أو یعمی بصره، أو یخرس لسانه. صحیح إنَّ أحداً، فی هذه الحالة، لن یجرؤ علی إساءة استعمال حریته ولن یقرب الاثم طوال حیاته، غیر أنَّ هذه العفة والتقوی تکون إجباریة قسریة، ولا تعتبر مدعاة لافتخار الانسان واعتزازه، بل تکون نتیجة الخوف من العقاب الصارم الفوری. لذلک لابدّ أنْ یکون الانسان حراً وان یجتاز الامتحانات التی یقررها له اللَّه تعالی وأن لایعاقب فوراً، إلّافی حالات استثنائیة، لکی یستطیع أن یکشف عن قیمته فی الوجود. إلّا أنَّ هناک موضوعاً آخر، وهو إنَّه إذا استمرت الحال علی هذا المنوال واختار کل أحد طریقه، فإنَّ قانون العدالة الالهیة الذی یسیطر علی عالم الوجود یتعرض للخطر. من هنا یتبین لنا ضرورة وجود محکمة ودار عدالة للبشر، وأن علی الجمیع دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۸ الحضور فیها بدون استثناء لینال جزاء أعماله بموجب عدالة عالم الخلق. أیصحّ أنْ یقضی أشخاص مثل نمرود وفرعون وقارون وجنکیز أعمارهم یظلمون ویعتدون ویفسدون، ثم لایکون وراءهم حساب ولاعقاب؟ أیجوز أنْ یقف المجرمون والمتقون علی قدم المساواة فی کفة میزان العدالة الإلهیة؟ أو کما یقول القرآن: ی أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِینَ کَالْمُجْرِمِینَ* ما لَکُم کَیْفَ تَحْکُمُونَ «۱» و ی أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجَّارِ. «۲» صحیح إنَّ بعض المجرمین ینالون عقابهم علی أعمالهم فی هذه الدنیا، أو جزءاً

من ذلک العقاب، وصحیح إن مسألة محکمة الضمیر مسألة مهمة، وصحیح أیضاً إنَّ نتائج الذنوب والظلم والتعسف تحیق احیاناً بالانسان نفسه، ولکننا بامعان النظر فی هذه الحالات الثلاث ندرک أنَّها لیست عامة شاملة بحیث تعم کل ظالم ومذنب فینال کل نصیبه من العقاب بما یتناسب وجریمته، وأنَّ هناک الکثیرین الذین یهربون من مخالب عقاب محاکمات الضمیر ونتائج أعمالهم، أو لاینالون من العقاب مایکفی. فلأ مثال هؤلاء، ولکی تکون هناک محکمة عدل عامة لمحاسبة الناس حتی علی مقدار رأس الابرة من العمل الحسن أو السیء، تقام محکمة العدل یوم القیامة، وإلّا فإنَّ مبدأ العدالة لایمکن أن یتحقق. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۲۹۹ بناء علی ذلک، فان القبول «بوجود اللّه» و «عدالته» یستدعی القبول بالبعث ومحکمة یوم القیامة، ولایمکن الفصل بین هذین أبداً. فکّر وأجب: ۱- کیف قامت السموات والارض بالعدل؟ ۲- لماذا وهب الانسان نعمة حریة الارادة والاختیار؟ ۳- ماذا کان سیحدث لو أنَّ المسیئین نالوا عقابهم فوراً علی جرائمهم فی هذه الدنیا؟ ۴- لماذا لا نستغنی بثواب أعمالنا، وبمحکمة الضمیر وبنتائج أعمالنا، عن محکمة یوم القیامة؟ ۵- ما العلاقة بین «العدالة الالهیة» و «المعاد»؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۱

الدّرس ۶ مشاهدة الحساب فی هذا العالم

مما تقدم من الآیات القرآنیة نستنتج أن عبدة الأصنام والکفار فی عصر الرسول الاکرم صلی الله علیه و آله لم یکونوا هم وحدهم الذین ینکرون مسألة المعاد والحیاة بعد الموت ویخشونها، بل کانت أقوام فی عصور سابقة تری هذا الرأی، و تصف القائلین به بالجنون، وتقول: ی هَلْ نَدُلُّکُم عَلَی رَجُلٍ یَنَبِّئُکُم إذا مُزِّقْتُم کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُم لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ* افْتَرَی عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ. «۱» نعم، یومئذ کان الناس لجهلهم وقصر نظرهم یتهمون من یعتقد بعالم مابعد الموت وبالحیاة الأخرویة بالجنون، أو بالتقول علی اللّه، قائلین إن الزعم بانبعاث الحیاة فی المادة المیتة جنون. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۲ والذی یلفت النظر هو إنَّ القران یواجه هذه الافکار بمجموعة من الاستدلالات المختلفة التی تنفع الفرد العادی کما تنفع العالم المتبحر، کلًا علی قدر مستواه العقلی. وعلی الرغم من إنَّ شرح هذه الاستدلالات القرآنیة یتطلب کتاباً منفصلًا، فإنَّنا نبادر الی ذکر بعض نماذجها: ۱- یخاطبهم القرآن فی بعض آیاته قائلا: إنَّکم ترون بأم أعینکم مشاهد من المعاد فی حیاتکم الیومیة، فترون کیف تموت الکائنات وکیف تعود الی الحیاة، فکیف تشکون فی المعاد بعد کل هذا؟ ی واللَّهُ الّذی أرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیْرُ سَحاباً فَسُقْنَاهُ إلی بَلَدٍ مَیِّتٍ فَأحْیَینَا بِهِ الارْضَ بَعْدَ مَوتِها کَذَلِکَ النُّشُورُی. «۱» اذا نظرنا فی فصل الشتاء الی ملامح الطّبیعة فنری إمارات الموت و علاماته تنتشر فی کل مکان، فالاشجار عاریة من أوراقها وثمارها. وتقف خشبة جرداء جافة، فلا زهرة متفتحة، و لابرعم أخضر، و لا آثار للحیاة تنبعث من جنبات الصحاری وسفوح الجبال. ثم یحل الرّبیع، ویلطف الجو، و هطول المطر المحیی من السماء، فیبعث الروح و الحرکة فی النباتات وأزهارها الاشجار وتبرز البراعم و الزهو، و تبدأ الطیور تبنی أعشائها بین الأغصان، و تتجسد صورة البعث العارم فی کل شیء! فلولا الحیاة بعد الموت ماکنا لنشهد هذا المشهد یتکرر کل عام. ولو کانت الحیاة بعد الموت مستحیلة، ویعتبر الکلام حولها جنوناً، لما کان هذا یتجسد دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۳ أمامنا ونراه بأعیننا ونتحسسه بحواسنا. ولافرق بین إحیاء الأرض بعد موتها وإحیاء الانسان بعد موته. ۲- وفی مواضع أخری یأخذ القرآن بأیدیهم لیتقدم بهم نحو بدایة الخلق، یصف لهم الخلق الاول. وعندما یتقدم أعرابی الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وبیده قطعة عظم بالیة، ویصیح: یا محمد: ی مَنْ یُحیی العِظَامَ وَهِی رَمِیمٌی وکأنه قد أتی بدلیل لایمکن دحضه لتفنید مسألة «المعاد». فیأتی أمراللّه الی رسوله: ی قُلْ یُحییها الّذی أنْشَأها أوّل مَرَّةٍی. «۱» ۳- یشیر القرآن الی قدرة اللّه العظیمة بحثّهم علی النظر الی هذا الکون الفسیح بسماواته و أرضه، فیقول: ی أوَ لَیْسَ الّذی خَلَقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَی أنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلی وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِیمُ* إنّما أمْرُهُ إذا أرَادَ شَیْئاً أنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُی. «۲» کان الشاکون فی هذه الامور أشخاصاً لم یتعد أفق تفکیرهم محیط بیوتهم الضیقة، و إلا لأدرکوا أنَّ العودة ثانیة أسهل من الخلق الأول، وأنَّ إعادة الأموات الی الحیاة لاتعد شیئا عصیا علی قدرة اللّه الذی خلق السموات والأرض من قبل. ۴- وأحیاناً یعکس لهم انبعاث «الطاقات» قائلا: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۴ ی

الّذی جَعَلَ لَکُم مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ ناراً فَإذا أنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَی. «۱» عندما نمحص هذا التعبیر العجیب فی القرآن، مستعینین بالعلوم الحدیثة، یتبیّن لنا أنَّ العلم یقول: عندما نحرق اخشاب شجرة، فإنَّ الحرارة المنبعثة من نیرانها هی الطاقه الحراریة نفسها التی کانت الشمس تعکسها علیها اثناء سنوات حیاتها و قد خُزنت فیها، مع إنَّنا کنا نظن أنَّ أشعة الشمس علی الشجرة قد ذهبت و تلاشت، ولکننا هنا نراها قد عادت الی الحیاة مرّة أُخری فی لباس جدید. إذن، هل من الصعب علی اللَّه- الذی له هذه القدرة علی أن یختزن لعشرات السنوات نور الشمس وحرارتها فی جذع شجرة، ثم فی لحظة واحدة یخرج مخزونها- أنْ یحیی الأموات؟ «۲» وهکذا نلاحظ کیف أنَّ القرآن باستدلالاته ومنطقه الواضح یرد علی الذین یشکون فی المعاد ویتهمون القائلین به بالجنون، ویخرس ألسنتهم، باثبات إمکان المعاد استنادا الی الأدلة التی أوردنا جانباً منها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۵ فکّر وأجب: ۱- لماذا کان المشرکون یأخذهم العجب من فکرة المعاد؟ ۲- کیف نری مشهد المعاد فی مملکة النبات کل عام؟ ۳- یعتبر القرآن فی بعض آیاته دورة الحمل والولادة دلیلًا علی المعاد، کیف؟ ۴- ما هو بعث الطاقات؟ ۵- لماذا استدل القرآن بالشجر الأخضر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۷

الدّرس ۷ المعاد وحکمة الخلق

یتساءل الکثیرون: لماذا خلقنا اللَّه؟ وقد یتجاوزون ذلک أحیاناً لیسألوا: بل ماهی حکمة خلق هذا العالم الکبیر؟ إنَّ الفلاح یزرع الشجرة من أجل ثمرها، ویحرث الأرض ویبذر الحب من أجل غلتها، فمن أجل أی شیء خلقنا بستانی الخلیقة؟ أکان هناک ماینقص اللَّه تعالی حتی یستکمله بالخلق؟ إذا کان الأمر کذلک فهو إذن محتاج، ولکن الاحتیاج لا ینسجم و مقام الربوبیة. للاجابة عن هذا السؤال یمکن قول الکثیر، ولکن من الممکن تلخیص ذلک فی بضع جمل واضحات، وهی: الخطأ الکبیر هو إنا نقارن صفات اللَّه بصفاتنا. فنحن لکوننا کائنات محدودة، نقوم باعمالنا لکی نسد حاجة من حاجاتنا، فندرس مثلاـ لسد نقصنا دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۸ من العلم، ونشتغل لسد حاجتنا الی المال، ونفتش عن الطب والعلاج لضمان سلامتنا. ولکن فیما یتعلق باللَّه الذی لانهایة له من جمیع الجهات، علینا أنَّ نبحث عن أهداف مایفعله خارج ذاته. فهو لایخلق لمنفعة ولالسد حاجة، بل هدفه من ذلک هو أنْ یفیض بلطفه ووجوده علی عباده. إنَّه شمس مشعة لانهایة لها، تشع بنورها، لالحاجة بها الی ذلک، بل لکی ینعم الجمیع بنور وجودها. إنَّ من مقتضیات ذاته اللامتناهیة الفیاضة أنْ یأخذ بید الکائنات ویتقدم بها علی طریق التکامل. إنَّ خلقنا من العدم یعتبر بذاته خطوة تکاملیة بارزة، کما أنَّ ارسال الرسل وإنزال الکتب السماویة والشرائع والقوانین، ما هی إلّاقواعد لهذا التکامل. هذه الدّنیا أشبه بجامعة کبیرة، ونحن طلبتها! إنَّها أشبه بمزرعة أعدت لنا ونحن زارعوها! إنَّها متجر أولیاء اللَّه! فکیف یمکن أن نقول أن لیس لهذا الخلق هدف، مع أنَّنا إذا نظرنا حولنا وتفحصنا جمیع اجزاء الموجودات جزءاً جزءاً لوجدنا أنَّ لکل منها هدفا. ففی أجهزة أجسامنا لن تجد جهازاً بغیر هدف، وحتی الاهداب وتقعر باطن القدم لها اهدافها. فکیف یمکن أنْ یکون لاجزاء أجسامنا أهداف، ولایکون لمجموع تلک الأجزاء أی هدف؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۰۹ وإذا تجاوزنا کیاننا وخرجنا الی العالم الخارجی الکبیر، وجدنا أنَّ لکل جهاز فیه هدفاً، فلسطوع الشمس هدف، ولهطول المطر هدف، ولترکیب الهواء هدف، فهل یمکن أنَّ لایکون للمجموع أی هدف؟ الحقیقة هی إنَّ فی قلب هذا العالم الفسیح لوحة کبیرة تعرض الهدف النهائی الذی لانستطیع رؤیته احیاناً ولإوّل وهلة لعظمته. لقد کتب علیها «التربیة والتکامل». والآن، بعد أنْ تعرفنا علی هدف الخلق علی وجه العموم، یدور الکلام حول ما إذا کانت هذه الحیاة المعدودة أیامها، وبکل مافیها من مشکلات وحرمان ومصائب، هی هدف الخلق؟ افرض أنی عشت فی هذه الدّنیا ستین سنة، وأنِّی أعمل کل یوم من الصباح حتی المساء للحصول علی القوت، وأعود الی البیت متعباً منهکاً، و تکون النتیجة أنِّنی أستهلک بضعة أطنان من الطعام والماء، وأتحمل العناء والتعب لُاشیّد داراً، ثم بعد ذلک أترک کل شیء وأخرج من هذا العالم، فهل ترری هذا الهدف یستحق أنْ یستدعینی الی هذا العالم الملیء بالآلام والشقاء؟ لو أنَّ مهندساً شید عمارة عظیمة وسط الصحراء، وقضی سنوات طوالًا فی تکمیلها وتنظیمها وتجهیزها بکل وسائل الراحة، فاذا سئل: ما الغایة من بنائک هذه العمارة؟ قال: کل هدفی هو أنْ

یمر بها عابر سبیل ولو مرة ویستریح فیها ساعة أوبعض ساعة! دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۰ أفلا یستولی علینا العجب جمیعاً، ونعترض قائلین: إنَّ استراحة ساعة لعابر سبیل لاتستوجب کل هذا العناء والتعب! لذلک، فإنَّ الذین لایؤمنون بالبعث وبالحیاة بعد الموت، لایرون لهذه الدنیا أی هدف وأنَّها فارغة وعبث. وهذا القول کثیراً ما یصادفنا فی کتابات الماديین ویکررونه الی الحد الذی یقودهم الی الانتحار، نتیجة لاصابتهم بالتعب والملل من حیاة لاهدف لها. إنَّ مایعطی لهذه الدنیا هدفاً ویجعلها معقولة ومنطقیة هو اعتبارها مرحلة متقدمة لعالم آخر، وأنَّ ما فیها من مشکلات ووضع کل هذه المقدمات إنَّما الهدف منه أن یستفید منه الانسان فی مسیرة حیاة خالدة. کنا قد ضربنا بهذه المناسبة مثلًا الجنین فی رحم أُمِّه، فلو کان له شیء من العقل والادراک، ویقال له: إنَّ الحیاة التی تقضیها هناک لیس بعدها شیء، لاعترض قائلًا: ما معنی أنْ أکون سجیناً فی هذا المکان وفی هذا المحیط الضیق، أطعم الدم، مطوی الاطراف، مرمیاً فی هذه الزاویة المظلمة، ثم لایکون بعد هذا شیء. ما الذی استهدفه الخالق بهذا الخلق؟ أمّا إذا أکّدوا له بأنَّ هذه الأشهر القلیلة لیست سوی مرحلة عابرة یجری فیها إعدادک للخروج الی عالم جدید وحیاة أطول وفی دنیا هی أوسع بکثیر من دنیاک الضیقة هذه، مضیئة ورائعة، وفیها نعم کثیرة، عندئذ یقتنع الجنین بأنَّ الدورة التی یقضیها فی رحم أُمّه لیست خالیة من هدف، وهو هدف جلیل یستحق تحمل عناء هذه الفترة العابرة. یقول القرآن المجید: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۱ ی وَلَقَدْ عَلِمْتُم النَّشأةَ الأُولی فَلَولا تَذَکَّرُونَی. «۱» خلاصة القول: إنَّ هذا العالم یصرخ بکل کیانه أن هناک عالماً بعده، وإلّا لکانت هذه الدنیا لغواً وعبثاً لاطائل وراءه. استمع الی ما یقوله القرآن فی ذلک: ی أَفَحَسِبْتُمْ أنّما خَلَقْنَاکُمْ عَبَثاً وَأَنَّکُم إلَیْنَا لا تُرْجَعُونَی «۲» أی لو لا المعاد- الذی یعبر عنه القرآن بالرجوع الی اللَّه لکان خلق الانسان عبثاً. وعلیه، فإنَّ حکمة الخلق تقول: لابدّ من وجود عالم آخر بعد هذا العالم. فکّر وأجب: ۱- لماذا لایمکن مقارنة صفات اللَّه بصفات مخلوقاته؟ ۲- ما الهدف من خلقنا؟ ۳- أیمکن أنْ تکون هذه الحیاة الدنیا هی الهدف من خلق الانسان؟ ۴- ما الذی نتعلمه من المقارنة بین الجنین والحیاة الدنیا؟ ۵- کیف یستدل القرآن بخلق هذا العالم علی وجود عالم آخر؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۳

الدّرس ۸ بقاء الرّوح دلیل علی البعث

اشارة

لایعرف أحد منذ متی بدأ الانسان یفکر فی وجود «الروح»، وکل مایمکن قوله هو أنَّ الانسان أدرک منذ البدایة أن هناک اختلافاً بینه وبین کائنات هذا العالم الاخری الاختلاف بینه وبین الصخرة، والخشبة، والجبل، والصحراء و الحیوانات. کان الانسان قد جرب حالة النوم، وکذلک حالة الموت. کان یری أنَّ الانسان بدون أن یتغیر شیء فی جسمه وهیئته، یطرأ علیه تبدل کبیر فی حالته أثناء النوم وعند الموت. من هنا أدرک الانسان أنَّ فیه «جوهراً» هو غیر هذا الجسم الذی یراه. وکان یری أنَّه یختلف عن سائر الحیوانات، لأنَّه کان یستطیع أنْ یقرر أمراً وینفذه بکل حریة وحسبما یتراءی له، بینما الحیوانات کانت محکومة لغرائزها التی تسیطر علی حرکاتها وتجبرها علیها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۴ وعلی الاخص کان یری مشاهد فی عالم الرؤیا، فی الوقت الذی کانت فیه أجهزة الجسم خامدة وجسده ملقی فی احدی الزوایا. فادرک من هذا أنَّ هناک قوة غامضة تهیمن علی کیانه، فاطلق علیها اسم «الرّوح». وعندما وضع العلماء أسس الفلسفة، وضعوا «الرّوح» کقضیة فلسفیة کبری ضمن القضایا الاخری. ومن ثم راح الفلاسفة یبدون آراءهم عن ماهیة «الرّوح»، حتی بلغ تعداد تلک الآراء نحو الف رأی ونظریة، حسب قول بعض الفلاسفة الاسلامیین، وتدور کلها حول «الرّوح» وما یتعلق بها. إنَّ الکلام فی هذا یطول، غیر إنَّ الأهم الذی ینبغی معرفته یتعلق بالجواب عن هذا السؤال: هل الرّوح مادة أم لا؟ وبعبارة اخری هل هی مستقلة أم إنَّها من الخصائص الکیمیاویة و الغیزیاوتیة للدماغ و الاعصاب؟ ثمة فریق من الفلاسفة الماديین یصرون علی أنَّ الروح و الظواهر الروحیة مادیة وأنَّها من خصائص خلایا الدماغ، وعندما یموت الانسان، تموت الروح معه،

فی تلک اللحظة التی نحطمها بضربة مطرقة فتتناثر اجزاؤها، ویتوقف عملها علی أثر ذلک. وفی الطرف المقابل لهؤلاء یقف الفلاسفة الالهیون، ومعهم بعض الفلاسفة الماديين الذين يقولون بأصالة الروح. و يعتقد هؤلاء إنَّ الروح لاتموت بموت الانسان، بل تستمر فی الحیاة. ولاثبات هذه المقولة، أی أصالة الروح واستقلالها وبقائها یذکرون أدلة معقدة کثیرة، لایسعنا هنا إلّاأنَّ نورد أهمهما وأوضحها بعبارات بسیطة لکی یعیها شبابنا العزیز:

۱- لایمکن حشر عالم کبیر فی محیط ضیق

افرض إنَّک علی ساحل البحر وخلفک جبال شاهقة تناطح السحاب، و الامواج العاتیة ترتطم بالصخور بقوة وتعود عنها الی البحر صاخبة. والصخور الضخمة عند سفح الجبل تنبیء عن الجلال فی أعلی الجبل والسماء الزرقاء من فوق قمم الجبال تضج لیلًا عظمة وجلالًا. تتطلع لحظة الی هذا المشهد، ثم تغمض عینیک وتسترجع فی ذهنک المشهد کما رأیته حجماً وعظمة. لاشک أنَّ هذه الخریطة الذهنیة بکل حجمها وعظمتها تحتاج الی مکان ولایمکن أنْ ترتسم علی خلایا الدماغ الصغیرة، وإلّا فإنَّ هذه الخریطة الکبیرة یجب أنْ ترتسم علی نقطة صغیرة، فی الوقت الذی نری المنظر فی خیالنا بحجمه الطبیعی. یدل هذا علی أنَّ هناک «جوهراً» غیر الدماغ وخلایاه هو الذی یستطیع أنْ یحتفظ بکل مشهد وخریطة مهما کبر حجمها. ولاشک أنَّ هذا الجوهر لابدّ أنْ یکون ماوراء عالم المادة، إذ لیس فی عالم المادة شیء یشبهه.

۲- خصائص الرّوح

إنَّنا نعرف الکثیر من الخصائص الفیزیاویة والکیمیاویة فی أجسامنا، فحرکات المعدة والقلب فیزیاویة، والترشحات والافرازات وعصارات المعدة کیمیاویة. وأمثال هذه کثیرة فی جسم الانسان. فاذا کانت الروح والفکر مادیة وناشئة من خواص خلایا الدماغ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۶ الفیزیاویة والکیمیاویة، فلماذا نری خواصها تختلف عن خواص الجسم. إنَّ الفکر والرّوح یربطاننا بالخارج و یخبراننا بما یحدث حولنا. أمَّا الخصائص الکیمیاویة کالافرازت و العصارات، و الفیزیاویة کحرکات العین والقلب واللسان، لاتملک مثل تلک الخصائص مطلقاً. وبعبارة أُخری إنَّنا نشعر جیداً بأنَّنا مرتبطون بعالمنا الخارجی، ونعرف الکثیر عنه. فهل دخل العالم الخارجی الی داخلنا؟ طبعا، لا. إذن، ماالحکایة؟ لاشک إنَّنا نری خارطة العالم، وإن خصیصة الرّوح فی الظّهور الخارجی هی التی تجعلنا ندرک العالم خارج وجودنا. إنَّک لاتجد هذه الخصیصة فی أی من الظواهر الفیزیاویة ولافی التفاعلات الکیمیاویة فی أجسامنا، فتأمل! و هذا یعنی بعبارة اخری أنَّ التعرف علی الکائنات الخارجیة العینیة یتطلب نوعاً من الاحاطة العامة، وهذه لیست من وظائف خلایا الدماغ، فهذه إنَّما تتأثر بالعوامل الخارجیة. مثل سائر خلایا الجسم الاخری. هذا الاختلاف یدل علی أنَّ هناک فعالیة أخری فی الجسم غیر التغیرات الفیزیاویة والکیمیاویة، فعالیة تجعلنا نحیط بخارج وجودنا. وماهذه سوی الروح، تلک الحقیقة التی تتجاوز عالم المادة وخصائصها.

۳- الأدلة التجریبیة علی أصالة الروح واستقلالها

لحسن الحظ استطاع العلماء الیوم أنْ یثبتوا بطرق علمیة وتجریبیة مختلفة أصالة الروح واستقلالها، وبذلک ردّوا رداً حاسماً علی الذین أنکروا استقلالیة الروح وقالوا إنَّها من خصائص المادة: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۷ ۱- من تلک الدلائل التنویم المغناطیسی الذی أجریت علیه تجارب کثیرة جداً، رآها بعضهم بأنفسهم وتأکدت لدیهم. والذین لم یروا ذلک نورد لهم شرحاً بسیطا لتلک التجارب: هناک أشخاص یستطیعون بطرق علمیة خاصة أنْ ینوّموا أشخاصاً آخرین یطلق علیهم اسم (الوسطاء). فیقوم المنوم بتنویم الوسیط بالایحاء الیه عن طریق التراکیز الفکری ونظرات العین وغیر ذلک، فیروح الوسیط فی نوم عمیق، ولکنه لایشبه النوم

العادی، بل هو نوم یظل خلاله الارتباط بین المنوم والوسیط قائماً، فیحدثه ویتلقی منه الجواب. وبعد أنْ یصل الوسیط الی حالة النوم هذه، یرسل المنوم روح الوسیط الی نقاط مختلفة، وقد تعود باخبار جدیدة، أو تخبر عن أمور لم یکن الشخص النائم یعرف عنها شیئاً من قبل. فهو مثلًا قد یتکلم بلغة لم یکن یعرفها من قبل، وقد یستطیع أنْ یحل مسائل ریاضیة معقدة، أو قد یکتب أُموراً علی صحائف موضوعة داخل صندوق مغلق بغیر أنْ یفتحوه. بل قد تظهر الروح نفسها أحیاناً بهیئة أشباح أو ضلال واضحة فی بعض جلسات التنویم المغناطیسی، وأمثال ذلک من الأُمور التی شرحناها فی کتاب «عود الارواح». ۲- إحضار الأرواح. أو الاتصال بأرواح الأموات وإحضارها الی جلسات إحضار الأرواح، مما یدل علی أصالة الروح واستقلالها. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۸ هنالک الیوم جمعیات روحیة کثیرة منتشرة فی مختلف أنحاء العالم، ویصدر عنها- کما یقول العالم المصری المعروف فرید وجدی- أکثر من ۳۰۰ مجلة وصحیفة، وتعقد جلسات لاحضار الأرواح یشترک فیها شخصیات معروفة حیث تستحضر الأرواح، فتقوم بأعمال خارقة للعادة. وعلی الرّغم من أنَّ هناک عدداً من المشعوذین الذین یسیئون استعمال هذه الأُمور بغیر معرفة، فیخدعون الناس ویبتزون أموالهم، فإنَّ حقیقة وجود هذه الحالة التّی یعترف بها العلماء المختصون لایمکن انکارها. «۱» هذه کلّها أدلة علی أصالة الرّوح واستقلالها وبقائها بعد الموت، وهی خطوة موثرة نحو المعاد والحیاة بعد الموت. ۳- ثمّة أحلام ومشاهد نراها فی عالم النوم تقع خلالها أحیاناً حوادث مستقبلیة، وقد نکشف احیاناً عن أمور خفیّة الی درجة لایمکننا معها أنْ نعتبرها من باب الاتفاق والمصادفات، وهذا أیضاً دلیل علی أصالة الرّوح واستقلالها. ومعظم الناس مرّت بهم فی حیاتهم مثل هذه الاحلام الصادقة، أو أنَّهم فی الاقل قد سمعوا بأنَّ الحلم الذی رآه احد أصحابهم قد تحقق بحذافیره بعد مدّة من الزمن، الأمر الذی یدل علی أنَّ الرّوح تستطیع خلال نوم الانسان أنَّ تتصل بعوالم اخری وقد تری بعض الحوادث التی ستقع فی المستقبل. جمیع هذه الامور تشیر بوضوح الی أنَّ الرّوح لیست مادة، ولیست نتیجة افرازات دماغ الانسان الفیزیاویة والکیمیاویة، بل هی حقیقة من حقائق ما دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۱۹ وراء الطبیعة، وإنَّها لاتموت بموت الجسد. وهذا مایمهد الطریق للقبول بمسالة المعاد وعالم مابعد الموت. فکّر وأجب: ۱- ما الاختلاف بین الفلاسفة الإلهیین وبعض الماديین فی قضیة الروح؟ ۲- ما المقصود بعدم انطباق الکبیر علی الصغیر باعتباره دلیلًا علی أصالة الروح؟ ۳- ماذا تعرف عن التنویم المغناطیسی؟ ۴- ماذا نقصد باستحضار الأرواح؟ ۵- کیف تکون الأحلام الصادقة دلیلا علی أصالة الروح واستقلالها؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۱

الدّرس ۹ المعاد الجسمانی والرّوحانی

اشارة

من المسائل المهمّة الاخری التی تبرز فی موضوع المعاد هو السؤال عما إذا کان المعاد «روحانیاً» فقط، أم إنَّه یکون بعودة الروح والجسم معاً فی العالم الآخر، وإنَّ الانسان، بروحه وجسمه- علی مستوی أفضل وأرفع- سوف یواصل حیاته فی العالم الآخر. کان فریق من الفلاسفة القدامی یعتقد بأن المعاد یکون بالرّوح فقط، لأنَّهم کانوا یعتقدون بأن الجسم ترکیب خاص یختص بالعالم الدنیوی فحسب، وبأن الانسان یستغنی عنه فی العالم الآخر، وأنَّه یهرع الی العالم الآخر بدون جسمه. إلّا أنَّ کبار العلماء والفلاسفة الاسلامیین یعتقدون أنَّ عودة الانسان الی العالم الآخر یکون بروحه وبجسمه معاً، صحیح إنَّ هذا الجسم یتحول الی تراب بعد الموت، وإنَّ ترابه یتشتت فی أرجاء الارض ویضیع، ولکن اللَّه القادر العالم یجمع کل ذرات الجسد یوم القیامة ویضفی علیها لباس الحیاة مرّة اخری دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۲ وهذا هو «المعاد الجسمانی» لأنَّهم یرون أن عودة الرّوح أمر لاشک فیه، ولما کان الجدل یدور حول عودة الجسم نفسه، فقد عبروا عن ذلک ب «المعاد الجسمانی». علی کل حال، إنَّ الآیات القرآنیة النازلة بهذا الخصوص، وهی کثیرة ومتنوعة، تشیر کلّها الی «المعاد الجسمانی».

القرآن والمعاد الجسمانی

سبق أن تحدثنا عن الاعرابی الذی جاء الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله بقطعة عظم بالیة قائلا: ی منْ یُحیی العِظَامَ وَهِی رَمِیمٌی؟ فیجیبه الرسول صلی الله علیه و آله بأمر من اللّه: ی قُلْ یُحْییها الّذی أنْشَأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ* الّذی جَعَلَ لَکُم مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ ناراً فَاذا أنْتُم مِنْهُ تُوقِدُونَی «کما جاء فی آخر سورة یس». وفی موضع آخر حیث یقول القرآن: ی وَنُفِخَ فِی الصُّورِ فَإذا هُم مِنَ الأجْداثِ الی رَبِّهِم یَنْسِلُونَی «۱» وکذلک یقول تعالی دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۳ ی خُشَّعاً أبْصَارُهُم یَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ کَأنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌی. «۱» ونحن نعلم إنَّ الأجداث، وهی القبور، تکون موضع الأجساد التی اصبحت تراباً، ولیست موضع الأرواح. لقد کان أکثر إنکار منکری المعاد یستند الی عدم قدرتهم علی تصور امکان جمع التراب المتناثر فی أرجاء الارض واعادة الحیاة الیه: ی وَقَالُوا ءَإذا ضَلَلْنا فِی الارْضِ ءإنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍی. «۲» فیرد علیهم اللّه قائلا: ی أوَلَمْ یَرَوا کَیْفَ یُبْدِیءُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ یُعِیْدُهُ إنَّ ذَلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیْرٌی. «۳» کان عرب الجاهلیة یقولون: ی أیَعِدُکُم أنَّکُم إذَا مُتُّم وَکُنْتُم تُراباً وَعِظَاماً أنَّکُم مُخْرَجُونَی. «۴» کل هذه الآیات القرآنیة وغیرها تدل دلالة واضحة علی أنَّ رسول الاسلام صلی الله علیه و آله قد تحدث عن «المعاد الجسمانی» لأنَّ تعجب المشرکین الجاهلین کان منصّباً علی هذا الجانب من الموضوع، ولذلک بادر القرآن بایراد نماذج من صور المعاد الجسمانی فی عالم النبات وغیره ممّا یراه الانسان بعینه، کأمثله علی الخلق الأول وعلی قدرة اللّه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۴ وبناء علی ذلک فالانسان إذا کان مسلماً وقارئاً للقرآن، لایمکن أنْ ینکر المعاد الجسمانی، لأنَّ إنکاره، فی نظر القرآن، إنکار للمعاد نفسه.

الدّلائل العقلیة

إذا تجاوزنا عن ذلک، فان العقل یقول إنَّ الروح والجسد لیسا حقیقتین منفصلتین، فهما مترابطان بالرغم استقلال أحدهما عن الآخر، فهما یتربیان معاً، ویبلغان التکامل معاً، ولاشک أنَّ أحدهما لایستغنی عن الآخر لادامة الحیاة الخالدة. واذا ما انفصلا بعض الوقت فی البرزخ (الزمن الفاصل بین الدنیا والآخرة) فان ذلک لایمکن أنْ یکون دائمیاً، فکما أنَّ الجسد بغیر الروح ناقص، کذلک الروح بغیر الجسد ناقصة. إنَّ الروح هی الآمرة والمحرکة، والجسم هو المطیع وهو آلة التنفیذ، فما من آمر یستغنی عن المأمور، وما من عامل یستغنی عن آلة العمل. ولکن بما أنَّ الرّوح تکون یوم القیامة فی مرتبة أسمی وأرفع، فلابدّ للجسد أیضاً أنْ یکون قد تکامل بالنسبة نفسها، وهکذا سیکون کاملًا، أی إنَّ الجسد یوم القیامة سیکون خالیاً من کل العیوب والنواقص التی کانت فیه فی هذه الدنیا. علی کل حال، فإنَّ الرّوح والجسد قد ولدا معاً ویکمل أحدهما الآخر، وإنَّ المعاد لایمکن أنْ یکون جسمانیاً فقط ولاروحانیاً فقط. وبعبارة اخری إنَّ دراسة کیفیة ظهور الجسد والروح وعلاقة کل منهما بالاخر تدلّ علی أنَّ المعاد یکون لهما معاً. ثم إنَّ قانون العدالة یقول من جهة اخری إنَّ المعاد یجب أنْ یکون لکلیهما، دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۵ لأنَّ الانسان الذی ارتکب معصیة فی الدنیا قد ارتکبها بالجسد والروح معاً، وإذا کان قد اتی بحسنة فقد أتی بواسطتهما معا. وبناء علی ذلک فالعقاب والثواب یجب کذلک أنْ یقعا علی الجسد والروح معاً، إذ لو کان المعاد للجسد بمفرده، أو للروح بمفردها، لما تحققت العدالة.

أسئلة حول المعاد الجسمانی

وضع العلماء بعض الاسئلة بشأن المعاد الجسمانی نورد بعضها إستکمالًا للبحث: ۱- تؤکد تجارب علماء العلوم الطّبیعیة أن جسم الانسان یتبدل خلال عمره عدّة مرّات، فهو أشبه بحوض للسباحة حیث یصب فیه الماء من جهة ویتسرب منه تدریجیاً من جهة اخری وبدیهی أنَّ ماء الحوض یکون قد تبدل بعد مدّة من الزّمن. وهذا نفسه یحدث بالنسبة لجسم الانسان ویتمّ مرّة فی نحو سبع سنوات. وبناء علی ذلک فإنَّ أجسامنا تتبدل عدّة مرّات خلال أعمارنا. هنا یتبادر الی الذهن هذا السؤال و هو: أی هذه الأجساد هو الذی یعود

یوم القیامة؟ فی الاجابة علی هذا السؤال نقول: آخرها، فکما قرأنا فی الآیات السابقة التی وردت فی بحوثنا السابقة إنَّ اللّه یحیی الانسان من عظامه وتراب جسده الذی دفن تحت التراب. و یستفاد من هذا أنَّ جسده الذی مات به هو الذی یحییه اللّه یوم القیامة. کما إنَّ تعبیر: ی وأَنَّ اللَّهَ یَبْعَثُ مَنْ فِی القُبُورِی. «۱» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۶ یعنی إنَّه یبعث الجسدالذی مات ودفن فی القبر. ولکن هذا الجسد الاخیر یحمل جمیع الآثار والخصائص التی کانت للانسان فی أجساده الاخری طوال حیاته. وبتعبیر آخر، إنَّ الاجساد السابقة التی تتلف تدریجیاً تنقل الی الجسد التالی جمیع آثارها وخصائصها، وعلیه فإنَّ الجسد الأخیر یکون قد ورث جمیع صفات الأجساد السابقة، وبذلک یکون خلیقاً بتطبیق قانون العدالة فی الثواب والعقاب علیه. ۲- یقول بعضهم: إنَّنا إذا ما أصبحنا تراباً وتحولت ذرات أجسادنا الی تراب، وأصبحت هذه غذاء لانواع النباتات والاشجار ودخلت فی الاثمار وأکلها أناس آخرون، ومن ثم أصبحت اجزاء من أجسادهم، فکیف تعود هذه الی الحیاة یوم القیامة؟ وهذا هو ما یعبر عنه الفلاسفة و علماء الکلام ب «شبهة الآکل والمأکول». و علی الرغم من أنَّ الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الکثیر من البحوث، فإنَّنا سنحاول أنْ نبسط ذلک بالقدر اللازم، فنقول: «لیس هناک شک فی أنَّ ذرات جسد أحد الاشخاص التی غدت جزءاً من جسد شخص آخر تعود الی جسد صاحبها الاول، وهذا واضح من الآیات المذکورة سابقاً» ولکن المشکلة التی تبرز هنا هی أنَّ جسد الشخص الثانی یصبح ناقصاً. ولکن الحقیقة هی إنَّه لایصبح ناقصاً، بل یصبح أصغر، لأنَّ تلک الذرات کانت قد انتشرت فی جمیع اجزاء الجسد، فعندما استرجعت منه صغر ونحف بنسبة ماأخذ منه. دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۷ وعلیه فلا الجسد الاول یزول ولا الجسد الآخر، وکل ما فی الامر هو أنَّ الجسد الثانی یصبح صغیراً، ولیس فی هذا مشکلة، لاننا نعلم أنَّ الأجساد یوم القیامة تتکامل ویزول عنها کل نقص، بمثلما یکبر الطفل وینمو، أوکما ینمو لحم جدید بمکان الجرح، بغیر أنْ تتبدل شخصیة الطفل أو الجریح. فالأجساد الصغیرة والناقصة تحشر الی عالم الکمال یوم القیامة کاملة غیر منقوصة. وهکذا لاتبقی مشکلة بهذا الشان. فتأمل! (للمزید من التوضیح یمکنکم الرجوع الی کتاب (معاد و جهان پس از مرگ). فکّر وأجب: ۱- هل حیاة الانسان یوم القیامة تشبه حیاته فی هذه الدنیا؟ ۲- هل نستطیع أنْ ندرک فی هذه الدنیا کیف یکون الثواب والعقاب یوم القیامة؟ ۳- هل للنّعم فی الجنّة وللتعذیب فی الجحیم جوانبها الجسمیة فقط؟ ۴- ما المقصود من تجسد الأعمال؟ وکیف یستدل القرآن علیها؟ ۵- ما المشکلات التی یحلها الاعتقاد بتجسد الأعمال فی بحث المعاد؟ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۲۹

الدّرس ۱۰ الجنّة والنّار وتجسد الأعمال

اشارة

کثیراً مایتساءل النّاس: هل عالم بعد الموت یشبه هذا العالم، أم أنَّهما مختلفان؟ ماذا عن الثواب والعقاب والقوانین السائدة فیه هل هی مثل مافی هذه الدنیا؟ نقول فی الجواب: إن هناک شواهد کثیرة تدل علی أنَّ العالم الآخر یختلف کثیراً عن هذا العالم، بحیث إنَّ مانعرفه عن العالم الآخر یجعله یبدو لنا کالشّبح الذی نراه من بعید. و یحسن بنا أنْ نعود الی مثال «الجنین» الذی ضربناه من قبل، فبالقدر الذی یوجد من بعد بین «عالم الجنین» وهذا العالم یکون البعد بین عالمنا هذا والعالم الآخر، أو أکثر. ولو کان للجنین فی الرحم عقل، وأراد أنْ یکون له تصور صحیح عن العالم الخارجی بالنسبة له، عن السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳۰ والغابات والبحار، لاستحال علیه ذلک. فالجنین الذی لایتعدی عالمه رحم امه المحدود، فان الشمس والقمر والبحر والامواج والریاح والنسائم والزهور ومختلف مظاهر الجمال فی عالمه الخارجی لاتعنی و لا تمثل أی مفهوم محدد بالنسبة له. إن قاموسه اللغوی لایتعدی بضع کلمات، ولو أنَّ أحداً شاء أنْ یکلمه من خارج رحم امّه (بالفرض) لما فهم منه کلاماً. فاختلاف عالمنا المحدود هذا مع العالم الواسع الآخر یکون بهذه النسبة أو أکثر. وعلیه، فلیس بامکاننا أن نحمل أی تصور عمّا

هناک من نعم ونقم وجنة ونار وغیر ذلک. وقد جاء فی حدیث شریف عن الجنّة: «فِیها مالاعین رأت، ولاأذن سمعت، ولاخطر علی قلب بشر». وقد جاء هذا المعنی نفسه فی القرآن الکریم، إذ یقول: ی فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْیُنٍ جَزَاءً بِمٰا کٰانُو یَعْمَلُونَی. «۱» کما إنَّ النظم السائدة هناک مختلفة عما فی هذا العالم أیضاً فمثلًا، الشهود علی أعمال الانسان وأفعاله هم اعضاؤه، یده ورجله وجلده وحتی الارض التی ارتکب العمل علیها. یقول القرآن: ی الیَومَ نَخْتِمُ عَلَی أفْوَاهِهِم وَتُکَلِّمُنَا أیْدِیهِم وَتَشْهَدُ دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳۱ أرْجُلُهُم بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَی. «۱» وقال تعالی ی قَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَینا قَالُوا أنْطَقَنَا اللَّهُ الّذی أنْطَقَ کُلَّ شَیءٍی. «۲» کان تصور هذه المسائل غیر متیسر فی الماضی، ولکن بعد تقدم العلوم وامکان تسجیل المشاهد والاصوات لم یعد هناک مایدعو الی العجب. علی کال حال، علی الرغم من أنّنا مانزال غیر قادرین علی أنْ نری من شؤون العالم الآخر سوی مایشبه الشبح البعید، ولکن الذی ندریه هو أنَّ العقاب والثواب فی العالم الآخر یشملان الجوانب الرّوحانیة والجسمانیة، وذلک لأنَّ المعاد یشمل کلا الجسم و الرّوح یقول القرآن: ی وَبَشِّرِ الّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ .... وَلَهُم فِیها أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُم فِیها خالِدُونَی. «۳» وفیما یتعلق بالمثوبات المعنویة یقول القرآن: ی وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أکْبَرُی. «۴» نعم، إنَّ إدراک أهل الجنّة أنَّ اللَّه تعالی راض عنهم وأنَّ خالقهم قد تقبلهم دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳۲ یخلق فیهم احساساً بالفرح والبهجة واللذة لایمکن أنَّ یقارن به شیء. کما أنَّ أهل النار یحسّون- بالاضافة الی العذاب الجسمانی- بغضب اللَّه ورفضه لهم، وهو أشد من کل عذاب.

تجسد الأعمال

یستفاد من کثیر من الآیات القرآنیة أنَّ أعمالنا یوم القیامة تتجسد حیّة فی صور مختلفة وتصاحبنا، وأنَّ واحداً من أنواع العقاب والثواب المهمة هو هذا التجسد نفسه. فالظلم یتجسد بصورة سحابة سوداء تحیط بالظالم، کما جاء فی حدیث شریف: «الظّلم هو الظّلمات یوم القیامة». وجاء فی القرآن الحکیم: ی إنَّ الّذِینَ یَأکُلُونَ أمْوَالَ الیَتَامَی ظُلْماً إنَّمَا یَأکُلُونَ فِی بُطُونِهِم ناراً وَسَیَصْلَونَ سَعِیراًی. «۱» و یَومَ تَرَی المُؤمِنِینَ وَالمُؤمِنَاتِ یَسْعَی نُورُهُم بَینَ أیْدِیهِم ... ی. «۲» و یالّذِینَ یَأکُلُونَ الرِّبَا لایَقُومُونَ إلّاکَمَا یَقُومُ الّذی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطَانُ مِنَ المَسِّ ... ی. «۳» و یوَلایَحْسَبَنَّ الّذِینَ یَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیراً لَهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُم سَیُطَّوقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَومَ القِیَامَةِ ... ی. «۴» دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳۳ وهکذا سائر الأعمال الأخری تتجسد بما یناسبها. إنَّنا نعلم الیوم أنَّ العلم یقول: المادة لاتفنی، وإنَّما هی تتغیر من مادة الی طاقة. فالافعال والاعمال التی لاتخرج عن هاتین الحالتین، تبقی خالدة أبداً. إنَّ فی القرآن الکریم آیة صغیرة عن یوم القیامة تهزُّ الانسان هزاً: ی وَوَجَدوا ما عَمِلُوا حاضِراًی. «۱» والحقیقة أنَّ کل ما یصیبهم إنّما هو بسبب أعمالهم، ولذلک یضیف الی قوله: ی ... وَلا یَظْلِمُ رَبُّکَ أحَداًی. «۲» وفی موضع آخر من القرآن نقرأ عن یوم القیامة: ی یَومَئِذٍ یَصْدُرُ النّاسُ أشْتَاتاً لِیُرَوا أعْمَالَهُم فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیراً یَرَهُ وَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً یَرَهُی. «۳» لاحظ أنَّ الکلام یدور حول «رؤیة» الاعمال. إذا قلنا إنَّ أعمالنا فی هذه الدنیا، صغیرها وکبیرها وحسنها وسیئها ستبقی مخفوظة ولا تفنی، وستکون معنا یوم القیامة، فإنَّ ذلک لابدّ أنْ یکون انذاراً لنا جمیعاً لکی نتجنب الأعمال السیئة، ونعمل الصالحات أکثر. من العجیب إنَّ هناک الیوم أجهزة قد اخترعوها تستطیع أنْ تجسد لنا جانباً من هذا الموضوع فی هذه الدنیا. یقول أحد العلماء المعاصرین: دروس فی العقائد الاسلامیة، ص: ۳۳۴ «لقد أمکن استعادة الامواج الصوتیة التی صدرت قبل ألفی سنة من العمال المصریین الذین کانوا یشتغلون بعمل الفخار، بحیث یمکن سماعها، ففی الاجهزة الیدویة الخاصة بذلک. وفی اثناء صنعها انتقلت الامواج الصوتیة من أیدی العمال الی تلک الأوانی. والیوم استطاع العلماء أن یعیدوا الحیاة الی تلک الأمواج بحیث إنَّنا نسمعها بآذاننا». علی أی حال إنَّ کثیراً من الاسئلة تدور حول مسألة المعاد والخلود وعقاب المسیئین وثواب المحسنین الواردة فی القرآن المجید، یمکن أنْ یجاب علیها بأخذ عملیة «تجسید الاعمال» بنظر الاعتبار، وذلک باعتبار أنْ کل عمل حسن أوسیء یترک أثره فی أرواحنا، وأنَّ ذلک الأثر باق معنا لایفارقنا.

فكّر وأجب: ۱- هل تشبه حياة الانسان يوم القيامة حياته فى هذه الدنيا من جميع النواحى؟ ۲- هل نستطيع أن نفهم تماما فى هذه الدنيا ما فى يوم القيامة من ثواب وعقاب؟ ۳- هل النعم فى الجنّة والعذاب فى النّار جسمانية فقط؟ ۴- ما المقصود بتجسد الاعمال؟ وما الادلة القرآنية على ذلك؟ ۵- كيف يجيب الاعتقاد بتجسد الاعمال عن الاسئلة التى تسال حول موضوع المعاد؟ دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۳۳۵ مؤلّفات وآثار سماحة آية اللّه العظمى الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازى (دام ظلّه) طبع لحضرته حتى الآن أكثر من مائة كتاب أعيد طبع بعضها حوالى ثلاثين مرة وترجم بعضها إلى أكثر من عشر لغات حيّة ونشرت فى بلدان العالم المختلفة. (۱ إلى ۲۷) التفسير الأمثل (ترجم إلى العربية ولغة الاردو وأخيراً إلى اللغة الانجليزية) مع تنظيم فهرس موضوعى للتفسير الأمثل. (۲۸- ۳۷) التفسير الموضوعى نفحات القرآن (نشر منه عشر مجلدات ولازال مستمراً). ۳۸- المتفلسفون. ۳۹- أنوار الفقاهة (كتاب الخمس والأنفال). ۴۰- أنوار الفقاهة (كتاب البيع- ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية). ۴۱- أنوار الفقاهة (كتاب النكاح) ۴۲- أنوار الفقاهة (كتاب الحدود و التعزيرات) ۴۳- أنوار الفقاهة (كتاب التجارة- المكاسب الحرمة). ۴۴- رسالة توضيح المسائل المختصرة (محتوية على ألف مسألة فقهية مترجمة للعربية والتركية والآذرية والانجليزية). ۴۵- خمسون درساً للشباب فى: أصول العقائد. ۴۶- تعليقات على العروة الوثقى (فى مجلد واحد باللغة العربية). دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۳۳۶ ۴۷- الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامى. ۴۸- عقائدنا (شرح مكثّف لعقائد الشيعة الإمامية). ۴۹- الأسلوب التطبيقى فى المعرفة. ۵۰- المعراج، وشقّ القمر، العبادة فى القطبين. ۵۱- صورة الإسلام فى تحليل موجز ۵۲- قادة كبار ومسؤوليات أكبر. ۵۳- القرآن وآخر الأنبياء. ۵۴- المعاد وعالم ما بعد الموت. ۵۵- عقيدة المسلم. ۵۶- حكومة المهدى (عج) العالمية. ۵۷- القيم المنسية. ۵۸- نهاية عمر الماركسية. ۵۹- آخر فرضيات التكامل. ۶۰- عقيدتنا (ترجمة: أصل الشيعة). ۶۱- مظهر الحق. ۶۲- الألعاب الخطرة. ۶۳- الصلاة: مدرسة التربية العليا. ۶۴- كيف نعرف اللّه. ۶۵- سر الوجود. ۶۶- فلسفة الصوم. ۶۷- فلسفة الشهادة. ۶۸- أسباب تخلّف الشرق. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۳۳۷ ۶۹- خالق العالم. ۷۰- البحث عن اللّه. ۷۱- المشاكل الجنسية. ۷۲- ما تجب معرفته عن الإسلام. ۷۳- بحث عن المادية والشيوعية. ۷۴- القرآن والحديث. ۷۵- التقليد أو التحقيق. ۷۶- الخمس: دعامة استقلال بيت المال. ۷۷- قضية الانتظار. ۷۸- التفسير بالرأى. ۷۹- التقية درع لنضال أعمق. ۸۰- مسائل تهم الشباب كافة. ۸۱- الإسلام وحرية العبيد. ۸۲- مائة وخمسون درساً فى الحياة. ۸۳- الزوجية فى الأسرة المثلى ۸۴- مشروع الحكومة الإسلامية. ۸۵- رسالة مقدمة الوحى أو ... ۸۶- الالتقاط والالتقاطيون. ۸۷- عوامل ظهور المذاهب. ۸۸- ۸۹- الأخلاق الإسلامية فى نهج البلاغة. ۹۰- رسالة توضيح المسائل. ۹۱- الحياة فى ضوء الأخلاق. دروس فى العقائد الاسلامية، ص: ۳۳۸ ۹۲- مناسك الحج (فارسى- عربى). ۹۳- الاتصال بالأرواح. ۹۴- ۹۵- القواعد الفقهية. ۹۶- الزهراء، سيدة نساء العالمين. ۹۷- ردود على الأسئلة الدينية. ۹۸- الادارة والقيادة فى الإسلام. ۹۹- الى ۱۰۱- أنوار الأصول (فى ثلاثة مجلدات مشتملة على تقريرات مباحث الأصول). ۱۰۲- المناظرات التأريخية للامام الرضا عليه السلام. ۱۰۳- ۱۰۴- الفتاوى الجديدة. ۱۰۵- الى ۱۱۰- نفحات الولاية، شرح جديد وجامع لنهج البلاغة، (نشر منه خمس مجلدات ولازال مستمراً). وفقّه اللّه لمرضاته وأيدّه اللّه بتأييداته محرم الحرام ۱۴۱۸ ه- ق.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة

صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةَ المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹